افتتاحية العدد

▪ إبراهيم الحميد

تتباين تجارب كتاب القصة و تتقارب، إلا أن القاسم بينها بالتأكيد هو الإبداع، الذي يلوّنها ضمن تجربة الكاتب المتفردة؛ فالمنجز الإبداعي الذي وصل إليه الكاتب، و ما توافر لديه من طموحات ورؤى، توضح الأبعاد الحقيقية التي تترك بصماتها خلف كل عمل أدبي يضعه الكاتب بين يديّ قرائه؛ ولهذا نجد أن (ثمة لحظة ما في حياة كل شخص، تشبه الصرخة اللامعة، هي - من دون سواها- ما سوف تبقي اللحظة الحيّة التي تجدد أصداءها، وتترك شظاياها مطبوعة على كل لحظة تالية)..

مرة أخرى، تأتي مجلة الجوبة، لتواصل تقديم ملفاتها الأدبية التي دأبت عليها، لتتوّج عددها هذا بملف ثقافي، يأتي بعنوان «شهادات تحكي رحلة كتّاب القصة القصيرة».. يوثّق فيها عدد مميز من نجوم القصة شهاداتهم الإبداعية حول تجربتهم الإبداعية، والدروب التي قادتهم إلى مسالك القصة، إذ نجد في هذه الشهادات ملامح رئيسة لمشاهد كاملة للحظات التشكّل ومفارقات الطرق التي أدت إلى وصول المبدع إلى الخط الإبداعي، الذي شكّل هويته في صورتها الحاضرة اليوم.

قد لا يختلف مضمون شهادات مبدعينا المشاركين في ملف المجلة على تشابهها أو تباينها، مع تجارب عالمية لكتّاب القصة، فالمفارقات الأساسية في حياة أي كاتب لا بدَّ وأن تمضي في توغّلها لتصل إلى آفاقها الواسعة؛ لكن ما يلوِّن هذه الشهادات، هو اقترابها من قرّائها، وشفافيتها التي كشفت عن البدايات، وملامح الذات التي تقف خلف نصوص طالما قرأناها، وحملت لنا معها رياحها المفعمة بالدهشة والإبداع..

إن ما يميز الكثير من تجارب السرد التي يعرضها الملف في شهادات، هو حملها لمقوّمات التميّز في كل تجربة إبداعية، حيث الخصوصية التي لوّنت تجربة كل مبدع، وفقا للبيئة والتجربة الحياتية التي مر بها، والتي انعكست بالضرورة، على مُجمل تجربته الإبداعية؛ ومما يؤكد ذلك، أن مناجم الإبداع التي ينهل منها هؤلاء، شكّلت في مجملها تجاربهم التي عاشوها، وإن كانت ملامح البدايات الأولى، ومدارج الصبا والقرية، أو أزقة الحارة، بقيت المنبع الأول الذي يستقي منه جلّهم نصوصه وتجربته.

تتنوّع شهادات الملف بين من يحار (ماذا سيفعل شخص ألفى نفسه بين أنقاض مدينة تداعت كثيرا، ومضى الكثير من سكانها، أكثر من محاولة صنع ضفيرة من خيط دخان؟)، ومَن يؤكد تأثير نافذة الإنترنت السحرية في تأصيل تجربته الإبداعية، وبين مَن يستمع يافعا إلى قصته عبر المذياع في حضرة الرجال في مجلس والده، وسط تهليل الشيوخ الحاضرين، إلى من يقول (كبرت وظلت الحكايات التي خبأتها في ذاكرتي تشدني إلى الطفولة والقرية وجدتي)، ومن يؤكد أن (الكتابة جاءت منساقة مطواعة إلى قلمي لا تكلفاً ولا بحثا و لا اعتسافا..)، إلى من يرى ان (الكتابة رفض، ثورة على الواقع)، و(أن النص أياً كان ثوبه لابد أن يزلزل أعماق كاتبه وقارئه..)، وحتى مَن يعترف أن (شظف العيش الذي ذقته، والحرمان والخوف والقسوة التي كانت تلفّ مدارات الرؤيا حولي، قد تركت بصماتها الواضحة على مسيرة حياتي، وعلى وعيي الثقافي والإبداعي..) ومَن يقول (كنت ألوذ إلى انكساري، قبل أن نلتقي في إغماضة عين الرقباء، فأكتب لها هذياناتي التي سرعان ما عرفت أنها تنتمي إلى فن القصة القصيرة، وتلوذ في أحايين كثيرة إلى الشعر).. ومَن يكتب، ليبعد من طريقه بعض الحجارة أو ليمحو خطاباتهم الفجة من ذاكرته.. وحتى مَن يؤكد أن رحلته مع الحرف ولدت تلك السنة من فوهة الحيرة، والقلق والخوف على مصير الأمة.. ولذا، فهو لم يترك وعاءً معرفياً إلا و اغترف منه ما يروي ظمأه..

في العمل الثقافي، لا يمكنك أن تحقق مبتغاك، وتشفي نهمك من المادة الابداعية؛ إلا أن الملف، يأتي ليقدم تجارب إبداعية، تميّزت تجربتها بالتنوّع والجديّة، لقامات أدبية تعد اليوم من مداميك الكتابة الإبداعية في الوطن العربي .

شهادات
إبداعية في القصة القصيرة

■ إعداد وتقديم محمود عبدالله الرمحي*

إذا كانت الجوبة قد طرقت في أعدادها السابقة مجموعة من الملفات، تناولت من خلالها أجناسا أدبية متنوعة؛ كالشعر، والرواية، والقصة القصيرة.. تلك الملفات التي أدلى فيها مبدعونا – من كتاب ونقاد- من داخل المملكة وخارجها بدلائهم وأتحفوا المتلقين في كل مكان بما حوته تلك الملفات من سحرٍ انتقل بهم إلى عوالم مختلفة في الأدب. فقد آن الأوان أن تتسلل الجوبة إلى دواخل الكتاب أنفسهم ومكامن أسرارهم؛ لتقف على حقائق وأسباب جعلتهم يتناولون ألوان إبداعهم المتميز، والمؤثرات التي جنحت بهم ودفعتهم إلى ركوب قطار هذا اللون أو ذاك.. فكان منهم الشاعر والروائي والقاص..

في هذا الملف، تستعرض الجوبة شهادات، تحكي تجارب ومسارات إبداع أولئك الكتاب في فن القصة القصيرة، التي شغلت المتلقي كثيراً بأشكالها وتجنيساتها، وأساليبها.. فكثيرا ما يكون وراء القصة قصة..! وكثيرا ما تحكي ظاهرا من القول يختلف عن باطنه.. فتذهب بذهن قارئها بعيدا بعيدا.. يفكر ويفكر.. ولكن، إلى أين؟! إلى ما لا نهاية أحيانا، أو ليستقر بلا استقرار أحيانا أخرى..

لقد ركبت الجوبة قطارها.. وسارعت تجوب عالمنا العربي الكبير، فطرقت أبوابه شرقا وغربا، شمالا وجنوبا.. سائلة أحيانا ومتسائلة أحيانا أخرى.. ماذا.. وكيف.. ولماذا؟! فكانت لها هذه الحصيلة، وكان لها هذا الملف الزاخر بالحكايات، والمؤثرات، والإبداعات.. الجديرة بالاستكشاف..

تجربتي في القصة

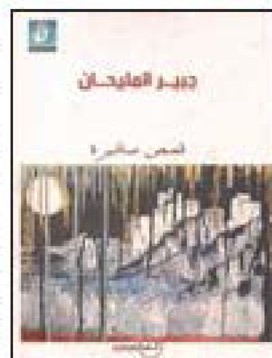
■ جبير المليحان - السعودية

عدت لماضٍ بعيد، وتذكرت حائل وقريتي قصر العشروات، وأنني قد كتبت نصاً بعنوان (حلم يتحقق) وأنا في السنة الثانية المتوسطة. شجعني صديق كان يدرس في الثانوية قائلاً: هذه قصة! كنت محتاراً ولا أعرف شيئاً عن القصة. أرسلتها في ظرف ورقي إلى برنامج (مع الشباب) في إذاعة الرياض.

في يوم الجمعة، بعد الصلاة، وأنا أقف أدير فناجين القهوة على الرجال في مجلس والدي رحمه الله، قال المذيع: قصة العدد (حلم يتحقق).. أذكر أني ارتجفت، وظل الشيخ الحاضرون، ابتسم والدي، ونهرهم الشاعر محسن الجنفاوي الممسك بجهاز الراديو أن يصمتوا ليسمع، سمعنا القصة، سلمت دلة القهوة لأخي، وخرجت إلى المزرعة، وركضت بين النخيل، حاملا فرحاً، لا أدري ما أفعل بها



بعد تخرجي من ثانوية معهد المعلمين بالرياض، وتعييني معلما في الدمام، كان مدير مدرستنا الابتدائية الأستاذ صديق جمال الليل، محرراً للصفحات الرياضية في جريدة اليوم. كان يُحضر معه عدد الأمس فأقرأ كل حرف كتب فيه، أعطيته بعض المقالات باسم (فيصل الجبير) فنُشرت. تابعت الملحق الأدبي في الجريدة، وكان يحرره الشاعر الأستاذ محمد العلي. كان مديراً لإدارة الامتحانات بتعليم الشرقية، زرته في مكتبه، وسلمته قصة «الحلم»، فنشرها في الملحق الأدبي.

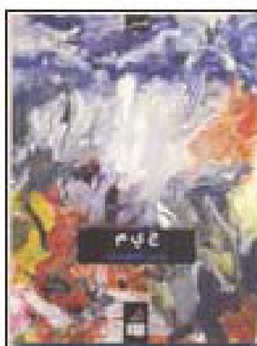


أخذت أتردد على الجريدة، وتعرفت على المحررين، وتعاونت مع الجريدة مصححا لغويا. كان مبنى الجريدة يمتلئ كل مساء بالأدباء: محمد العلي، خليل الفزيع، محمد الصويغ، عبدالكريم السبعاوي، محمد القيسي، علي الدميني، إبراهيم الغدير.. وغيرهم؛ ويأتي جارالله الحميد أحيانا. أخذت أكتب قصصا وأنشرها في ملحق الجريدة. كان ما يبهرني، هذه اللغة الجديدة في القصة والشعر. انكببت كثيرا على قراءة أغلب الإصدارات الأدبية الجديدة من بغداد ودمشق وبيروت والقاهرة. كانت الكتب تصلني من أصدقاء، أو كنت أسافر لشرائها. نشرت نصوصا في مجلة «كلمات» البحرينية، وجريدة الرياض، ومجلة اليمامة. وأصبحت أكرّس وقتي كهاوٍ لكتابة القصة. لكنني لم أُقدِم على طبع مجموعة لظروف النشر والتوزيع، وعدم رغبتي في ذلك. وقد خسرت الكثير من النصوص التي ضاعت مع أوراقي القديمة، أو في الصحف التي لم أحتفظ بأعدادها.

تجاوزني الوقت كثيرا بسبب إهمالي لنصوصي. ولم ألتفت لذلك إلا في وقت متأخر.. إذ كنت محررا لصفحة «الطفل» في جريدة «القافلة الأسبوعية» التي تصدرها شركة أرامكو السعودية، فطلبوا مني إصدار مجموعة قصصية للأطفال باسم (الهدية)، بمناسبة اليوبيل الذهبي للشركة، كهدية مجانية لمنسوبي الشركة. وقد فجعني أن الطبعة الأولى ستكون مائة وخمسين ألف نسخة توزعها الشركة بالمجان. كان ذلك عام ٢٠٠٤م، وقد تم ذلك. وكانت أول مجموعة قصصية أصدرها، وهي مكرمة للطفل.

ومع تنقلي بين الصحف (اليوم، المدينة، الجزيرة)، وتوقفي برغبتي أو إيقافي، أسست عام ٢٠٠٠م موقع القصة العربية على الشبكة، لأنشر فيه قصصي وكتاباتي. غير أن الموقع سريعا ما انتشر وتدفق! ما شجعني على طباعة كتابين من محتويات (شبكة القصة العربية)، الأول «قصص سعودية»، بدعم من الأستاذ خالد الرويشان وزير الثقافة في جمهورية اليمن، حيث دُعيتُ، وكُرِّمَ الموقع، وتسلَّمتُ خمسمائة نسخة من الكتاب. وقد ضم الكتاب سبعين نصا لقاصين سعوديين. كان ذلك عام ٢٠٠٤م. وفي عام ٢٠١١م، أصدرت الكتاب الثاني لشبكة القصة العربية بعنوان «قصص عربية»، طبع في مصر بالتعاون مع دار سندباد للنشر والتوزيع. وقد احتوى الكتاب على (١٣٥) نصا قصصيا، شارك فيها كُتاب من جميع الدول العربية. كما طبعنا كتابا ثالثا بعنوان «نورس وحيد» سيرة وتحية لزميلنا في موقع القصة العربية الأديب الكبير الأستاذ سمير الفيل، أعده الصحفي اللامع الزميل إبراهيم حمزة.









في عام ٢٠٠٨م، صدرت مجموعتي القصصية الثانية «الوجه الذي من ماء» عن نادي حائل الأدبي، منشورات دار الانتشار العربي ببيروت، وفي عام ٢٠٠٩م أصدر نادي الجوف الأدبي مجموعتي الثالثة «قصص صغيرة»، وهي المجموعة التي فازت في جائزة أبها الثقافية عام ٢٠١٠م. وكان آخر إصداراتي مجموعتي الرابعة (ج ي م) التي صدرت عام ٢٠١٢م عن دار أثر بالدمام.

ما أزال أتطلع إلى كتابة القصص، ولدي نصوص لم تنشر لسبب أو لآخر. وأنا متشبث بالقصة القصيرة، وأزعم أني أول من كتب (القصة القصيرة جدا) في السعودية! إذ كتبت إحدى عشرة قصة قصيرة جدا نشرت في ملحق (المربد) بجريدة اليوم بتاريخ ١٠/٤/١٩٧٦م، وأسميها (القصة الصغيرة)، حيث ضمتها مجموعتي القصصية الثالثة «قصص صغيرة»، التي تحتوي على ستة وستين نصا من هذا النوع.

ترجمت بعض نصوصي إلى اللغتين الإنجليزية والفرنسية في كتب وصحف ومواقع الكترونية، كما نالت إحدى الطالبات درجة البكالوريوس بامتياز لترجمتها مجموعتي (الوجه الذي من ماء) إلى اللغة الإنجليزية.



حديث الذات.. حديث الخيال
كلمات في تجربتي القصصية

▪ د. حسن النعمي - السعودية

عندما كنت في الخامسة، أخذتني أمي إلى بئر القرية، حيث تجد النساء وقتاً للثرثرة عن أزواجهن، الذين يتوعدون من تعب الحرث والرعي أذرعهم، ويناموون باكراً من تعب النهارات الصفراء..

كانت تلك اللحظة أول وعي أرصده في ذاكرتي؛ فقد عرفت أن لقريتنا اسماً كما للبشر أسماء، وأن لها روحاً تميزها. رأيت حينها امرأة غريبة عن قريتنا، تعانق أمي، وبعد التحايا.. سألت أمي عن اسم قريتنا. ردت أمي بما يشبه الاستغراب، (قرية مندر العوص). أشكلت عليّ التسمية. بعدها بحين سألت أمي ما معنى اسم قريتنا. قالت بما يشبه اليقين، يا ولدي، إنها مكان ولادة الشعراء. لم أعرف ما معنى شعراء، فازداد الأمر تعقيداً. تطوّعت أمي بأن تشرح أكثر، يا ولدي قريتنا تقع في التقاء وادي العوص بوادي حلي، فإذا جاء السيل انطلق الرجال والنساء يشربون من أوّله حتى يصبحوا شعراء. منذ ذلك الحين بيّتُّ النية أن أصبح شاعراً. في المساء رجوت أبي أن يوقظني عندما يأتي السيل، وعالجت دهشة أبي التي بدت على محياه بأني أريد أن أصبح شاعراً، تبسّم أبي، ونمتُ على أمل أن أصبح شاعراً. لكن موهبتي انحرفت نحو الحكايات التي وجدتها منجماً لا ينضب عند جدتي. منذ هذه اللحظة عرفت نكهة القرية بمعنى آخر، فقد وجدت عند جدتي قرية أخرى، لم أجدها عند أمي، أو حتى عند أبي. شعرت أنني أحب جدتي أكثر، أو أحب حكاياتها أكثر. كانت جدتي تتوسد عتبة الباب، ترقب المارة وهم غادون إلى غاياتهم. أما أنا، وأنا ما زلت دون سن الدراسة، فكنت أتوسد ركبتها أصغي إلى حكاياتها. لم أكن في الغالب بحاجة إلى طلب حكاية، بقدر ما كانت هي تبحث عن مستمع لها، يشاركها عالمها. لا أدري ما الذي كان يجذبني، غير أنني كنت أجد عالمها أكثر بريقاً، ورومانسية.. إن شئتم.

حدثتني عن شموخ جبل طلان الذي أعد لنفسه متكأ يرقب فيه مواسم القرى، حدثتني عن أن القرية لا يتبدل حالها إلا إذا نزل فايح من عقبة القرون. سألتها من هو فايح، لكنها سبحت بعينيها الضيقتين في سماء القرية، حيث بدأت تتجمع سحب الصيف. غير أنني بعد أن كبرت عرفت ما كانت تخشاه جدتي. وربما أن التعبير بنزول فايح من القرون مجرد رمز لغرابة التحوّل الذي سيصيب القرية بعد ذلك. حدثتني عن أسطورة الخضر الذي عبر فوق جبين القرى حين أجدبت، فهطل مطرها كما لم يهطل من قبل. حدثتني عن رجال عبروا القرية وتركوا تاريخاً خلف ظهورهم مملوءاً بالأسرار ورحلوا. لا أدري إذا كان مهماً أن أسمي: يحيى بلابل، وابن عنقب، ومشعان، وأبو نواس، وبنت الوزير، وحطابة، لقد حدثتني عنهم،

عن كيف جاءوا، وكيف اختفوا! حدثتني عن المرأة الخارقة التي استوطنت القرية حيناً من الزمن، جاءت فاقدة عقلها، ابتدعوا لها اسماً وحكاية. فقالوا إنها مطلقة، وكان ابنها وهو في الثالثة في حضانتها عندما جاء أبوه وأخذه، بينما كانت هي ترعى غنمها. عندما جاءت في المغيب، لم يأت ابنها لاستقبالها كالمعتاد، فلما سألت أخبروها بأن ابنها قد أكله الذئب. حدثتني عن صندلية التي أصرت على أن لا تعود حتى يتم ذبح مسعود الذي ألقاها في البئر. حدثتني عن الجن والسعالي، حدثتني حديثاً لم أجده في السيَر الشعبية، ولا في ألف ليلة وليلة، بل كل كان تجد في حكاياها، وهو ما جعلني أعتقد أنها لم تكن مجرد راوية، بل منتجة للحكايات أيضاً. حدثتني كثيراً وكثيراً.. حتى أصبحت أنوء بحملٍ من حكاياها.

حين بدأت خطواتي الأولى في المدرسة وجدت صعوبة في التأقلم. فقد كانت الحكايات مخبأة في ذاكرتي، كنت أحسُّها تتلى بين دفاتري وكتبي، كنت أراها تتقافز أمام قلمي. كنت أهرب بعد الحصة الأولى وأذهب إلى جدتي حيث كانت تجلس، وهو ما جعل العصا تلوى على ظهري. تعلمت بعدها كيف أوفق بين حكايات جدتي وعالمي الجديد.

كبرت وظلت الحكايات التي خبأتها في ذاكرتي تشدني للطفولة والقرية وجدتي. ولعل وعيي بالكتابة بعد ذلك بسنوات يعود لرغبة دفينة في إعادة القرية التي عشتها عندما كنت طفلاً. كنت أرى القرية تهرب من حكايات جدتي نحو عالم لم تستطع التصالح معه. فقد هجر الأبناء أرضهم وهاجروا وراء وهْم الوظيفة، كما تقاعد الكبار وأسلموا كفاحهم للنسيان. أما النساء، فقد سقطن سهواً خلف ظلمة الجدران المعتمة.

أشعر أن القرية التي كانت في يوم ما واقعاً أصبحت خيالاً. فحاضر القرية لم يولد من ماضيها، بل جاء وافداً بكل ما له وما عليه. والقرية

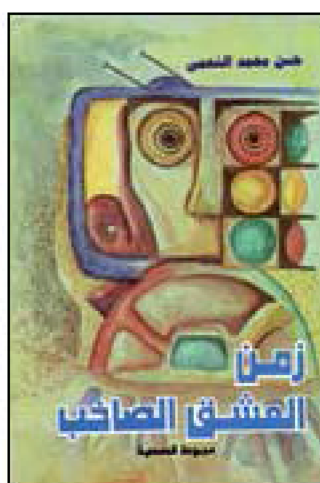
قالوا عن النعمي

التي كانت آمنة مطمئنة لم تعد كذلك. عندما بدأت كتابة القصة، كنت مدفوعاً بفطرة الكتابة نحو القرية التي تشكلت عبر واقع عشت طرفاً منه فيما مضى، كنت مدفوعاً للتعبير عن القرية التي وجدتها مختبئة في حكايات جدتي. كانت مهمتي في المجموعتين الأولى والثانية كذلك هو البحث عن هذه القرية، ثم إعادة إنتاجها، ما جعلها تبدو خيالية غير ممكنة الحدوث، رغم أنها كانت حاضرة بقوة. كتب أحد النقاد معلقاً على تجربتي بأنها تجربة تسعى إلى توظيف الأسطورة الشعبية. ما درى ذلك الناقد أن ما يراه أسطورةً كان واقعاً معاشاً، وأن ما يبدو شكله عالماً غرائبياً هو حالة الانفصام الجذري، عن عالم ليس ببعيد من الناحية الزمنية، لكنه بعيد من الناحية المعنوية.

رويت في قصصي عالم القرية كما لامسته عيناي، وكما صاغته جدتي في حكاياها.. كما رأيته في سواعد الرجال، وفي حيوية النساء وزغاريدهن وابتهاجاتهن. كنت أبحث عن دلالة

الغياب التي أورثتنا فاجعة الرحيل. رويت حكاية (مانع الأزدي) في عدم تصالحه مع المدينة، والمرأة الحارثية في تمردها وبحثها عن ذاتها، وذلك في قصة (آخر ما جاء في التأويل القروي). رويت في قصة (وللحكاية نبض آخر) كيف تُهزم الأعراف أمام جبروت الحاضر، بل أمام الفضيلة الطوباوية، رويت حكاية نايت في قصة (حولية الفجر الخامس) الذي حورب في أرضه، وفي لقمة عيشه، وفي هويته.

تركت القرية للعيش في أبها. كان الانتقال تغييراً في رؤية الحياة أكثر من كونه تغييراً للمكان، لا أزعم أني أحببت المدينة في يوم ما. المدينة بالنسبة لي فرص للعمل والترقي والتعليم، لا شيء غير ذلك. المدينة تفتقر لإنسانية الحياة. نحب المدينة للعمل، لا للحياة الطبيعية. كتبت في إحدى قصصي عن أبها.. (في مدينة متلحفة خلخالها من الضباب.. ويردها سيف شهريار. عايشت عالماً جديداً.. رأيته، قضيت يوماً كاملاً.. وجاء ليلها يدسني في حضنها الأثير..







ومن زواياها العميقة صنعت الدفء.. نادمت الخمول واستكنت في حنجرة النوم اللذيذ)، من قصة بطولات مانع الأزدي.

في أبها أكملت تعليمي المتوسط والثانوي. في هذه السنوات تكشفت لي على الأقل رغبة في الكتابة، قرأت ما لم يقرأه أقراني، استمعت واستمتعت ببرامج الإذاعة التي كانت ثرية إلى حد كبير.

في حياة معظم الناس نقطة تحوّل، تغير مسار حياة، وتخلق حياة. كنت ممن كانت لهم هذه الحالة. ببطء شديد، وبحزن أكثر جاء مرض أخي الحسين الذي كان يصغرني. كنت يومها في الأول ثانوي، وهو في الثاني متوسط. عانى من مرض السرطان، وعانى أبي وأمي ما لا يمكن وصفه. كنت أكبر إخوتي.. نُبتُ عن والدي في سفره لعلاج أخي، كبرت قبل أواني. في لحظة تيقن منها أبي ولم أستوعبها إلا بعد سنوات.. رحل أخي رحمه الله، لكن كان قد ترك في نفسي أثراً غيّر مسار حياتي. اعتزلت الحياة والمدرسة والأهل لأشهر قبل أن أعود لتلمس طريقاً حسبت أني فقدته. ما أثارني هو اللغة التي جرت على لساني وامتدت لقلمي. بدأت أكتب ما لم يكن معروفاً في محيطي الاجتماعي. اقترح أحدهم على أبي أن يرقيني عند الشيوخ، فأنا في نظرهم قد حلت بي لعنة العزلة والنفور، واستبدلتها بمنادمة الكتاب. كان مساري الدراسي طبيعياً، فلم يقلق والدي، بل خصص لي غرفة مجاورة

للبيت كانت عالمي فيما بعد.

التحدي الذي واجهته لم يكن إلا تحد نفسي. سألت نفسي: هل ما أمارسه من قـراءةٍ وكتابة وعزلة أمـراً طبيعياً؟ قررت حينها أن أعرض ما أكتب على طرف محايد. اخترت أن أنشر بعضاً مما توهمت أنه شعر في تلك المرحلة في مجلة (اقرأ) في جدة. المفاجأة أن المادة نشرت. هذا النشر أغراني بالاستمرار. لكن كان في النفس شيء. صوت جدتي يحضر كلما أردت الكتابة، وكأنها تقول: لماذا لم تبرني وتكتب حكاياتي؟!

ومثلما كان موت أخي تحوّلاً، كان طلب أستاذ التعبير كتابة قصة تنتهي بهذا البيت:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته
وإن أنــت أكــرمــت الـلـئـيـم تـمـردّا

تحولاً آخر، حدَّد مساري في الكتابة الأدبية. كتبت قصة عنونتها بـ «خاتمة المطاف»، استحسنها الأستاذ، وكانت بداية نشري للقصة، وبداية مسيرتي مع السرد كتابة ونقداً. هل أقول إنني قد وضعت قدمي على الطريق. هذا ما شعرت به، لأني شعرت بسيطرتي على نصي القصصي أثناء الكتابة، عكس الشعر الذي أجدتُ فيه ولم أُخلَق له.

في عام ١٩٧٩م التحقت بجامعة الملك عبدالعزيز، قسم اللغة العربية، حيث وجدت ضالتي من القراءات المنهجية في عوالم اللغة والأدب. كانت سنوات الدراسة الأربع تعزيزاً لقدراتي الإبداعية، وتوسيعاً لمداركي المعرفية. ما إن أنهيت دراستي الجامعية حتى قدمت مجموعتي الأولى (زمن العشق الصاخب) التي نشرها نادي أبها الأدبي في عام ١٩٨٤م. قدمتني هذه المجموعة بشكل جيد للوسط الثقافي. وأجرت جريدة عكاظ أول لقاء معي، وقبلها فُزتُ بجائزة نادي الطائف الأدبي عن قصة «سقوط الجسر» عام ١٩٨٢م. كل هذه المواقف تصنع انتصارات ذاتية وتعزز المسار، ربما انتصارات لا يشعر بها الآخرون، لكنها مهمة في تعزيز الاهتمام الأدبي وتنميته.. القصصي على وجه التحديد.

كان عليّ وقد أصبحت معيداً في قسم اللغة العربية في جامعة الملك عبدالعزيز أن أستعد للذهاب في بعثة دراسية إلى أمريكا. لم أكن مسروراً بذلك؛ لأني بدأت أجد الاهتمام النقدي والمشاركة في الأمسيات، وهو عالم لذيذ ومألوف، بينما الذهاب إلى أمريكا مغامرة مجهولة. تغلب المنطق والواقع على رغبات القاص، وكانت الرحلة الدراسية التي عدت منها وقد كشفت لي الجانب الآخر من النص القصصي وهو النقد. تخصصت في الأدب الروائي، ودرست السينما والمسرح والفلكلور، وأخذت من المعارف ما استطعت. عدت بعدها أمارس الكتابة نقداً وقصاً. وجدت في النقد ما لم أجده في القصة. فالقصة حوار مع الذات والعالم، بينما النقد حوار مع القصة والعالم. والمسافة بينهما -بالنسبة لي- واحدة، أحب القصة والنقد، ولا أشقى إلا حين أجدني قد انشغلت عنهما. فأنا دائم العهد بهما قراءة وكتابة. فبعد عودتي أصدرت مجموعتي الثالثة (حدّث كثيب قال) عام ١٩٩٩م، ولدي رواية مخطوطة بعنوان (العين السحرية). أما في النقد فقد أصدرت كتاب (رجع البصر)، وكتاب (الرواية السعودية: واقعها وتحولاتها)، وكتاب (بعض التأويل: مقاربات في خطابات السرد)، وغيرها من الكتب. ملأت القصة عالمي واشتغالاتي؛ فبت كائناً سردياً. في الوسط الثقافي أشرف على «جماعة حوار» المعنية بالقضايا السردية، وأرأس تحرير مجلة «الراوي» التي تعنى بالسرديات العربية. وفي الجامعة أقوم بتدريس مادتي السردية المعاصرة، والمسرح لطلاب الدراسات العليا.

الأحلام كبيرة، ومتعتها أن كل قصة أكتبها أو أقرؤها تبسط الحياة أمامي، إذ أرى من خلالها ما قد لا يراه الآخرون.



خالد اليوسف ومشوار القصة القصيرة

■ قاص من السعودية

جاءت القصة القصيرة منساقة مطواعة إلى قلمي، لا تكلفاً ولا بحثاً ولا اعتسافاً لمقدرتي في الكتابة الأدبية؛ فهي تعيش في دمي وخيالي وواقعي. فمنذ المرحلة الابتدائية، وتجاربي في كتابتها لم تنقطع، وبعد أن عرضت أول نصين شعرت باكتمالهما قصصياً على كاتب ومترجم عزيز عليّ من مصر الحبيبة اسمه «طه حواس»، رحمه الله، أقر وأجاز كتابتي، واعتبر خطواتي بداية لعالم واسع، سيدخلني إلى عالم الإبداع السردي، وتنبأ لي بمستقبل مشرق إذا ما واصلت الكتابة والقراءة والاطلاع والتجديد، وأشار عليّ بالمسرح؛ لأنه العمل الشامل، كان ذلك في عام ١٣٩٨هـ (١٩٧٨م).

لم أكن جديداً في عالم النشر على صحافتنا الأدبية، فهي تستقبل قصائدي وبعض مقالاتي وكتاباتي، إلا أن الجديد أن أزودها بقصة قصيرة. فنُشر لي أول نص قصصي بعنوان: «وهم المطر» في صحيفة «الجزيرة» عام ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م)، ثم واصلت بين صحيفتي «الجزيرة» و«الرياض»، والتقيت وقتئذ الرائد والأديب الكبير الأستاذ/ عبدالعزيز الرفاعي، رحمه الله، بعد انضمامي إلى المجلة المدرسية «عالم الكتب» أواخر عام ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م)، وكان وجودي فيها كمحرر متخصص في عالم المكتبات والمعلومات أثناء دراستي الجامعية، ودار الحديث معه حول الكتابة الأدبية والإبداع والنشر، وأخبره أستاذي الدكتور يحيى الساعاتي أني قاص وشاعر، فطلب مني قصة جديدة، ففرحت وأحضرت له ما بين يدي من جديد.. فأعجب به، واختار قصة منها، وأخبرني أنه سيرسلها إلى المجلة العربية، بصفته عضواً في الهيئة الاستشارية لها، القصة التي اختارها كانت بعنوان: «وجفت الأرض»، وهي أول نص قصصي ينشر في الدوريات الشهرية، ولم يكتفِ، رحمه الله بذلك، بل استمر يسألني بين وقت وآخر عن الجديد، ويشجعني على مواصلة الكتابة والنشر، طبعاً تم هذا إضافة له مع الأستاذين عبدالرحمن المعمر، والدكتور يحيى الساعاتي.

هذه البدايات، المحتفية بكتابة ونشر القصة

القصيرة، حفزتني لمواصلة كتابتها، ثم وجدت أن عالمها أكبر وأوسع مما أتوقع وأتخيل، فحرصت جداً على قراءة كل ما يقع تحت يدي في الثقافة والأدب، بل سعيت لاقتناء مجموعات كثيرة محلية وعربية وأجنبية، ثم رأيت المنافسة من حولي بأقلام أصدقائي والجيل الجديد، وهم: عبدالله العتيق، فهد العتيق، عبدالعزيز الصقعبي، تركي العسيري، الجوهرة المزيد، حسن النعمي، أحمد الدويحي، حصة العمار، خالد اليابهود، رقية الشبيب، أحمد المهندس، سعد الدوسري، شريفة الشملان، صالح الأشقر، عبدالله بامحرز، يهية بوسبيت، عبدالله السالومي، عبدالله الكويليت، فوزية العريفي، عبده خال، نجاة عمر، محمد علي الشيخ، مريم الغامدي، علي الشامي، قماشة العليان، مسفر القحطاني، سهلي بن سهلي عمر، الجوهرة العسعوس، جبرين الجبرين، فوزية الجارالله، محمد الشمري، عهود الشبل، خالد باطرفي، نجوى هاشم وغيرهم، وتم لنا النشر المتواصل في الصفحات الأدبية، وهي النافذة الوحيدة لنا جميعاً، واتسعت المنافسة حينما بدأت القصص تُنشر بأسماء كاتبات سعوديات. واتسعت الدائرة بعد اهتمام المتابعين من نقاد ودارسين لتحليل ما يُكتب ويُنشر من قصص جديدة، وجاء الحافز الكبير حينما أصدرت الصفحات الأدبية ملاحق خاصة عن القصة القصيرة في المملكة، تضم



نصوصاً وندوات ودراسات وشهادات لعدد من الكتّاب؛ إلا أن المواقف المساندة لهذه الحوافز والمنافسات هو دخولي إلى فريق عمل إصدار ملف القصة السعودية، الذي أصدرته مجلة «عالم الكتب» عام ١٤٠١هـ (١٩٨١م)، ثم ملف جمعية الثقافة والفنون، العدد الرابع، في رجب ١٤٠٢هـ (أبريل/ مايو ١٩٨٢م)، وغيرهما.

تم تتويج هذه الحيوية الإبداعية بطلب وصلني من جمعية الثقافة والفنون بالرياض لإصدار مجموعتي القصصية الأولى، فعكفت على اختيار ما يتناسب نشره في كتاب، وكان بين يدي حصاد خمس سنوات من الكتابة القصصية، وهي تزيد على (٦٠) قصة قصيرة، وقدمت للجمعية مجموعتي التي عنونتها «الجماجم تنخر من الداخل» إلا أن الإعلام رفض العنوان، فاخترت: «مقاطع من حديث البنفسج» عنواناً بديلاً، فقُبل ونشرت المجموعة الأولى، التي احتوت على سبع عشرة قصة قصيرة، صدرت مع بدايات عام ١٤٠٤هـ (١٩٨٤م)، واستقبلت بحفاوة كبيرة، ونُشر عنها دراسات وقراءات كثيرة في الصحافتين المحلية والعربية، ولم يصدر حينها مجموعات قصصية من جيلي إلا الكتّاب: عبدالله السالومي/ شروخ في وجه الإسفلت، رقية الشبيب/ حلم، محمد علي الشيخ/ العقل لا يكفي، حسن النعمي/

زمن العشق الصاخب، عبدالله العتيق/ أكذوبة الصمت والدمار، خالد باطرفي/ العام ٢٤، عبدالعزيز الصقعبي/ لا ليلك ليلي ولا أنت أنا، أحمد المهندس/ حبيبتك يالصيف.

إلا أنّ عام صدورها صادف بداية ذروة حركة الحداثة، وزعزعة السائد والمتفق عليه؛ الحداثة التي غيّرت في معالم وخرائط ومفاهيم وأفكار، بدأت تتكون وتتبلور وتبرز على الساحة الثقافية، لكن سرعان ما أجهزت عليها بالفرقة والتشتت، وهي لا تزال في مرحلة التبرعم؛ بسبب تطرف ما تطرحه، أو عدم الفهم الحقيقي للحداثة، أو لتداخل أوراقها مع معطيات الحياة الأخرى، وهي بداية تعددية الأصوات الكتابية والإبداعية والنقدية والكتلية، والقارئ لتلك الفترة سيرى أنها ليست للشعر فقط، وإنما هي كذلك للقصة القصيرة، ما أخرج أسماءً وكتاباً، كل واحد يريد الدفاع عن توجهه وكتابته، الشعراء انقسموا على أنفسهم ليكونوا شعراء القصيدة العمودية الخليلية، وشعراء قصيدة التفعيلة، وشعراء قصيدة النثر، ولكل فئة نقادها ومريدوها ومنظروها والمدافعون عنها، والقصة القصيرة التي لم تتفق أقدامها بعد، تأثرت بهذا الانجراف والفرقة والضياع، وراء مدارس نظرية أو غير قابلة للواقع، فأصبح هناك القصة الواقعية، والقصة التقليدية، والقصة التجريبية، وتحت هذه أصناف وأنواع، والقصة اللغوية البنائية؛ إلا أن القصة القصيرة حظيت، فيما بعد، بمتابعات نقدية عقلانية وواقعية، حركة نقدية بعيدة من الإضرار بالمنجز الإبداعي في بناء وحدة القصة القصيرة. وهؤلاء النقاد والدارسون متعددو الاتجاهات والفهم، وينتمون إلى مدارس نقدية متأصلة؛ فنالت القصة القصيرة السعودية اتفاق الجميع، ورضي عنها كثير من المتابعين، مثل: سعد البازعي، راشد عيسى، فايز أبا، منصور الحازمي، فؤاد نصر الدين، محمود الحسيني، محمود رداوي، يوسف نوفل، سعيد السريحي، أحمد سماحة، طلعت صبح السيد، عبدالرحمن شلش، أمل الصباغ، محمد الشنطي، نسيم الصمادي، نصر عباس، سباعي عثمان، خالد المحاميد، محمد الطيب، مختار الكسار، عالي القرشي، حامد بدوي وغيرهم.





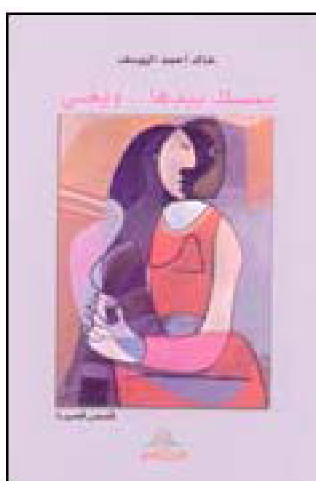
مرت هذه المرحلة بالنسبة في بروافد أخرى، إذ كنت

أتعاون في نشر اللقاءات الأدبية مع الشعراء والكتّاب والمفكرين في صحافتنا المحلية، وبخاصة صحيفة الرياض، ثم الجزيرة، ثم المجلة العربية، ونُشر لي في هذه المرحلة أول أعمالي البيليوجرافية، التي حللت فيها المجلة العربية بكشاف شامل، ولم تنته هذه الخطوات إلا بانضمامي للعمل الصحافي في الجريدة المسائية، التي بدأت من خلالها منافسة الصحف الأخرى بالنشر الإبداعي القصصي، والتركيز عليه، لاسيما بعد تعاون الأستاذ راشد عيسى بالكتابة النقدية المنتظمة، والمتابعة القرائية للإنتاج الإبداعي.

جيلنا هو جيل الثمانينيات الميلادية، أومابعد الأربعمائة للهجرة، إلا أنهم ليس كل ما ذكرت، ولكن في نصفه الأخير جاءت أسماء عاشقة للقصة القصيرة، وبحضور منافس، واقتدار أدبي، وتمكن فني، وإحساس إبداعي، وتاريخياً وفنياً لهم امتداد طبيعي وهم: عبدالحفيظ الشمري، جبريل أبودية، ليلى







الأحيدب، سعود الجراد، خالد خضري، يوسف المحيميد، بدرية البشر، أميمة الخميس، فهد المصبح، أحمد إبراهيم يوسف، عبدالله السحيمي، عبدالرحمن الدرعان، أمجاد محمود رضا، عقيلي الغامدي، عمرو العامري، فاطمة حسين بن طالب، فوزية الجارالله، محمد منصور مدخلي، منيرة الغدير، لطيفة الشعلان، نجوى غرباوي، وفاء الطيب، تركي الناصر السديري، قماشة العليان.

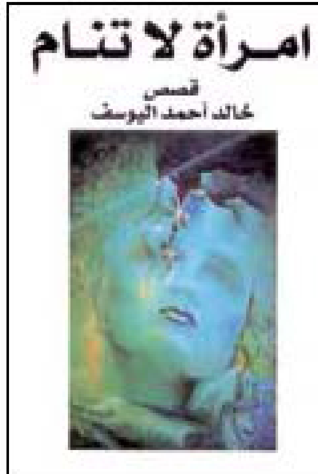
أصدرت مجموعتي القصصية الثانية «أزمنة الحلم الزجاجي» عام ١٤٠٧هـ (١٩٨٧م)، وصاحب عام صدورها صدور عدد من المجموعات الثانية لكتّاب من جيلي، وهم: رقية الشبيب، محمد علي الشيخ، خالد باطرفي، حسن النعمي، عبدالله محمد حسين (السالومي)، أحمد المهندس، سعد الدوسري، وعبدالعزيز الصقعبي.

أما الذين أصدروا مجموعاتهم الأولى من الجيل نفسه فهم: عبدالرحمن

الدرعان، بهية بوسبيت، فهد العتيق، شريفة الشملان، فهد المصيبح، أحمد الدويحي، عبده خال، صالح الأشقر، علي الحبرتي، عبدالله محمد حسين (السالومي)، عمرو العامري، وهناك من أصدر مجموعته الأولى والوحيدة حتى الآن، وهم: أحمد إبراهيم يوسف، وفاء حسن منور، نجوى هاشم، سليمان الشراري، تركي العسيري، نجوى مؤمنة.

وبعد سنتين من العمل التحريري الثقافي في جريدة «المسائية» الذي عمق الاهتمام لديّ بالقصة القصيرة كتابةً ونشراً، ليس في مسيرتي الخاصة، وإنما في الساحة المحلية كافة؛ إذ إنني سعيت إلى التركيز على نشر النصوص القصصية ودراستها، ومنافسة الصحف الأخرى التي تضع الشعر في صدر صفحاتها، بأن تكون القصة القصيرة في صدر الصفحة الأولى من الملحق. وهذا جديد على الساحة الصحافية، بخلاف نشر القراءات والدراسات







عن التجارب والكتابات القصصية، وبداية نشر الببليوجرافيا الأدبية السعودية، التي من خلالها تابعت حركة النشر والإنتاج الأدبي السعودي لرصده وحصره، والكتابة عنه، وبعد ذلك، جاء العمل الشامل والأعمق من خلال نادي القصة السعودي -هذا القسم الصغير من اللجنة الثقافية في الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون منحته الكثير والكثير من أجل علو وبناء مكانة كبيرة للقصة عامة في المملكة العربية السعودية- والذي من خلاله انطلقت من كتابتي الخاصة إلى الكتابة العامة، والحراك السردي في المملكة، ومن خلاله تم التفاتي إلى نشر الكتب ودورية الواحات المشمسة، وإقامة الأمسيات القصصية، والندوات والمحاضرات، وتفعيل المسابقات السنوية في كتابة القصة القصيرة، وإنشاء مركز المعلومات والمكتبة، وربط النادي بغيره من الأندية المشابهة عربياً، ونزعت كل نجاح لي لأن يكون باسم النادي، لهذا قدمت

كل ما أملك من كتب خاصة بي – المجموعات وقصاصات الصحف والمجلات والكتب النقدية – لهذا النادي؛ فجاءت النتائج باهرة ومفرحة، وتنبئ عن تفاعل كبير من الوسط السردي والثقافي، وخرجتُ من النادي وهو في قمة نجاحه.

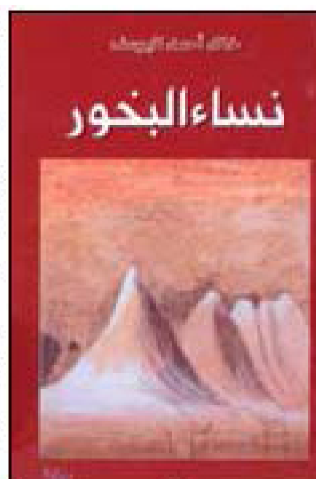


في بداية هذه المرحلة، أصدرت كتابي (الراصد)، وهو: ببليوجرافيا راصدة حاصرة للقصة القصيرة في المملكة العربية السعودية خلال عشر سنوات ١٤٠٠هـ – ١٤١٠هـ، وهذا الكتاب جاء بعد مغامرة في إصداره ونشره وطباعته على حسابي الشخصي، وأحدث لدي قلقاً من عدم استقباله والإقبال عليه لشدة خصوصيته، لكن بعد مضي الوقت فوجئت أنه تحول إلى مقرر وأداة ومفتاح لكل دارسي القصة القصيرة في السعودية، والكل يطلبه ويبحث عنه، بعد أن تخلصت من نسخه الكثيرة بالإهداءات والتوزيع المجاني، وقد فتح عليّ باباً في مواصلة البحث الببليوجرافي وطرح دراساته وبحوثه ونشرها لكي تخدم الدارسين للأدب السعودي، وبخاصة القصة القصيرة التي تصاعدت الرسائل الجامعية عنها.

في عام ١٤١٤هـ(١٩٩٤م) أصدرت مجموعتي القصصية الثالثة: «إليك بعض أنحائي».

وفي هذه المرحلة كان التنافس بين أبناء هذا الجيل قوياً، فقرر عدد منهم إصدار مجموعته القصصية الأولى بعد أن تأخر كثيراً في جمع نصوصه القصصية، وتصاعد التنافس في كتابة القصة القصيرة ونشرها في هذا العقد، وخرجت أسماء جديدة تستحث الأولى للمواصلة أو التراجع ثم التوقف أو التحول إلى كتابة أخرى، فعزمت على إصدار مجموعتي الرابعة «امرأة لا تنام» عام ١٤١٩هـ(١٩٩٩م).

أثناء هذه الفترة ١٤١٩-١٤٢٠هـ (١٩٩٩-٢٠٠٠م) كانت الثورة التقنية المعلوماتية في بداية وهجها.. فجذبتني للاستفادة منها، فأسست موقعاً على شبكة «الإنترنت» تحت عنوان: «الراصد» لخدمة السرد نصاً وأخباراً ومتابعة، وقد تلقته الساحة بالقبول، على الرغم من تواضع الإمكانات الفنية، إلا أن ما يشفع لي المادة العلمية التي تتجدد، والمتابعات التي كنت أزود القراء بها، وبسبب عدم التفرغ فنياً وإدارياً توقف بعد عامين من النشاط الرائد في هذا المجال، ثم انضممت للتعاون في المجال نفسه مع الأستاذ جبير المليحان، عند تأسيس



موقع القصة العربية، وكذلك أسست موقعاً باسم نادي القصة السعودي يختص بكل أعماله ونشاطه، واستمر تأكيد عملي وخطواتي البحثية في مجال الببليوجرافيا؛ فسخرت كثيراً منها لكتّاب القصة الرواد، فأخرجت عدداً منها ونُشر في الدوريات المحلية، إضافة إلى تواصلي مع عدد من المطبوعات العربية لإصدار ملفات خاصة بالقصة السعودية، بل إن القائمين على الدوريات الأدبية محلياً وعربياً أصبحوا يتواصلون معي ويكلفونني بهذه المهمة بعد نجاح الملفات السابقة، مثل دورية الراوي، التي يصدرها نادي جدة الأدبي، وقد اتفقوا على ترشيحي ضمن هيئة التحرير وعملت معهم فترة من الزمن.

في العام ١٤٢٩هـ (٢٠٠٨م) أصدرت مجموعتي القصصية السادسة، التي عنونتها بـ «المنتهى.. رائحة الأنثى» لتؤكد عشقي ومساري الذي خططت له في مشروعي القصصي. ثم أسست لعملٍ مرجعي كبير، استنفد أربعة أعوام من العمل المتواصل، حتى صدر مع بداية عام ١٤٣٠هـ (٢٠٠٩م)، وهو كتاب: «انطولوجيا القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية: نصوص وسير» مع مقدمة تاريخية فنية. وهذا الكتاب خلاصة جهود متواصل من خلال تجربة إصدار الملفات الخاصة بالقصة القصيرة في السعودية، وتواتر مكان صدورها داخلياً وخارجياً، من مطبوعات ودوريات متخصصة بالأدب والثقافة، وتم إقرار عدد منها كمراجع ومصادر في دراسة الأدب السعودي؛ لاحتوائها على مادة ثرية وغنية للباحث والدارس والناقد، وهو ما حصل كذلك لهذا الكتاب الذي اعتمد عليه عدد من هيئات التدريس في جامعاتنا السعودية.

ومع بداية العقد الجديد ١٤٣٢هـ(٢٠١١م) أصدرت مجموعتي القصصية السابعة وعنونتها بـ «يمسك بيدها.. ويغني» مع مواصلة كتابتي ونشري للجديد من القصص القصيرة والقصيرة جداً، التي نالت مزيداً من الاهتمام في مجموعتيْ الأخيرتين، ثم مع بداية هذا العام ١٤٣٣هـ(٢٠١٢م)، ها أنذا أجدد الحرص والاهتمام بإنشاء صفحات تهتم بالقصة القصيرة في السعودية عبر موقع: الفيسبوك العالمي، تحت مسمى "نادي القصة السعودي"؛ ليضم النصوص الجديدة والقراءات والأخبار والتواصل بين كتاب القصة ومحبيها وعشاقها، وحث الأجيال للتواصل فيما بينها، وبخاصة مَن توقف أو انقطع من جيلي، جيل ١٤٠٠هـ(١٩٨٠م)، وقد بدأت تدشينه وأول خطواته بنشر بدايات القصة القصيرة في بلادي، من خلال الكتّاب والمجموعات والدوريات، مستفيداً من تقنيات كثيرة. ولعل الصورة أهم وأسرع وسيلة تخدم ثقافتنا، فكانت مرافقة لعدد من الكتابات. وتتسابق الخطى والطموحات من أجل القصة القصيرة في بلدي، وأملي أن انتهي قريباً من كتاب يخص القصة القصيرة كذلك، وهو: "معجم الإبداع الأدبي في المملكة العربية السعودية: الجزء الخاص بالقصة القصيرة".



حكايتي مع كتابة القصة القصيرة

الذّاكرة والتّجربة والتّكوين

■ الأديبة الأردنية: د. سناء الشعلان

المعتاد والتّقليدي أن يتحدّث المبدع عن تجربته من زاوية الأرخنة والجرد والتّصنيف والعرض، وهذا أمر يشبه التعليب وجدولة المواعيد، ولا علاقة له أبداً بجسد الإبداع. ولكنّني أؤمن بعمق بأنّ الحديث عن الإبداع لا يكون إلاّ بالإبداع نفسه، تماماً كما لا يكون الحديث عن الأخلاق إلاّ بممارستها، وهكذا تتحوّل من فكرة إلى حقيقة.

الإبداع بالإبداع

لا أفهم البوح عن فن القصّة إلاّ بالقصّة ذاتها، تماماً كما لا نفهم الحديث عن الحياة إلاّ بالحياة، أو معاينة مغامرة الموت إلاّ بالموت نفسه؛ ولذلك لا أرى جدوى من التنزّه في عوالم سناء بعيداً عن القصّة؛ فذلك عبث بحت؛ فسناء بلا دروب القصّة أرضٌ مضيّعة صمّاء بلا خرائط. سناء المبدعة والإنسانة هي جمع حكايا متلاطمة السّرد، متواترة التّأثير فيّ وفي منجزي الإبداعي كاملاً.

حكاية (١)

هما كانا بلا ذاكرة تمنّي، عندما وهبهما الزّواج هدية فوريّة إجباريّة، اسمها سناء. على عجل، اختارا أن تكون الهدية ذكراً يحمل اسم الجدّ، وملامح الجدّة نزولاً عند رغبات مزدوجة بتخليدهما، فكانت الهدية فتاة، لا تخلّد اسم الجدّ المنسي، ولا تشبه الجدّة الشمطاء، نكاية بالأم أسماها الأب سناء؛ لتذكّره بحبٍّ بائد من الزّمن الغابر، ونكاية بالأب أسمتها الأم سناء لتحبس ذكرياته في وجه ابنتهما، ونكاية بالأب والأم أسمت الطّفلة نفسها سونا؛ لأنّها تكره الأسماء التي على شاكلة كلمة مواء!

حكاية (٢)

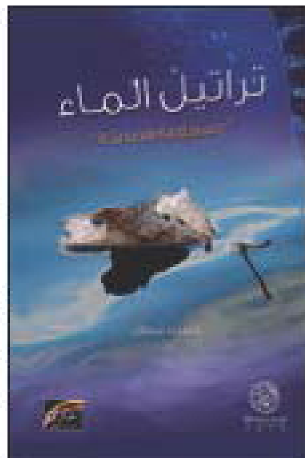
الطّفلة الصّغيرة كانت أعجوبة الجميع، والجميع كانوا أعجوبتها، وزّعوا ملامحها وصفاتها بمنطق المحاصصة على كلّ أفراد الأسرة، حتى أنّها كانت تشبه الدّاية أم محمود بقدرتها على زمّ شفتيها كلّما انزعجت، إلاّ ابتسامتها الدّائمة لم يستطيعوا أن يعرفوا لها موروثاً؛ فعقدُ الحاجبين تقليدٌ أسريٌّ ووطنيٌّ مقدّسٌ؛ لذلك كانوا كلّما أرادوا أن يُضحكوها يحزنونها بشدّة، فتخدعهم وتضحك بقوة كلّما أحزنوها؛ فكبرت مراوغة لكلّ المشاعر؛ تبكي

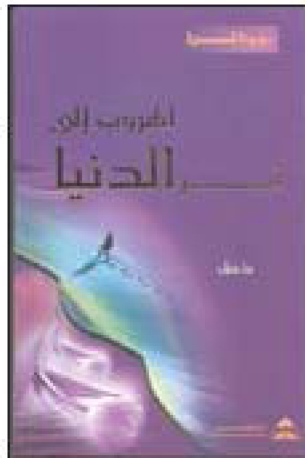
عندما تفرح، وتضحك عندما تحزن، وتأتي عندما تغادر، وتغادر عندما تأتي.. ففرح الأهل بهذه الطّفلة المسلّية، وضحكت كثيراً لهم، ولم يدروا أنّ ضحكها بكاء!

حكاية (٣)

الطّفلة الصّغيرة ذات طباع غريبة، ترى ما لا يُرى، وترتطم بالحائط؛ لأنّها تصمّم على أنّ هناك باباً فيه، يأخذونها إلى طبيب العيون ليضع لها نظارة تصحيح بصر، فيعطيها الطّبيب بدل ذلك حلوى من النّوع الرّديء جبراً لخواطر الكبار لا لخاطرها الفولاذي غير القابل للكسر، واعتذاراً لهم عن صحّة بصرها!

في المساء، تحدّث والديها عن الذّيل المشعور الرّطب الذي تملكه إحدى قريباتها، وعن فكيّ القرش اللذين يملكهما الجدّ، وعن الأطفال الذين أكلتهم أمّنا الغولة التي تسكن الطّابق العلوي، وعن دعوة حفل الرّبيع التي وصلتها من الجدّ سنفور يبدي ضفدع أزرق، وعن زعنفة السّمكة التي تملكها في جسدها، وعن الأقزام الذين تربّيهم سرّاً في خزانة المطبخ، فيقرّر الأب أن يأخذها إلى طبيب عيون آخر يأخذ خمسة دنانير بدل دينارين، ولكنّه يجيد علاج ابنته ذات العينين المريضتين، والحكايا الحولاء، وتبحث لها الجدّة الهبلة عن حجاب عين؛ أمّا الأم فتشتري لها قلماً ودفتراً لتكتب ما تراه ولا يراه الآخرون؛ فهي تعلم أنّ سونا ستكتب من دون توقّف.







حكاية (٤)

الطّفلة الصّغيرة تنعم بحبّ عريض، وبحشد من الأمهات، فماما ماما تعني والدتها، وماما (تيتا) تعني جدتها، وماما (خالتو) تعني خالتها الوحيدة أو زوجة خالها الكبير التي تحبّها حدّ التعلّق، وماما صباح تعني الجارة الشيشانيّة الجميلة، وماما الغولة تعني كلّ تلك الأمهات عندما تغضب منهنّ، وماما الطّيّارة تعبير تصف به كلّ امرأة لا تحبّها، فتشبّهها بالسّاحرة الشّريرة التي تطير على مكنسة، فيضحك النّاس؛ لأنّهم لا يعرفون معنى كلمة طيّارة، وتضحك هي لأنّهم لا يعرفون معنى ما تقول، وتتوعدها الأم بالعقاب لوصفها النّساء بالطّيّارات، ثم كعادتها لا تعاقبها؛ لأنّها تكون مشغولة بالضحك السّري من كلمات ابنتها الشّقيّة عن

أيّ شيء آخر!

حكاية (٥)

حشد أمهاتها يؤمنّ بها، ماما ماما تحكي لها القصص، وتصدق كلّ حكاياها الكاذبة، ماما (خالتي) تسمح لها بأن تفسد كلّ ترتيب بيتها ومطبخها لتصنع ما على هواها، كي تعبّر عن ذاتها بكل الأشكال حتى بالفوضى، ماما صباح تؤكد أنّ عينيها الزرقاوين هما هبة من الجيران الشيشان والشركس، ولذلك فقد ورثت بهما كلّ حكايا سرسوقوا ونارت، وحظيت برؤية مائيّة للأشياء بدل رؤية صحراويّة جافة، وماما الشيطان هي من تطاردها في أحلامها ويقظتها، وتلقي في نفسها قصصاً لم تعشها، لكنّها تجيد الحديث عنها، وتقول بسم الله الرحمن الرحيم، ينفر ماما الشيطانة، ولكنّ قصصها تظل عالقة في خيالها حتى تمليها على والدتها في دفتر صغير، فهي لا تجيد الكتابة وهي ذات خمس سنين، وقصصها لا تجيد الانتظار حتى تكبر لتكتبها.

حكاية (٦)

الجميع، وشارون يخاف من الدم، ولذلك يقتل وهو مغمض العينين، وشبكات التلفزة تبثّ بشكل مباشر مذابح صبرا وشاتيلا، وهي تشاهد كلّ التفاصيل بفزع صامت.

ينتهي الاجتياح، ويوزع الموت مجانياً على كلّ فلسطيني مخيم صبرا وشاتيلا، وتشرع قنوات التلفزة بث أفلام عربية عاطفيّة تنتهي بقبل شهويّة مسطوطة، وموسيقى رومانسيّة غير مناسبة للأحداث. وتظلّ أكفان موتى صبرا وشاتيلا تطاردها، تتخيل الموت يسكن ستائر البيت، فلا تنام ولا تدع أحداً ينام، فيكون الخيار أن تصبح لاجئة عاطفيّة في بيت خالها حتى تنسى أكفان الموتى الملطّخة بالبياض!

يطول المقام في بيت خالها، ينسى الجميع الأكفان إلّاها، تكتشف أنّها تخاف الأكفان، لأنّها أجساد بلا وجوه وبلا ملامح، تشرع تتخيّل لها وجوهاً، وتتخيّل للوجوه حكايات ترويها لأترابها من أطفال الأسرة، فيأنس الأطفال بما يسمعون، وتكف الأكفان عن

هم يعتقدون أنّها أصغر من أن تخاف، والصّهاينة يريدونها أن تخاف وأن يخاف

مطاردتها في اليقظة، وتسكن أعماق أحلامها للأبد.

حكاية (٧)

تتعلَّم الكتابة والقراءة في أشهر قليلة، المعلمات يسمين هذا ذكاء، أمّها تسمّيه وراثة جينية، ولكنّها تعلم أنّ الحكاية هي السّبب! فهي تريد أن يتحرّر قلمها من سيطرة أمّها لتكتب ما تشاء ومتى تشاء، من دون أن تنتظرها بفارغ الصّبر حتى تنتهي من أعمالها المنزليّة الموصولة، لتملي عليها ما تحاصره طوال النّهار في نفسها من حكايا قد تتفلّت وتهرب قبل أن تحبسها في ورقة أثيرة، تجيد أن ترتبها في مكانها في الدّرج الوحيد في خزانتها الخشبيّة الخضراء القديمة.

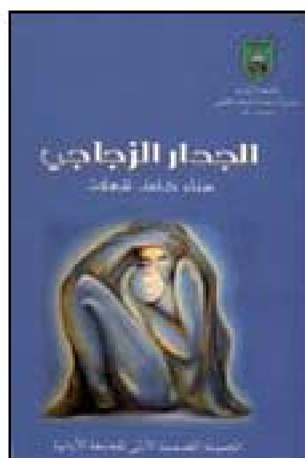
حكاية (٨)

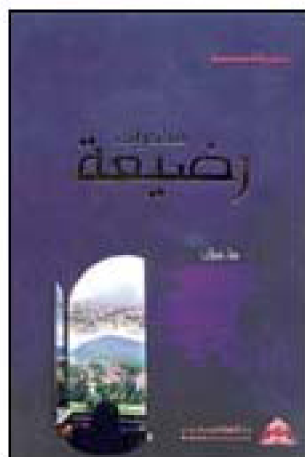
العالم يصبح أرحب عندما تمسك بالقلم، وتبدأ بالكتابة. تكتشف أنّ العالم كله مصنوع من مادة الحكاية، لذلك تفهم العالم بمنطقها، وتتعامل معه وفق منطق الشخوص والزّمان والمكان والعقدة والتأزم والحلّ والرؤية واللغة. كلّ شيء له حكاية، وهي تتقنها! ولذلك تحصل على علامات كاملة في جميع المواد لأنها مواد تجيد الحكايا، أمّا الرياضيات فتخفق فيها دائماً؛ لأنّ الأرقام لا تحبّ الحكايا، ولها منطق آخر لا تفهمه!

حكاية (٩)

الطّفلة الصّغيرة، لها عادات غريبة، ولها دفتر أزرق صغير برّاق الغطاء، تجمع فيه الكلمات الجديدة التي تسمعها، ولا تعرف معناها، ولكن تُعجب بجرسها الموسيقي، تردّدها كثيراً بفرح حتى تألف لفظها. بعضهم يرجّح أنّ الطّفلة مجنونة، الأم الخائفة تراهن على مستقبلها المشرق الفيّاض بالمُنى، ووالدتها تشرح لها معاني الكلمات الموسيقيّة التي تجمعها بفرح مَن يجمع أصدافاً من بحيرة مسحورة، ولا تعنيها آراء النساء الثّرثارات!

حكاية (١٠)





الطّفلة الصّغيرة تحصل على جمهور من القرّاء لقصصها، التي تنتجها بطريقتها الخاصة ومن مصروفها المدرسيّ بطريقة التبادل الحرّ؛ فمقابل أن تقرأ صديقاتها ومعلماتها وزوجة خالها وأمها وأترابها في الأسرة قصصها، فهي تعطي شطائرها لصديقاتها في المدرسة، وتظلّ بلا طعام في الاستراحات المدرسيّة، وتكفّ عن شقاوتها في الحصة لإرضاء معلماتها، وتنظّف المطبخ الذي دمّرته دماراً شاملاً في بيت زوجة خالها، وتنظّف سجادة الزّدهة في البيت إكراماً لأمّها، وتتنازل عن زعامة عصابة أطفال الأسرة لابنة خالها!



ومن يثبت بالدليل القاطع بأنه لم يقرأ القصة بعد أن تهاجمه بالأسئلة عيار أرض جو، فهي تُعلن عليه حرباً طفولية لا تعرف هوادة أو صلحاً، وتصفه: بالحمار الصغير أو الكبير وفق درجة غضبها منه!

حكاية (١١)

الطفلة الصغيرة تحبّ الكلمة بكل تجلياتها؛ تحبها مكتوبة بشكل حرفيّ، أو مغنّاة بشكل صوتيّ، أو مرسومة على لوحة. تجيد الرّسم كثيراً، وعندما تُعييها الكلمات، ترسمها تفاصيل على ملامح وجوه من ترسمهم. تتجادل والدتها وزوجة خالها كثيراً في طور التخمينات لمستقبلها، الأم تراها رسّامة شهيرة، وزوجة الخال تراها روائيّة مجيدة، وهي تبحث عن مبراة لقلمها، ولا تأبه بهذا الجدال المكرور.

حكاية (١٢)

الطفلة الصغيرة تحقق كلّ ما تحلم به بمنطق الحكاية، فتهب وتحرم وتنتقم وتعشق وتبكي وتضحك وتنسى وتتذكر وتمرض وتشفى وتزور وتهجر بمنطق القصة، حتى أنها تنتقم بالقصة؛ فالذين تكرههم تحيك لهم حكايا شريرة، والذين تحبهم تصنع لهم حكايات ذات تعريبات هلاليّة وقصائد طلليّة، والقاهرة التي تعشقها ستزورها عندما تفوز بجائزة المجلس الأعلى للثقافة والفنون في حقل الرّواية، هذه هي الحكاية التي حاكتها عن زيارتها المأمولة للقاهرة.

تشارك في المسابقة السنويّة برواية لها بعنوان «عازفة القانون» عمرها عندئذ لا يتجاوز العاشرة، تظلّ تسأل أمّها كلّ يوم إن كانت القاهرة قد اتصلت بها؟ الأم تومئ بالنّفي، وتقول لها قد يفعلون ذلك غداً. وتنتظران معاً غداً الذي يأتي من دون اتصال من القاهرة، هي لا تعرف لماذا لم تتحقّق حكايتها مع القاهرة، أمّا أمّها التي رافقتها حتى البريد المركزي في وسط عمان القديمة، ودفعت ثمن الطّرد المستعجل الذي حمل مشاركتها في خمس نسخ مطبوعة إلى القاهرة، فتعرف أنّ لا اتصال سيأتي من جائزة عربية عريقة يشترط أن يكون عمر المتسابق فيها فوق الأربعين، وترفض مشاركات الأطفال الطّامحين للحكاية مثل ابنتها الصّغيرة ذات الأعوام العشر!

حكاية (١٣)

حكايتها الجديدة أنها خلعت جسد الطفلة، ولبست جسد امرأة.. كلّ شيء فيها غدا أكبر، إلاّ عينيها؛ فهما لم تصبحا أكبر، ولكنّهما أصبحتا أشدّ عُمقاً. غدت تجيد أن ترى الحكايا في كلّ مكان، تراها على الجدران، في ظلال الأجساد، في سيرة النّظرات، في تقاسيم الأيدي، في جغرافيا الشّعر، في حسيس الحروف، في رائحة الأجساد، في نبض الأماكن. دائماً هناك حكاية، وهي تجيد أن تشمّها، أن تحسّها، أن

تنزفها، أن تكتبها. دائماً هناك حكاية، بعضهم يسميها قاصة، وآخرون موهبة، وغيرهم يسميها مجنونة، ولكنها تعرف أنها تملك عينين تجيدان الرؤية خلف الرؤية.. وهذا سرّ سعادتها المافزة! ولسعادتها حكاية أيضاً.

حكاية (١٤)

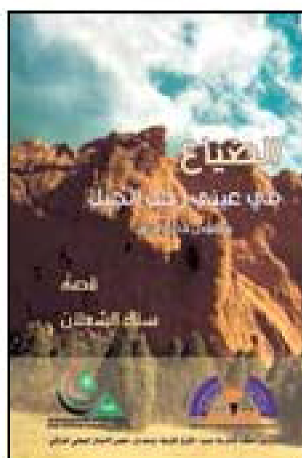
الحياة هزيمة كبرى، وهذه الحكاية الأولى في عُرفها، وكي تنتصر على الهزائم كلها.. لا تنقطع تكتب الحكايا. من الهزيمة صنعت أطواق النجاة! ومن الموت صنعت بشراً لا يموتون! وفي الفقد زرعت أطرافاً لا تبتر، وأعضاء لا تعطب، ووهبتها لكلّ المحرومين والمنكوبين، بعد أن نبتت أحلاماً وفرصاً جديدة! ومن سنابل الجوع صنعت بطوناً لا تعرف الخواء! ومن عناقيد الحرمان جدلت جدائل الألفة والسكينة والحبور. هي لا تملك غير الحكاية، تهبها مجاناً لكلّ سائل أو حزين أو باحث عن طريق، تزرعها تحت مخدتها، وتنام بعد أن تتعوّذ بها من الشر الذي لا يمكن أن يمسّ امرأة تتمترس خلف فضيلة الحكاية!

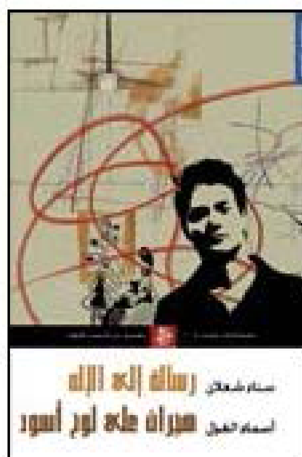
حكاية (١٥)

الذين لم يأتوا حقيقة استولدتهم قهراً في حكاية، الذين ما كان يجب أن يأتوا نفتهم إلى حكاية بعيدة جداً، عليها فقط أن تكتب لتغيّر كلّ أقدارها! فهذه حكايتها، امرأة تتحقق حكاياتها، وأحياناً تهاجمها، وكثيراً ما تعضها! وغالباً ما تصيبها بصداع السرد والتفاصيل الصغيرة التي تتقن أن تجمعها بمهارة من كل مكان، وتدسها بهدوء وتكتّم في جعبتها السحرية! وتغادر بصخب مؤجّل.

حكاية (١٦)

للحكاية حكاية أيضاً! فالحكاية مراوغة مدلاع مغناج، لا تستطيع أن تستدرجها إلاّ بالخديعة العذبة، كلما أرادت أن تكتب أوهمت نفسها بأنها خارجة في موعد، فتلبس جديدها، وتتعطّر، وتتزيّن، وتحمل الورق الأزرق، والقلم السائل الأزرق، وتهمّ بالخروج، فتندلق الحكايا عليها بنزق طفوليّ ترجوها أن تذهب معها، فيكون شرطها أن تكتبها قبل الخروج! فتوافق الحكايا مجبرة مقهورة، أمّا إن لم ترد أن تكتب، فما عليها إلاّ أن تعلن أنها لن تغادر البيت، وأنها ستجلس في سريرها غير مهندمة كصورة بلا ألوان أو إطار، حتى تهرب كلّ الحكايا نحو العدم!





هكذا هو عالمها، بحر فيه مدّ وجزر من الحكايا، ووحدها من تستعذب الغرق والنجاة فيه! ووحدها الحكاية من تهبها سبباً جديداً كلّ يوم لتستيقظ من نومها!



رحلتي مع القصة القصيرة

■ صلاح القرشي - السعودية

«كلنا خرجنا من معطف غوغول» العبارة الشهيرة لديستوفسكي، لكنني عرفت تشيخوف قبل أن أعرف «غوغول» ومعطفه الشهير. عرفت «تشيخوف» في مرحلة مبكرة، وأصابني بالكثير من الدهشة. وهكذا، قدم الروس الرواية والقصة القصيرة كما لم يقدمها أحد سواهم. ولعل كثيرا ممن عشقوا هذين الفنين يدينون للأدب الروسي العظيم بالفضل الكبير.

وإذا كانت الرواية هي ابنة المدن والمجتمعات الكبيرة، فالقصة القصيرة هي صديقة الإنسان، حتى لو كان وحيدا، لا يصاحب سوى النجوم وبعض الأغنام التي يرعاها أو يحرسها في منطقة مهجورة.. والإشارة هنا إلى قصة «صوت الليل» التي كتبتها هي الأخرى في مرحلة مبكرة من حياتي، ثم أعدت تنقيحها لأنشرها في موقع «جسد الثقافة» وبعد ذلك في مجموعتي القصصية الأولى «ثرثرة فوق الليل».

قلت إن الرواية هي ابنة المدن؛ لأنها تتناول المجتمعات وتحولاتها، فيما تبقى القصة القصيرة تتلمس الفرد الإنسان الذي يجمع «الروبل على الروبل»، ليحصل على معطف جديد في الشتاء؛ وعندما يحقق حلمه، ويحصل على المعطف، يفقده في أول يوم.. أما محلياً فقد كانت الصحف والملاحق الثقافية وسيلة مهمة لقراءة الكثير مما كان يقدمه كتابنا وكاتباتنا.. عبده خال مثلا، ما أزال أتذكر تفاصيل بعض قصصه التي قرأتها في تلك المرحلة.. ما أزال أتذكر تلك القصاصة التي اقتطعتها من إحدى الصحف، وهي قصة بعنوان (واصب قل وأمعني..) وهي قصة عن فتى جنوبي يهرب إلى جدة.. وبالمناسبة فهذه القصة هي نواة رواية عبده خال «مدن تأكل العشب».

ولا شك لدي، في أن سرّ عظمة الفنون السردية هو أنه لا يمكن تأطيرها بنظم وحدود وأسس وقوانين.. هي فنون مراوغة لا تتوقف عن أن تأتي بالجديد والمختلف؛ ولهذا، لا يمكن مطلقا الحديث عن قواعد خاصة بكتابة القصة القصيرة.. لكن هنالك شيئا واحدا مهما في نظري المتواضع.. وهو ما يفرق بين تمثال وبين إنسان حي.. الحياة داخل النص أو داخل القصة.. وإلا ستكون القصة مجرد قالب جامد لا ينبض ولا يتحرك. ولهذا، ربما يبقى أمثال تشيخوف وغوغول مثيرين ومهمين ومدهشين حتى الآن، ذلك أن قصصهما تمتلئ بالحياة.

لا أتذكر بشكل جليّ محاولاتي الأولى أو

قصصي الأولى، وكم يحزنني أنني فقدت ذلك الدفتر «المزركش» الذي كنت أضع بداخله الكثير من خواطري وأفكاري وذكرياتي في مرحلة المراهقة والشباب الأول.

ولهذا، لا أدري كيف تكون بداية الحديث عن الكتابة.. هل تكون عن عشق الكتابة نفسها؟ أم عن حلم الكاتب في داخلي؟

أتذكر أنني كنت أصمم أغلفة كتب لم أكتبها بعد، ولن أكتبها فيما بعد، دواوين شعر، وروايات، أسماء وأسماء لا أكثر من ذلك.

أتذكر أيضا أنني كتبت قصة بوليسية في مرحلة مبكرة من عمري، وربما فعلت ذلك متأثرا بالمغامرين الخمسة الذين كنت شغوفا بتتبع حكاياتهم «توفيق ولوزة ونوسه ومحب وعاطف». لعلي وقتها كنت في الثانية عشرة من عمري.

وفي مقابل أحلام الصحو والمنام تلك، كنت شديد الخجل من أن أواجه أحدا بكتابة تخصني، فكل ما أكتبه يبقى حبيس تلك الدفاتر الصغيرة. وكان هذا الانفصام يؤلمني كثيرا، لماذا أخشى أن يتعرف الآخرون على ما أكتب؟ لماذا يحمرّ وجهي هكذا، حين يعثر أحدهم على أحد دفاتري تلك؟

استمر ذلك الخجل يملأني حتى بعد أن كبرت ونلت شهادتي الجامعية، فكانت أول وظيفة عملت بها بعد بطالة مؤلمة استمرت لأكثر من سنة، هي العمل كمنفذ صفحات في جريدة عكاظ، وربما لهذا كنت عندما أراسل بعض الصحف استخدم اسما مستعارا بدلا من اسمي.

فعلت ذلك في ملحق «دنيا الثقافي» بجريدة عكاظ، وفي ملحق «الأربعاء» بجريدة المدينة، وعندما أنظر الآن إلى بعض القصاصات لدي من تلك الفترة.. يصيبني حنين جارف لتلك الأيام، وللهموم اللذيذة التي كانت تدفعني لكتابة رومانسية حالمة..

لكنني مرة واحدة، وفي المرحلة الثانوية، نشرت شيئا باسمي الحقيقي، من خلال مجلة كانت تصدر كل أربعاء مع جريدة الشرق الأوسط، وكانت تقدم شبه مسابقة للقصة تشرف عليها كاتبة من سوريا.. وكم كنت سعيدا عندما نشرت قصتي على صفحتين، مع رسومات جميلة، وتعليق من تلك الكاتبة تشيد بالقصة.. هذه القصة هي قصة «في سيارته»، ولعلها أقدم قصة نشرتها في مجموعة بعد ذلك، لأن كل قصص تلك الفترة إما مفقودة، أو إنني لا أرغب في نشرها.

أشعر الآن أن قصصي الأولى أو «حكاياتي» الأولى، كانت موغلة كثيرا في الذاتية، كان يكفي أن أغضب من والدي أو والدتي لأكتب حكاية عن الوحدة والحزن والقيود، أو أن أشعر بالحنق على مادة اللغة الانجليزية، فأكتب قصة عن المدرسة ومعلم الإنجليزي، الذي يتباهى بلوي لسانه بطريقة مضحكة.

حكاية مع شبكة الإنترنت

نافذة الإنترنت، النافذة السحرية كما كنت أسميها، عالجت مشكلتي مع الخجل؛ فمن خلالها امتلكت الجرأة أن أعرض كتاباتي على آخرين، وأطالع رأيهم من دون أن يحمرّ وجهي.

قبل فضاء الإنترنت -وكما أسلفت- كنت أراسل بعض الصحف بطريقة متباعدة، لكنني لم أسع أبدا إلى التعرف على مجموعة أدبية، أو محاولة تقديم إنتاجي من خلال نادٍ أدبي مثلا. ولكن، مع «النت» كان الأمر مختلفا تماما، لم أكن بحاجة إلى أن يقدمني أحد.

جربت الكتابة - في البداية- باسم مستعار.. ونشرت بعض القصص التي وجدَتْ الكثير

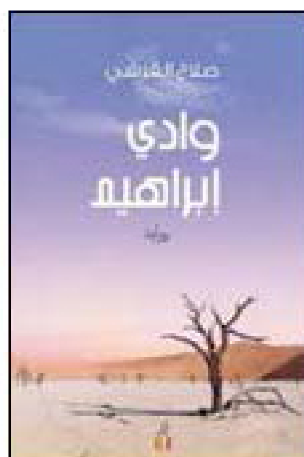
من الثناء، كما وجدت الكثير من النقد أيضا.. حصلت من خلال هذه النافذة السحرية على كثير من الآراء المفيدة والقيّمة، وتعرفت من خلالها على تجارب قصصية لمجموعة من المهتمين بالقصة مثلي.

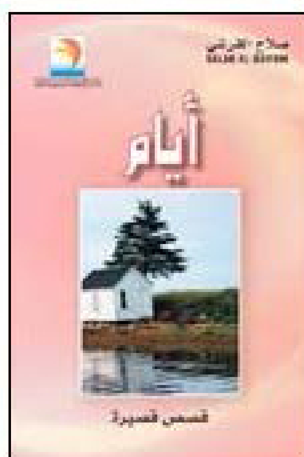
في البداية، وجدت صدفة موقعا الكترونيا باسم «الزومال».. كان قد أسسه أدباء شباب بداية من صاحب الموقع عبدالله التعزي..

أرسلت له قصة.. فنشرها فورا واضعا اسمي كأحد القاصين السعوديين.. ووجدت القصة كثيرا من الثناء.. كانت قصة «ثرثرة فوق الليل».

في الفترة نفسها تقريبا.. تعرفت على موقع مهم جدا، ولعب دورا كبيرا في ترسيخ ثقافة إلكترونية وأدبية راقية ومحترمة.. إنه موقع «جسد الثقافة»..

شاركت بداية باسم مستعار.. نشرت مجموعة من القصص بهذا الاسم.. وكان للترحيب الجميل الذي حصلت عليه من مشرفي القصة وقتها الأستاذين سعيد الأحمد، وبدر السماري، دافعا مهما لأن أشعر أنني وجدت القناة التي يمكن من خلالها أن أنشر ما أريد، وأن أحصل على كثير من التوجيه القيّم والمفيد.. فكان أن قررت دخول الموقع باسمي الحقيقي، كما اتخذ قراراً مماثلاً - في الوقت نفسه تقريبا- الروائي عواض العصيمي، الذي كان يشارك أيضا باسم مستعار.. وكذلك الأديبة الأردنية رقية كنعان..





لا شك أن «جسد الثقافة» شكّل نقلةً نوعية! فمن خلاله تعرفت إلى كثير من الأدباء الشباب.. تعرفت على كتاباتهم أولا.. ثم تعرفت- بعد ذلك- على بعضهم شخصيا.. ووجدت من خلال الموقع ما كنت افتقده من حوار أدبي وتواصل جميل.. ذلك أن كل أصدقائي خارج هذا العالم الافتراضي، كانوا قليلا ما يهتمون بمسائل أدبية وبخاصة القصة القصيرة.

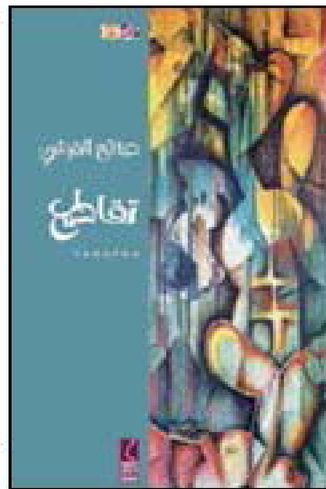
تعرفت بعد ذلك على موقع القصة العربية-الحلم الكبير والجميل- والذي تحول إلى مؤسسة أدبية عربية فاعلة بقيادة الأديب جبير المليحان.. فشاركت في الموقع.. ونشرت العديد من القصص التي نال بعضها الاستحسان من خلال تعليقات متنوعة من أشخاص لا تربطني بهم معرفة سابقة.. ولعل ميزة موقع القصة أنه حقق التواصل الأدبي العربي، ربما أكثر بكثير مما فعلت وزارات الثقافة العربية.. فقد كانت التعليقات والمشاركات تأتي من أدباء من مصر والمغرب العربي والخليج العربي وبلاد الشام.

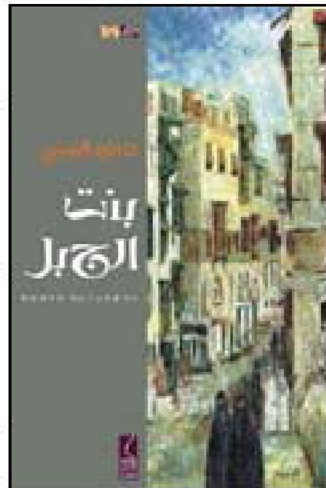
بعد أكثر من سنة من نشر قصصي في المواقع الأدبية الإلكترونية، وبعد نشر كثير من قصصي في الصحف والمجلات الأدبية، وصلت إلى قناعة أنني لكي أدخل مراحل أخرى من الكتابة، فإنني لا بد من أن ألقي بمرحلة سابقة وراء ظهري، وهكذا قررت أن أنشر مجموعتي القصصية الأولى، من أجل التوثيق أولا، ومن

أجل الانطلاق إلى مرحلة كتابية جديدة ومختلفة.

أخذت المجموعة إلى فرع وزارة الثقافة بمكة المكرمة، للحصول على الفسح، لكنهم.. وبعد أكثر من شهر أبلغوني أن المجموعة لا يمكن فسحها، من دون إبداء أسباب مقنعة، فقررت حينها مضطرا أن أبدّل اسم المجموعة من (قفزة من الكاكو) إلى (ثرثرة فوق الليل)، لكي أتمكن من فسحها مجددا بعد طباعتها خارجيا، وكانت الصدمة أن الدار أرسلت لي كامل الكمية المطبوعة لكي أتولى -أنا بنفسي- مسألة التوزيع، وهو الأمر الذي لا أتقنه تماما، ورغم هذه الصدمة التوزيعية، إلا أنني كنت سعيدا جدا بهذه المجموعة، وبذلت جهودا كبيرة لكي أبعث نسخا منها إلى كثير من الأصدقاء، والنقاد، والأندية الأدبية، والصحف، وكم هو جميل أنها نالت استحسان كثير ممن طالعوها، وكتبت عنها الصحف بعض التقديمات الجميلة.

الخلاصة، أن تجربة النشر رغم كل مشاكل التوزيع، كانت تجربة مفيدة جدا، بل ورائعة، وما زلت إلى الآن.. كلما نظرت إلى مجموعة «ثرثرة







فوق الليل»، شعرت بكثير من الحب تجاهها.

الرواية والقصة

بعد مجموعتي القصصية الأولى بسنوات، نشرت روايتي الأولى «بنت الجبل»، ثم الرواية الثانية «تقاطع»، ورغم شغفي بالرواية كتابة وقراءة، إلا أنني لم أقطع علاقتي بالقصة القصيرة «الحب الأول»، وما أزال أكتبها، وأشعر بالقلق الكبير والحزن عندما يمر وقت طويل من دون أن أستطيع كتابة قصة جديدة.. وقد نشرت مجموعتي القصصية الثانية عن طريق نادي الشرقية الأدبي، وكانت بعنوان «أيام». ولديّ الآن مجموعتان جاهزتان للطباعة، إحداهما خاصة بالقصة القصيرة جدا، وهو نوع من الكتابة القصصية التي أحبها كثيرا.

تبقى الكتابة دائما أشبه بمحاولة مستمرة للإمساك بالحياة، أقاوم الزمن والحزن من خلالها، أو كما قال الروائي اللبناني الكبير ربيع جابر: «الوقت يمحو والأدب يتذكر».



تجربتي في كتابة القصة القصيرة

■ طاهر الزهراني - السعودية

قبل الكتابة، كنت شغوفاً بالقصص والحكايات سمعاً وقراءة كانت جدتي (حمامة) حفظها الله، هي أول حكواتي عرفته في حياتي؛ كانت تحكي لنا قصص القرية، وقصص السعالي والغيلان، وكانت تحكي لنا من دون قصّ ولا رقيب؛ بهذا علمتني فن القص والكشف وتوظيف الكلمات..ثم كانت هناك أشرطة تأتي من بيروت تقص علينا بعض القصص، وكان بها بعض المؤثرات السمعية والموسيقية.

لكن تشجيع الوالد لي على القراءة التقليدية، وتوفير الكتب، كان له أعظم الأثر في حياتي بشكل عام وفي الكتابة بشكل خاص، وكانت عندنا وما تزال مكتبة عظيمة تحوي كل الفنون الإنسانية، ومنها ألف ليلة وليلة، وأساطير شعبية لعبد الكريم الجهيمان، وقصص مترجمة، والكثير من السير والتراجم.

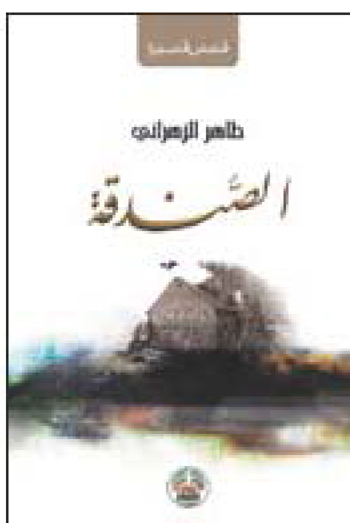
كنت في كل مرحلة أقرأ القصص التي تناسبها، لكني لم أقرأ القصة بشكلها الفني الناضج، إلا بعد اطلاعي على أعداد كثيرة من مجلة العربي الكويتية، والمجلة العربية، سواء المترجم منها، أو ما كتب بلسان عربي مبين، أذكر: سومرست موم، عبدالحميد جودة السحار، نجيب محفوظ؛ وأذكر أني قرأت ل «موم» مقالا في مجلة العربي إن لم تخنّي الذاكرة، عن كتابة القصة القصيرة، ومما قاله: إن الإنسان حتى يكتب قصة لا بد أن يوفر أربعة أشياء: ورقة، وقلم، وفكرة جيدة، وتفاحة!!

ثم كانت قراءة موسّعة في الأدب العربي والفرنسي والروسي، وكان الأدب الروسي أدباً عظيماً ومؤثراً جداً.

كنت أبحث عن بعض العناوين ولا أجدها في المكاتب، لكن مكتبة جامعة الملك عبدالعزيز كانت حديقة عظيمة للأدب، أجد فيها كثيراً من العناوين العظيمة، كانت تحوي على كثير من النتاج الروسي العظيم..

أما بالنسبة للكتابة، فقد كتبت القصة القصيرة في وقت مبكر جداً. أتذكر أن أول قصة كتبتها كانت أيام الثانوية، وكان ذلك إثر مسابقة نظمها المركز الصيفي الذي كنت مشاركاً فيه أثناء الإجازة؛ صحيح أني لم أشارك في تلك المسابقة، لكنها كانت

الدافع لي لكتابة أول قصة. بعد ذلك كانت هناك محاولة لكتابة بعض النصوص، وكانت متواضعة، كان بعضها يحكي بعض هموم الناس.. كنت فقط أكتب. حينها لم يكن هناك إنترنت ولا منتديات، كنت أكتب فقط، وأغلب ما أكتبه مبتور، ولم أكن حريصاً على تطوير ما أكتب، ولم أتواصل مع مهتمين بالسرد والفن، ثم صاحبَ ذلك انقطاع طويل.



بعد الانقطاع، داهمتنا ثورة معلوماتية هائلة؛ الأولى ثورة الإنترنت. أذكر أني كتبت قصة بعنوان: (أجساد بلا أرواح) وبعثتها لموقع القصة العربية الذي يشرف عليه القاص الجميل جبير المليحان، كنت أنتظر نشر القصة في الموقع، لكني صُدمتُ بعدم النشر، وقد ذكر لي الأستاذ جبير مشكوراً المبررات، وكان هذا أول انتقاد يصلني من قاص خبير ومتمرس.

البداية الفعلية لي في كتابة القصة القصيرة كانت في منتدى جسد الثقافة، (قسم القصة القصيرة)، وقد بدأت في الكتابة فيه عام ٢٠٠٦م، وقد استفدت كثيراً من تعليقات الأصدقاء وملاحظاتهم ونقدهم، وكذلك أطلعت على تجارب محلية جميلة ورائعة.

وقد وجدت نصوصي قبولاً من رواد المنتدى والأصدقاء، وكان ذلك مشجعاً. حاولت في الوقت نفسه، وحتى أصبح قريباً من هذا الفن وأهله أن أقرأ لأساطين القصة القصيرة في العالم، وخاصة العالم العربي، أمثال: يوسف إدريس، محمد زفزاف، إبراهيم أصلان، محمد المخزنجي، ومحلياً: عبدالله باخشوين، عبده خال، جبير المليحان..

من عام ٢٠٠٦م إلى ٢٠١٠م كتبت عشرات القصص، تلك النصوص كتبتها في أوقات مختلفة، وظروف متفاوتة، وعن أحداث وأناس مختلفين، ولم أهتم بالتقنيات السردية في تلك المرحلة، فكنت أكتب النص بكل عفوية، وقد وجدت لهذا أثراً جميلاً على المتلقي.

في عام ٢٠١٠م صدرت لي أول مجموعة قصصية بعنوان: (الصندقة) عبر نادي الباحة الأدبي، وقد ضمت المجموعة أغلب النصوص التي كتبتها في تلك المرحلة، مرحلة الكتابة في جسد الثقافة، وقد كانت متفاوتة وكنت متعمداً في ذلك، حيث أني رغبت في توثيق المرحلة تلك. وقد وجدَت قبولاً واحتفاء لم أتوقعه، رغم قلة الخبرة، وتواضع التجربة، لكن الأصداء كانت مفرحة ومشجعة..

أغلب نصوصي تتحدث عن المهمشين والضحايا، وهذا لم أتعمد الكتابة عنه، لكني وجدتني مهتماً بهم، وهذه وظيفة الفنان.. أن يكون قريباً من البسطاء..

القصة القصيرة، فن صعب جداً، يحتاج كاتبها إلى وعي بالفن والحياة، وأن يلتقط بعدسته صور النبل والإنسانية.. هذا من ناحية المضمون، أما من ناحية الفن.. فلا بد للقاص أن يختار اللغة المناسبة لكل نص، وأن يحكم بناء القصة بشكل جيد، فهو محاسب على الكلمات.. فكيف بالجمل الزائدة! أن يكون بعيداً عن الحشو قريباً من الاختزال، لأن النص القصير نص فاضح، وهذا ما شجعني على كتابة القصة القصيرة!

مشواري مع
القصة القصيرة



■ ضيف فهد - السعودية

«أنا أفكر كقارئ عندما أكتب. القارئ الذي فيّ لا يريد أن يجد ما يقرؤه نسخة طبق الأصل عما يحياه في حياته. الإخلاص للواقع في الأدب غالباً وغالبا ليس فضيلة، بيتر هاندكه.

أذكر النص الأول الذي كتبته: أين ومتى، وكيف أذكر نوعية الورق والقلم الذي استخدمته. الأهم من كل هذا.. أذكر السبب الذي كتبت من أجله ذلك النص وهو السبب نفسه الذي يدفعني للكتابة إلى اليوم: من دون سبب يذكر..!

لم ترتبط عندي الكتابة بغاية، أي أن الكتابة في حد ذاتها كانت هي الغاية المتناهية! لذا، ومع أنني أتذكر كل هذا عن النص الأول وكل تلك الطقوس، والأجواء، والحالة! إلا أنني لا أتذكر الآن ما الذي كان يتحدث عنه ذلك النص ولا ما إذا كان قصيدة أو قصة أو كان غير مصنف..! ما يعني أنني لا زلت أحتفظ بنفس دوافعي للكتابة: الرغبة المجردة، الطاهرة، النظيفة تماما من الطمع.

لديّ إحساس أن جميع كتاب الدنيا يبدؤون من هذا الدافع بالتحديد.. من هذه البراءة. لكنهم وبمجرد أن يصادفوا نجاحا أوليا يتنكرون لهذا الإخلاص، ويحيلون الكتابة إلى طريق يتقدمون عليه ليصلوا إلى شيء ما. يستوي في ذلك ما إذا كان ذلك الشيء الذي يتقدمون للوصول إليه شخصياً (نجاحاً، أم شهرة، أم مادة)، أو اجتماعياً (وعظاً، أم إصلاحاً، أم تربية).. أو سياسياً أو أيديولوجياً.. كل هذه النهايات التي يتجه إليها الكتّاب، سالكين طريق الكتابة، لا أستطيع أن أظهر عليها أي نوع من الاعتراض، لكنني ما أزال أنحاز إلى أخوية الكتّاب الأبرياء، ذلك النوع من الكتّاب الذين نتعرف على أرواحهم بين السطور.. أرواح خالية من الطمع..

إذا لم أستطع أن أوظف الكتابة كطريق وأداة.. أحببت وأخلصت ولا أزال لفكرة أن الكتابة هي الأمر النهائي.. المنتهي.. المُنجز لذاته.

هناك أمر آخر أفكر فيه، يدفعني للاعتقاد أن الكتابة لديّ تمثل عملا مقدسا إيمانيا متعاليا على الغائية.. هي أنني في الأساس لست كاتبا، وأنني في الحقيقة لا أزيد عن كوني قارئا مهووسا، وأنه لو كان هناك مرضٌ يمكن وصفه على أنه (التوحد القرائي)، فسأكون أنا المريض المثالي بهذا المرض..

أجِلُّ، وأقدسُ، وأقِفُ مستغفرا كل آيات الامتنان والعرفان لكل تلك الأشياء المذهلة التي تمر بي أثناء القراءة.. وأشعر بالخجل، وأنظر إلى نفسي بأسف إذا لم أتحلَّ بالتربية الكافية التي

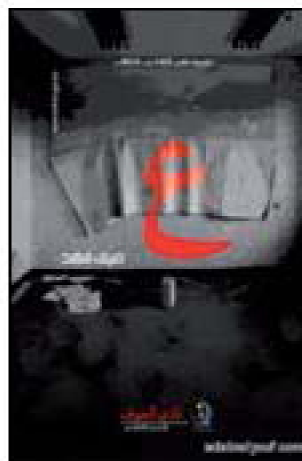
تمنعني من الجرأة على اقتراف فعل الكتابة، بعد كل ما يمر بي من معجزات قرائية. لكن، ولأنني ولدٌ فيما يخص الأوراق، مبهور تماما بهذه الألعاب الصباغية، مبهور بهذا العالم الملون بالكلمات، لا أستطيع منع نفسي بين فترة وأخرى من محاولة التجريب.

كتبت في الوقت الذي كانت لديّ أمور كثيرة أفعلها، كتبت وأنا صغير، صغير للدرجة التي تجعلنا نفكر أن من يقوم بالكتابة على أنها نوع من التسلية - وهو في ذلك العمر- إما أن يكون عبقريا، أو مصاباً ببلاهة، لكن.. وكإحقاق للحق، لم يتضح إلى الآن ما إن كنت عبقرياً أو مصاباً ببلاهة مزمنة.. كل ما يمكنني قوله إنّ ما دفعني ولا يزال يدفعني للكتابة ليس الطموح ولا الهدف، إنما هو قرار لا يمكنني التحكم به.. أجد أنني بحاجة للكتابة فأكتب.. ماذا ينتج عن هذا؟! لا أفكر فيه مطلقا.

فيما بعد، اخترت شكلا للكتابة وما أزال مستمرا عليه، شكلاً يمكن أن يكون أقرب شيء إلى القصة القصيرة، صحيح أنني لا ألقي اهتماما للمهووسين بالتصنيف، لكنني لا أبدي أي اعتراض على من يقوم به..

كتبت في شكل يخصني وحدي، قمت ببعض الألعاب الخاصة، بعيداً عن أعين العباقرة الكلاسيكيين، جربت، كتبت، كما لو أنني سأكون القارئ الوحيد لما أقوم به.. لم أعتمد أنموذجاً متعاليا، ولا إطارا متفقا عليه، كسرت - من دون رغبة في التكسير في حد ذاته، من دون هدف مسبق على أن أكون مبشرا بطريقة جديدة في الكتابة- كل أنواع القص وأشكاله المعترف بها، أجريت تجاربي، وابتكرت من دون خوف لغتي الخاصة غير المُقَدِّسَة لشيء! ثم عندما وجدت تلك النصوص طريقها للنشر، وجدت أنها لاقت وما تزال تلاقي معجبين هنا وهناك، وأشار لها قراء ومهتمون إشارات جيدة دفعتني لعدم التردد في المواصلة.





وأنا أكتب، أتذكر غالباً آثار الفرح.. أتعقب الذكريات الجيدة، وأختلق- عندما استنزف كل شيء- عالما يميل إلى المبالغة الخارقة، وأتجنب تماما أمرا وحيدا: الأسى..

لهذا، لا أجد أنني رسوليا على مستوى الكتابة، وأعرف تماما، ومقتنع - حتى وإن يكن يبدو للوهلة الأولى ومن دون تفكير خطأ هذه القناعة- أن مشكلات العالم لا تحل داخل نص.. وأن مشكلاتي الخاصة أكثر رفعة من أن تبتذل في هذا الاتجاه..

صدرت لي مجموعتان قصصيتان:

الأولى: «مخلوقات الأب» عن نادي حائل الأدبي بالتعاون مع الانتشار العربي ٢٠٠٨م.

والمجموعة الثانية: «ع» الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م، عن نادي الجوف الأدبي الثقافي.

حكايتي مع القصة القصيرة

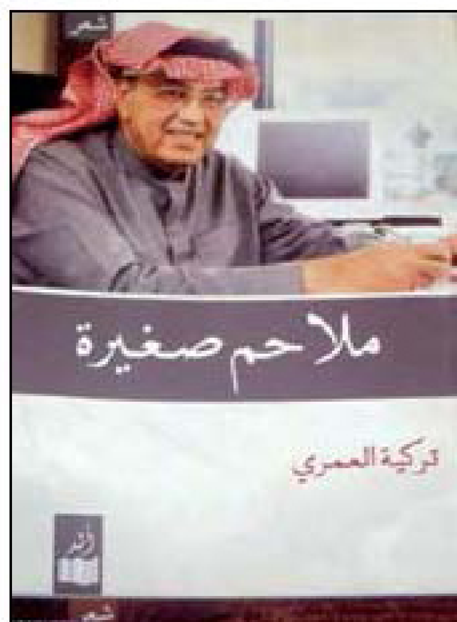
■ تركية العمري - السعودية

أنا وهي، أم هي وأنا.

أتساءل هل كانت تختبئ بين أصابع دميتي؟ أم بين حكايات أمي عن الحقول والمطر والأتقياء؟!

ولكن الحقيقة التي اكتشفتها هي أنها تسكن أعماقي وتعرف أغنياتي، وملامح أمي وإخوتي؛ ليس ذلك فحسب، بل إنها تعرف أيضاً أوقات لعبي مع أطفال جيراننا، وعدد حجرات بيتنا.

إنها القصة القصيرة.



عندما بدأت أمسك القلم بيدي الصغيرة، كانت تراقب بعينيها الصغيرتين مخيلتي، تلك المخيلة التي أسَرتها صرخة (أمينة) إحسان عبدالقدوس «أنا حرة»، والتي كانت تكبرني بأعوام قليلة.

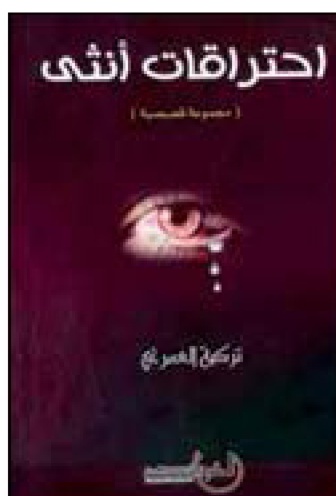
التقيت القصة القصيرة بين صفحات ملونة، ذات غلاف له لون زمرد الحياة، صفحات قادمة من أرض الكنانة وتلال الرند، قرأتها بشغف، واتسعت مخيلتي. كنت أسرد ما أقرأ على أمي، وأضيف عليها من إيماءاتي، وحركات يدي الصغيرتين، وعندما أنام.. أرى أبطال القصص التي قرأتها في مناماتي.

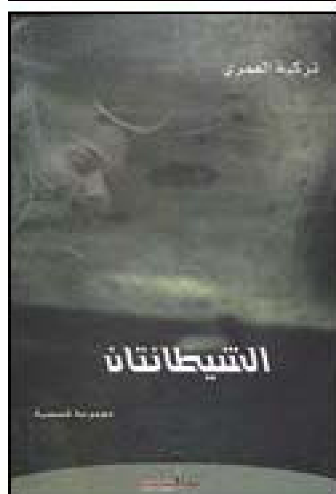
تساءلت كثيرا عن معنى اسم «رابنزل»

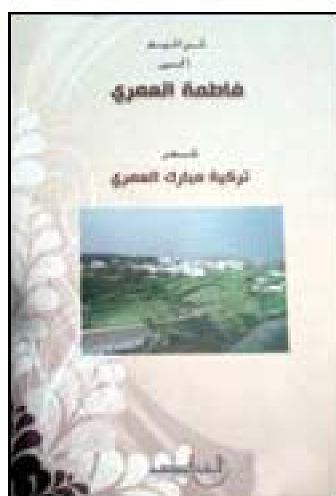
أحببت «ليلى والأقزام السبعة»، وأخافتني قصة «جميلة والوحش»، وبللت دموعي أوراق «حكاية سندريلا»، ولامست وفتنت مخيلتي الصغيرة بممرات قصور السلاطين المخملية.

في المدرسة، بدأت تكبر القصة القصيرة في أعماقي، وكانت البداية عندما كنت في المرحلة الابتدائية.. من خلال حصص التعبير، لن أنسى معلمة اللغة العربية القادمة من حمص الحبيبة، والتي كانت تطلب مني أن أقف أمام زميلاتي بكبرياء، وأقرأ موضوعي، لينتهي المشهد الاحتفالي بتصفيق حاد، وإطراء منها على لغتي الشعرية وخيالي، فأعود إلى البيت.. وأنا ممتلئة بالفرح والزهو، وأذكر ذلك لأمي وإخوتي.

بدأت أتابع القصة القصيرة في كل مكان في.. زوايا المجلات، وفي الملاحق الأدبية التي تهتم بإبداع المواهب الواعدة، في أثناء متابعتي لها، التقيت بلغة عبدالله الجفري الشعرية الباذخة، وبخالتي كدرجان، وجوجول، وتشيكوف، وآخرين.







وفي لحظة ذات دهشة وضعت أمام العالم وثيقة ارتباطي بالقصة القصيرة، وانضمامي إلى عشاقها المبدعين، عندما أطلقت نوارس أول سردي، مجموعتي القصصية «احتراقات أنثى»، تلك اللحظة.. شعرت برهبة البدء، تلك الرهبة التي تحملني مسئولية الاستمرار في خلق فضاء سردٍ إنساني حقيقي، ولغة متجددة تبوح برؤيتي عن الإنسان والطبيعة والحياة إلى العالم.

أعتقد أن القصة القصيرة ستبقى بالنسبة لي الروح الدافئة التي أراها بين الغيوم، وأسمع ضحكتها العذبة القادمة من شفاه صغيرات الحقول اليانعة! وأعتقد أيضا أنها ستظل تنهل من حكايات تلك الطفلة الجبلية التي تسكن ذاكراتها أغنيات الجبال الشاهقة، وموسيقى الجداول الحانية..

حكايتي مع القصة القصيرة

■ شيمة الشمري - السعودية

أشعر أنّ تسجيل شهادة المبدع عن إبداعه تأخذ طريقا موضوعيا، كلما اقترب المبدع من سبر مراحل حياته، وبعض تفاصيلها بهدوء وحكمة.. وهو ما تدفعني إليه هذه الدعوة الكريمة، التي أعود فيها إلى تملّي تفاصيل جميلة أذكرها بمزيد من الحنين والحب، وأعي أن لدى كل منا من الذكريات الأولى ما لا يستطيع تجاوزه؛ ولذا، أجدني ممتنة وشاكرة لهذه الدعوة الكريمة، راجية أن تجدوا في شهادتي المتواضعة ما يثير ويثري..

عند الحديث عن البدايات، عدت أفتش في حجيرات الذاكرة، لأسجل لي ولكم نقاط الانطلاقة الكتابية.. تلك البدايات التي تتوارى مع الأيام، لكنها لا تغيب أبدا، بألمها وآمالها وبراءتها وطموحها وجموحها أيضا.. بداية عشق القلم وهَوَس الإبداع؛ فمنذ أيام الدراسة المتوسطة، كنت مولعة بالكتابة على الصفحات الأخيرة من كتبي ودفاتري، وكنت أكتب ما يمكن أن أسميه -وفق رؤيتي آنذاك- شعرا، خواطر، ومضات قصصية.. لم يعنني حينها التصنيف الأدبي، بقدر ما تعنيني الكتابة ورسم الكلمات، وما يصاحب ذلك من شعور جميل..

لم أستطع حتى اليوم تحديد سر اندفاعي نحو القلم، وهل كان زواجي المبكر، وانتقالي من حياة إلى حياة أخرى مختلفة هو السبب؟ حيث توطدت معرفتي بالقرية والمزارع والهدوء والبساطة والمسؤولية، ربما كان لذلك أثر في انكبابي على القراءة والانفراد بالذات، تعويضا عن قرب الأهل وزحام المدينة ووسائل الترفيه هناك، وهو انفراد فرضته عليَّ هذه الحياة الجديدة التي لم أجد فيها سوى القراءة منفذا، أمام عدم وجود منافذ أخرى.

اتجهت نحو القراءة المتنوعة التي كانت بدايتها شرعية بحتة، فقد قرأت في التفسير والحديث، وموضوعات كثيرة مذهلة متعلقة بالإنسان، والجنة والغيب، والجن.. إضافة إلى الكتب التراثية التي توافرت لي، أو استطعت الحصول عليها، وأجدني هنا شاكرة لله الذي قدّر لي أن أقرأ في هذه الموضوعات؛ إذ أنني أعتقد أنها أسهمت بلغتها الناصعة، وأسلوبها العربي الجميل في عشقي للغة العربية، وجمالياتها التي لا تحد.

بعد ذلك، قرأت في الشعر والنقد والرواية والقصة، ومن الكتّاب الذين قرأت لهم على سبيل الذكر لا الحصر: غازي القصيبي، وعبدالله الجفري، وغادة السمان، وأجاثا كريستي، وإيليا أبو ماضي.. وغيرهم.

إضافة إلى المصدر المهم لأي كاتب وأديب

وهو «الواقع»، بكل ما فيه من أحداث وتناقض وتحولات وألم وفرح.. الواقع في كل مكان..

الكون بأكمله محفّز للتأمل والكتابة إذا ما اقترن بالإحساس الذي يترجمه بشكل مختلف..

هذه المصادر المختلفة أسهمت في صناعة نوع من الوعي، ورسخت فيَّ الاتزان الفكري والوسطية، والانطلاق في مجال الكتابة الإبداعية.. وقد استفدت من التجارب السابقة لعدد كبير من المبدعين والمبدعات من دون أن أحذو حذوها؛ فلكل تجربة نكهة مختلفة، ولكل قلم طريقة يختارها باحثا عن التفرد والإضافة في مجاله الذي عشقه وأحب الكتابة فيه. وهذا مبدأ انقدت إليه، وقرار اتخذته مع نفسي بأن أكون مختلفة عنهم على الأقل من وجهة نظري..

يتهمني بعضهم بأن كتاباتي تفوح منها رائحة الأنثى. وأرد عليهم: زيدوني تهماً زيدوني! فما أجملها من تهمة، وهل أنا إلا أنثى؟! وأفخر بذلك، ولعلي خرجت عن السياق الذي حدده الرجل للأنثى، وصورها من خلاله. وأستحضر هنا ما قاله الناقد الدكتور عبدالله حامد في قراءة نقدية لمجموعتي القصصية الأولى «ربما غدا» حيث يقول: (تأتي المجموعة منذ البدء مكرّسة لخطاب الأنثى، ليس بوصفه خطابا احتجاجيا مباشرا، بل من خلال الأنثى التي تمارس نوعا من الاختلاف على مستويات عدة، يأتي من أهمها اعتمادها على القصة القصيرة جدا؛ لتعلن من خلال ذلك رفضا لما كرّسته الأنثى عن نفسها، أو كرّسه لها الرجل، حين مارست منذ القدم القصة الطويلة، والحكي، واخترعت لذلك الليالي؛ حتى أوشك العقل الجمعي الاجتماعي أن يصم القص والحكي بالأنثى. إن المفارقة هنا أن الأنثى هي التي تتجه نحو الاختصار والتكثيف).

نعم.. إن الأنثى تكثّف وتوجز وتعمق، وتعي أن الكتابة معاناة وجهد ومحاولات وألم، ثم تأتي نشوة الظهور للقارئ المتذوق. منذ البدء لم أرد أن يرسم لي أي خط لأسير عليه، كنت أعي أنني قادرة على أن أقرأ، وقادرة على اختيار الأسلوب المناسب لأعبّر عن ذاتي.أعبّر عن فكري وإحساسي، وإحساس غيري بأسلوب أدبي، محاولة ردم الهوّة بين النص والقارئ..

أنا ابنة مجتمعي.. أرى وأسمع وأشعر بما حولي، وأتأثر به، وأمزجه بثقافتي ومدخراتي الأدبية. أغوص في الواقع وبيدي مشعل الخيال.. أُطَعِّمُ به هذا الواقع ليرى النور.. أخرجه وفق قناعاتي عملا يستحق القراءة..

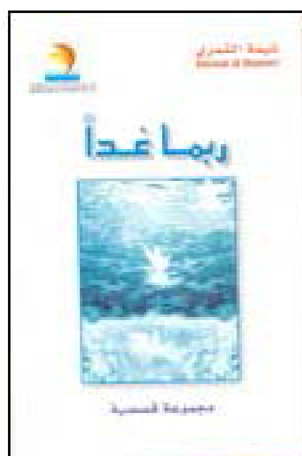
كتبت القصة القصيرة، والقصة القصيرة جدا، والمقال، والخاطرة، وقصيدة النثر؛ لكن، صدقاً، أجدني أعشق أصعبها وأوجزها حتى إنها استولت على مساحة الإبداع لديَّ، فلم تبق ولم تذر.. إنها القصة القصيرة جدا، النوع الأدبي الذي اتجهت لكتابته، ووجدته الأقرب في تكثيف لحظة الإبداع التي يجب أن تجد لها فنا موجزا، يتناغم مع سرعة العصر الحديث، ويفتح للمتلقي مساحة من المشاركة في استحضار وتأمل ما قاله النص، إنه الفن الذي يحضر في لحظة جارفة، فيدفعني للكتابة دفعا؛ ولذا فليس للكتابة عندي طقس معين، فقد أكتب في المقهى، في المطار، في المزرعة، في (البر)، في غرفتي، في الطائرة.. هي لحظة إبداع.. جنون.. ميلاد فكرة.. تهطل مكتملة، أو تنتظر التأمل والتهذيب والصياغة..

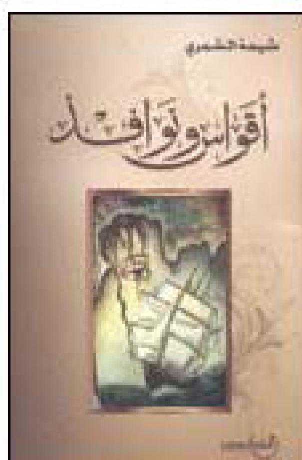
أسهمَتْ بعد ذلك أمسياتي ومشاركاتي الثقافية والأدبية في دعم ثقتي بنفسي وبما

أكتب، حيث ألمس صدى حرفي وكلماتي عند المتلقي، أتابع تعليقاتهم ونقدهم وانطباعهم عن قصصي مباشرة..

وقد سعدت بمجموعة من القراءات النقدية التي قدمت تجربتي بشكل مختلف، ولفتت الأنظار إلى كتاباتي، ومن ذلك ما كتبه الأستاذ الدكتور عاطف بهجات عن بعض قصصي الأولى، حين قال: (إذا كانت المرأة تعيش أزمة مع الرجل على مستوى الواقع، فإني أعيش أزمة مع هذا النص (فراق) على مستوى النقد، فقد لعبت شيمة بالمتلقي في خدعة سردية.. هذا ما أشرت إليه في بداية مقالي من الإشعاعات غير المتناهية، والانطلاق من قيود المعنى وخصوصية البوح.. وها هي ذي شيمة تحاول إعادة صياغة المعادلة بوعيها السردي، ومنطقها الخاص.. ولكن شهرزاد أدركت عدم قدرتها إعادة التشكيل..).

ومن القراءات التي أعتز بها كثيرا، قراءة الأستاذ الدكتور عبدالله سليم الرشيد لمجموعتي «ربما غدا»، إذ قال: (إن ظل هذا الفن عصيا على التنظير، متأبيا على كثير من المصطلحات، فذلك لا يلغي أننا نقرأ منه نماذج تجمع شعرية التعبير وتكثيف العبارة ومفاجأة الفكرة، مثلما وجدت في قصص شيمة الشمري).





ولن أنسى أمسيتي في مركز أبو رمانة بدمشق وحضورها المتميز من كبار الكتاب والأدباء، والقبول الذي أبهرني هناك، كذلك مشاركتي في ملتقى القصة القصيرة جدا في حلب، حين أنصفني النقاد على يد فارسهم الدكتور أحمد زياد محبك، عندما أنهى قراءاته النقدية لنصوص المبدعين والمبدعات في ذلك المساء الأدبي الأخاذ بقراءته لقصصي قائلا: (أفيدكم بأني بدأت من الجيد إلى الأجود..).

كانت تلك القراءات تمنحني شهادات مهمة، وتشعرني أن لدي شيئاً يستحق أن يقال، فقد ظهرت بشكل أوضح في المشهد الثقافي السعودي، وأصبحت الصحف والمجلات تطلب قصصي - مشكورة - لنشرها، بعد أن كنت أنا من يراسلهم.. وهو تحوّل يمنحني ثقة وسعادة، وتطلع نحو المزيد من الوفاء والعطاء للحظة الإبداع التي تبدو دائما حلما جميلا، ما أن نقطع مرحلة للوصول إليه، حتى تظهر مرحلة أخرى..

تتالت القراءات النقدية والنشر والمشاركات والأمسيات الأدبية، والدعوات لحضور مؤتمرات وملتقيات ومعارض ومناسبات، كما استهوتني الكتابة النقدية؛ لاسيما أنه مجال تخصصي، فأنا حاصلة على الماجستير في الأدب والنقد، ومقبلة على مرحلة الدكتوراه بمشيئة الرحمن؛ فقدمت قراءة بعنوان «الاحتراق حزناً لديوان

الشاعرة ملاك الخالدي نشرتها مجلة الجوبة، كما شاركت بقراءة في ملتقى الرواية الرابع بنادي الباحة الأدبي في السعودية عن تمثيلات الآخر في الرواية العربية، وكانت ورقتي بعنوان «الآخر بوصفه أعمى.. قراءة في أدوار الجماعة المهمشة في رواية نزل الظلام»، وقد طبعت مؤخرا في كتاب نقدي صدر عن أدبي الباحة، كما قدمت ورقة عن الاتجاهات الفنية في القصة نشرت في الجوبة..

من إصداراتي «ربما غداً» مجموعتي القصصية الأولى التي صدرت عن نادي الشرقية الأدبي عام ١٤٢٠هـ، وقد لاقت المجموعة أصداء جميلة داخل المملكة وخارجها، إذ قدمت لها قراءات نقدية كثيرة من نقاد المملكة وسوريا والمغرب..

ثم أصدرت مجموعتي الثانية «أقواس ونوافذ» عن دار المفردات بالرياض عام ١٤٢٢هـ.. حاولت فيها التمرد والتجديد في الكتابة السردية.. ووجدت حفاوة من الكتاب والنقاد، وما أزال أقرأ رأي النقاد في المشهد الثقافي.. وأحاول أن ألاحق القصة القصيرة جداً، التي تفتح لي بتكثيفها وإيجازها عالما رحبا من التعبير والتنفيس..

ومن هنا، يأتي السؤال عن التحديات التي يمكن أن تكون قد اعترضت طريقي كأنثى تعود إلى مؤسسة قبلية محافظة.. وسأعود فأقول إنني لا أحب ولا أجيد أن أتقمص بطولة وهمية، فعلى طول الطريق لم أعانِ من أسرة أو قبيلة أو مجتمع! فمجتمعي له ظروفه الخاصة التي يتحرك من خلالها، وهو المجتمع الذي أعي أن جدتي ووالدتي كانتا تتحركان فيه بكل أريحية ووقار وحشمة، ولئن تغيرت الظرف فضاقت مساحات واسعة، وقلصت المباحات لأهداف غير مدركة لسماحة الدين وسمو مقاصده، فإن هذا المجتمع هو أهلي وقبيلتي ووطني الذين أحب أن أعيش معهم لحظتهم المفروضة عليهم بكل ما فيها من ألم وأمل..

وسأقول إنني ولله الحمد رزقت زوجا مختلفا، ساند وشجع وأسهم ومنح بكل حب ووفاء، إنه زوجي الأستاذ عبدالله الشمري الذي تعهدني بالرعاية والحنان، وتوفير كل ما أحتاجه من حب وأمان وثقة ونبل وصدق.. وهو الداعم المؤازر.. الأخ والصديق والزوج الحبيب الذي أغبط نفسي عليه كثيرا -حفظه الله ورعاه- وتحيتي وشكري وتقديري لهذا الرجل العظيم..

إن تأملاتي - ولا أقول معاناتي - تأتي من نفر قليل ضئيل، يحشرون أنفسهم في تقييم تجربتي القصصية، وهم وإن كانوا لا يمثلون قيمة نقدية يمكن الإفادة منها، إلا أنهم يمثلون عبئا على الرصيد الإبداعي والثقافي في المملكة، بشكل عام!

هذه الفئة من الواهمين والواهمات يكتبون اليوم ما ينكرونه بالأمس، ويجربون ما حاربوه، يتناقضون بشكل غريب، ويهرفون بما لا يعرفون! وسأكون صادقة حين أقول إنني أشعر بنعمة الله عليّ كلما قرأت مصادراتهم الغريبة.. وكل ذلك يدفعني باستمرار إلى الإيمان بأن الغابة الأدبية والنقدية لدينا تضم في جنباتها الغث والسمين، ولكني أثق أن هناك مساحة كبيرة من الوعي التاريخي ستكشف الزبد، وتبقي ما ينفع.. وربما غدا.. تفك الأقواس، وتفتح نوافذ الأمل..!

زهرة بوسكين

اسم ما يزال يشق طريقه في عالم الإبداع

■ قاسمة من الجزائر

إن أصعب الأشياء أن يتحدث الفرد عن نفسه، وأن يتحدث المبدع عن إنجازاته؛ لأنه لن يكون منصفاً في حقه؛ فمهما حقق، ومهما أثرى مساره الإبداعي، يبقى دوماً يلاحق حلماً لن يتحقق، ويفتش عن نص لم يكتبه بعد، ويبرعم في عوالم المعنى أطيافاً لحياة هو وحده يفهمها.

زهرة بوسكين اسم ما يزال يشق طريقه في عالم الإبداع منذ أكثر من عشرين عاماً عشت فرحة النشر الأولى، التي كنا نراها خطوة يعتد بها حين لم يكن النشر في المنابر الأدبية متاحاً وسهلاً؛ فكانت فاتحة للنضال بالكلمة، وجدت من خلالها التشجيع من أساتذتي وأسرتي، ومن الوسط الأدبي الذي دخلته في سن مبكرة ولاقيت التشجيع من كبار الأسماء في الجزائر، أمثال الروائي: الطاهر وطار والأديبة زهور ونيسي، وآخرون. كنا نقتسم رحلة النص، ورحلة الكتابة، وفرحة ولادة القصيدة.

مشواري الأدبي ميّزه العديد من المحطات التي لها بصماتها على نصوصي؛ أولها تخصصي في الإعلام، وعملي الصحفي هو بدوره إبداع؛ في سنواته الأولى، عشت صراعاً بين النص الأدبي والنص الصحفي، بين القصيدة، وتحرير خبر عن تفكيك جماعة إرهابية أو انفجار قنبلة أو...أو... لكن بعدها عملت مصالحة بين الكتابة الشعرية والصحفية، وحاولت أن أستثمر التجربتين، وكان للعديد من التجارب التي عشتها إعلاميا أو اشتغلت عليها، تأثيرها على الكتابة وحضورها في نصوصي.

تتويجي بجائزة سعاد الصباح أعدُّه من المحطات البارزة في مشواري الأدبي؛ لأنها كانت لي دفعا قويا في فترة شعرت فيها بلا جدوى الكتابة، وشعرت فيها بأن الأنثى يدينها المجتمع الذكوري بنصوصها، وبأن الأدب لا يغيّر ولا يؤثّر.. لأحسّ بأن هناك من يقيّمك بإنصاف خارج حدود بلدك، فلا شاعر يصدح في مدينته على منوال «لا كرامة لنبي في وطنه». وكانت دائما تحضرني أبيات شعرية للدكتورة سعاد الصباح تقول فيها:

كان بوسعي أن أبتلع الدمع
وأن أبتلع القمع
وأن أتأقلم مثل جميع المسجونات
لكني خنت قوانين الأنثى
واخترت مواجهة الكلمات

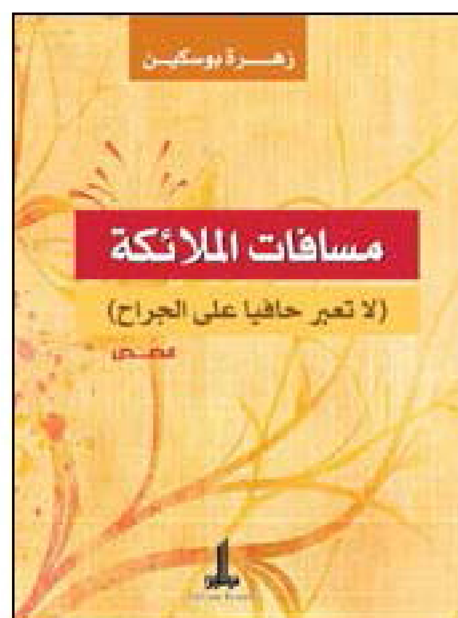
وعبرت عن هذا الرفض الداخلي في مجموعتي القصصية المتوجة والموسومة «الزهرة واسكين»، وهي إشتقاق جميل من اسمي، فيه العديد من الإيحاءات التي تشير إلى تلاقي المتناقضات، والجمع بين ثنائيات عديدة كالألم والأمل.. الموت والحياة.. الرفض والاستسلام...وكل الثنائيات التي ترسم تفاصيل الحياة.

فالكتابة رفض، ثورة على الواقع والنص كيفما كان ثوبه(شعر، قصة، رواية) لابد أن يزلزل أعماق كاتبه وقارئه، ولا بد أن يصنع الاختلاف والاستثناء، وإلا ولد بلا روح.

وكانت جائزة سعاد الصباح مستهل رحلة مع الجوائز العربية، مثل جائزة ناجي نعمان بلبنان عام ٢٠٠٨م عن مجموعتي القصصية «كي لا تغيب الشمس» التي أعتبرها تجربة تختلف عن «الزهرة واسكين» من حيث النسج الإبداعي، تضمنت العديد من الومضات القصصية المكثفة اللغة، ثم جائزة القلم الحر في مصر عام ٢٠١١م.

إلى جانب الجوائز العربية بحوزتي أيضا جوائز وطنية، مثل جائزة ثقافة وفنون، وجائزة عبدالحميد بن هدوقة.. وقد لمست في الوسط الثقافي أن الجائزة العربية تعد تأشيرة دخول الكاتب إلى بلده، لأنها تمنحه مصداقية وإنصافا، وتحمله مسئولية الإبداع؛ لأنه لم يعد يمثل اسمه فقط، بل يمثل بلده في المحافل الدولية، وبخاصة بالنسبة لجوائز ما تزال تحافظ على قيمتها الإبداعية ومصداقيتها.

إن أهم المحطات بالنسبة للأديب، هي الإصدارات، أو كما أسميها (أبناء الخلود).. في الشعر صدرت لي «تراتيل للنبض وأخرى



للوطن» و «إغفاءات من زمن الدهشة» التي كتب لي تقديمها الشاعر العراقي الكبير أديب كمال الدين، وآخر ما صدر لي مجموعة قصصية موسومة «مسافات الملائكة»، هذه المسافات التي ضمنت تحت عنوانها عنوانا فرعيا أعده شكلا جديداً، وسابقة في إخراج الكتاب، «ولا تعبر حافيا على الجراح» وأنتظر إصدارين جديدين، الأول رواية تروي معاناة المبدع في زمن الأزمة، ومن أبطالها صديقتي الصحفية نايلة، وشهادات عن السنوات الدامية، وكذلك مجموعة شعرية عنوانها «يقين المعنى» هي مشروع مع دار نشر بلبنان. كما أشتغل على كتاب عن التجربة الإذاعية في الجزائر.

هذا بحكم انتمائي المهني للإذاعة الجزائرية التي أعتز بها كثيرا، فتجربة العمل الإذاعي هي تجربة إبداع بالدرجة الأولى.. لا يمكن أن تكون مذيعا ناجحا وأنت لا تملك حساً إبداعيا ولغة راقية ومستوىً فكرياً؛ لأنك

تؤدي رسالة من خلالها تؤثر وتغير الآخر، ذلك المتلقي في الضفة الأخرى من الأثير الذي يتعامل بمحبة استثنائية.

عملي الإذاعي قدّم لي الكثير من النصوص الجميلة في الشعر والقصة؛ فمن خلال برنامجي نبض الواقع لامست معاناة فئات اجتماعية كثيرة، تأثرت بها وعشتها بكياني فكتبت «ابن الجبل» نص يروي مأساة ذلك الطفل الذي ولد في كتيبة إرهابية، من أم إرهابية تعرضت للإغتصاب باسم الجهاد الزائف.. وكتبت «نوارة امرأة الزمن الصعب» عن تلك المرأة القوية التي غلبت السرطان والموت فعانقتها الحياة، ونصوصاً أخرى عبرتْ عني، من خلال تجاربي وتجارب أخرى تركت وقعها في نفسي.

ومن خلال برنامجي «مرافيء ثقافية»، لامست مختلف التجارب الإبداعية لكتاب جزائريين، ومن مختلف الوطن العربي من خلال حوارات جمعتني بهم. هذه أكثر البرامج التي أعتبر تأثيرها واضحا على نصوصي الأدبية. وإضافة إلى الإصدارات المختلفة والعمل الإذاعي، أعُدُّ النشر المستمر في مختلف المنابر الثقافية العربية همزة وصل مهمة، بيني وبين القارئ في الوطن العربي، وأهم المنابر التي أتعامل معها: مجلة الرافد، ونزوى، والجوبة، والحقائق اللندنية، وكذلك منذ سنوات شرفتني مجلة «حيفا لنا» بعضوية التحرير، وكثير من العناوين التي لها حضورها الثقافي لدى النخبة العربية.

كذلك أشتغل في نصوصي خلال السنوات الأخيرة على الجانب النفسي، بحكم تخصصي الثاني في علم النفس الإكلينيكي (دراسات عليا)، الذي أعده أيضا محطة مهمة خدمت إبداعي وكتاباتي.. لأنها منحتني تقنيات وفنيات التوغّل في أعماق نفسية شخصيات القصة والرواية، ومن خلالها أحاول أن أربط بين علم النفس والأدب، كما ربطت من خلال دراسة علمية قمت بها العام الماضي بين العمل الإذاعي وعلم النفس «الإجهاد النفسي عند المذيعين»، وتعد الدراسة الأولى في نوعها في الجزائر، والثانية في الوطن العربي بعد دراسة سعودية.

مشواري الأدبي فيه الكثير من المراحل التي هي محطات مختلفة، من خلالها تغيرت عندي الكثير من الرؤى، سواء منعرجات في حياتي الخاصة أو على المستوى المهني، أو من خلال معطيات الساحة الثقافية.. فالمبدع لا يحتاج إلى أي هيئة تتبناه ليكتب ويتألق، والأديب يحتاج دوما للحرية.. هو كطائر الهزار يقتله القفص وتحرره الطبيعة.

تناولت كتاباتي العديد من الدراسات الأكاديمية في عدة جامعات جزائرية، خاصة مذكرات التخرج، وأكثرها اشتغلت على مجموعة «الزهرة والسكين»، و«إفضاءات من زمن الدهشة»، و«مسافات الملائكة»، على مستوى جامعة سكيكدة، وجامعة عنابة، وجامعة الجزائر، والمدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة، وكذلك جامعة عمان وتونس، إضافة إلى قراءات عديدة قدمت لنصوصي من طرف كتاب ونقاد جزائريين منهم، الدكتور شريبط أحمد شريبط.

هذه بعض المحطات التي أعدها مهمة في مساري الأدبي لتتواصل التجربة بمعطيات مختلفة تولد من رحم المجهول.



سعفةٌ تضطرب في مهبّ الكلمات

■ عبدالله السفر- من السعودية

قبل يوسف إدريس، قبل نجيب محفوظ، قبل إحسان عبدالقدوس، قبل توفيق الحكيم، قبل أنيس منصور، قبل غادة السمان، قبل «المكتبة الخضراء».. قبل وقبل، كان «سعد بن حجر» حكّاء القرية وراويتها أوّل من نبّهني إلى فتنة الحكاية وسطوتها. «ابن حجر» الينبوع الذي لا يني يتدفّق؛ ننهل ولا نرتوي. كل مرّة يتركنا متأجحين بالانفعالات وسعفة الخيال تضطرب في مهب كلماته. لا أنسى «عصريّات رمضان» تحت جدار «مسجد الديرة» حين كنا نجتمع حوله بعد الخروج من المسجد مباشرة ويبدأ في نسج خيوط حكاياته واحدةً تلو أخرى. لم تكن جديدة علينا، استمعنا لها مرارا وتكرارا لكنها تتبدّى لنا كأننا نتلقّاها لأول مرة. طريقته فذّة في الإمساك بعصب الإصغاء وطرْق مشاعر مستمعيه بتصوير مواقف أبطاله؛ إنْ في لحظة الجد المشبعة بالنخوة، أو الحزن، أو تلك اللحظة الغارقة في السخرية. وكثيرا ما تتجاور في حكاياته الدمعة والضحكة، إلى جوار ما يستلّهُ من دفتر حياته وسطورها التي تقطر بجنون المغامرة. كنّا نغتسل في ينبوع «ابن حجر»، تلك الشخصية السمراء التي قدمت إلى القرية في أربعينيات القرن الماضي بخزانة من التجربة الشخصية في تهامة والحجاز، أقرب ما تكون إلى حالة أسطورية يمتزج فيها المرحُ واللهو بالعملِ في ضنك العسكرية والهرب منها والاشتغال بمهن متعددة؛ أعطته خلاصةَ حياة وفوحَ حكاياتٍ لا يتبدّد..

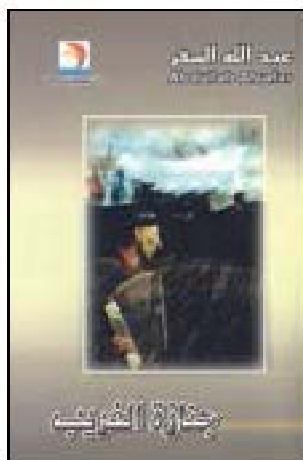
في درج الإصغاء، تحضر مدرستي الابتدائية في القرية؛ لا كتاباً مقرّرا ولا منهجاً دراسياً. معلمان فلسطينيان؛ «محمد العشا» و«علي أبو معلا». ما أزال أتذكرهما جيداً، ولم تغب عني أبدا صورتهما. الأول كان مسكونا بالجرح الفلسطيني الراعف.. ويريد لنا أن نحدّق في الجرح على طريقته؛ حكايات تترى عن النكبة والنكسة، كنا أواخر الستينيات الميلادية، وكنتُ أدرس في الصف الرابع.. حكايات عن الخيانات الدولية والعربية.. حكايات عن العمليات الفدائية البطوليّة تُذكي حماسنا وتغرس القضية في النخاع. لم يستمر «العشا» في تدريسنا، أعرف أنه انتقلَ إلى مكان آخر، وأعرف أيضا ما قيل وقتَها أنه لا يدرّس بقدر ما يحكي خارج المقرر.

المعلم الثاني «علي أبو معلا»، الغزاوي خريج الجامعات المصرية تـوّاً، أذكر دخوله الأول علينا في الصف الخامس معرّفا بنفسه وبالمادة التي سوف يدرّسها، على خلاف الآخرين الذين يبدأون في «الشرح» مباشرة مخلوطاً بالعقاب الثقيل؛ حيث شدّ الآذان وأقلام الرصاص التي تعصر الأصابع. كان «أبو معلا» فريداً في هدوئه وتسامحه وابتسامته الدائمة. نسيتُ الآن المادة التي كان يدرّسها لنا، لكني أذكر جيدا وهجَ حكاياته الخلابة، وجميعها من الأساطير اليونانية نحو أوديب وبنيلوب وبروميثيوس، عرفتُ ذلك فيما بعد وأعجب إلى الآن كيف كان

يوصل إلينا تلك الأساطير، من دون أسمائها، في حكاية سهلة سلسة. ومن الغريب أن معلمنا هذا لم يستمر لا بسبب النقل، لكنه قضى في حادث سير إثرَ نزيفٍ داخلي، وكان حياته ومصرعه في أول شبابه وجهٌ آخر لحكاياته والقدر الذي يتردد فيها مثل الأنفاس.

من هؤلاء الثلاثة (ابن حجر، أبو معلا، العشا) كانت الوقدة التي نقلتني من نعمة الإصغاء الجماعي والسباحة في أحلام يقظة موازية، إلى نعمة أخرى لها الطعمُ نفسه الذي يهَبُ المتعة وارواء الحواس، لكن في شكلٍ أخذ يتحوّل من الحالة الجماعية إلى حالة فردية تجمعني مع الكتاب فقط في مكتبة «نادي الخليج»، نادي القرية الوحيد الذي لم يكن رياضيا وحسب. كان النادي الذي صار اسمه بعد سنوات عشر على تأسيسه «نادي الروضة»، محطةً اجتماعيةً ثقافيةً رياضيةً لكبار القرية وشبابها وصغارها. وقتها بدأت علاقتي بالكتاب في مكتبة النادي الزاخرة بمئات الكتب السياسية (معظمها عن القومية العربية)، والدينية والأدبية التي أخذتُ في التهامها التهاما. وأذكر أن كثيرا من تلك الكتب كانت ترد إلى مكتبة النادي إهداءً من ابنَيْ القرية: خليل الفزيع وسعد الخليفر رحمه الله. إضافة إلى نشاط القراءة المحموم، كنتُ أشارك في إنتاج إحدى الصحف الحائطية وكان اسمها «كل شيء»، والتسمية تعود إلى مجلة مصرية قديمة راقَ لي الاسم



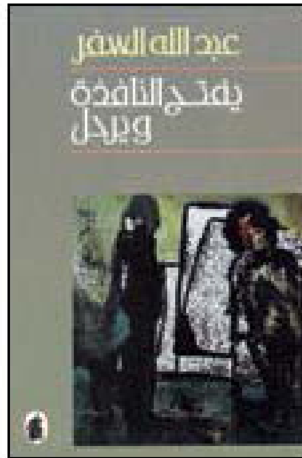


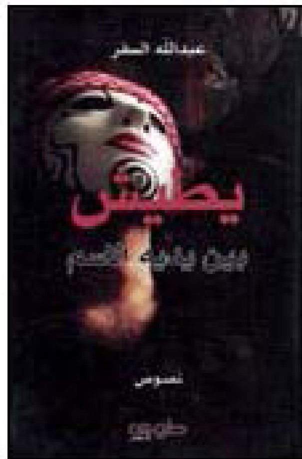
فجعلته عنوانا لصحيفتنا. أذكر عددا منها. صبغنا فرخ الورق الأبيض باللون الأصفر المائي، وألصقنا عليها المقالات المكتوبة في أوراق هذّبَ المقصُّ أطرافها، لتترك فراغات للخلفية الصفراء. واحدة من تلك الكتابات قصة لي عن محاسب خان الأمانة، صحا ضميرُه فلم يحتمل، فأقدمَ على الانتحار. أذكر تجربة صحف الحائط في نادي الخليج، وبعد ذلك في نادي الروضة، بكثيرٍ من الاعتزاز والمحبة؛ فهي التي عقدتْ صلتي الأولى بالكتابة سواءً الإبداعية، أو الاجتماعية، أو الرياضية.. وهذه حكاية طويلة امتدتْ معي من أيام «الخليج» الريفية إلى أيام «الروضة» الذهبية في الدرجة الثانية والأولى والممتاز، حيث كنتُ أكتب، بمشاركة الصديق عبدالله السيف، عن مباريات النادي، وأعلّق الكتابة في ممر النادي، وأبرز ما في هذه الكتابة التعليق الذي أخص به كل لاعب؛ مدحا أو قدحا.. مستفيدا من طريقة نجيب المستكاوي وفهمي عمر؛ الأول من جريدة الأهرام التي تذهب إلى الهفوف حاضرة الأحساء ثلاث مرات في الأسبوع للحصول عليها وعلى جريدة الأخبار ومجلات: المصوّر وآخر ساعة وروز اليوسف وصباح الخير وأكتوبر والكواكب. أما الثاني فقد كنتُ أستمع إليه في إذاعة القاهرة يحلل مباريات الدوري المصري.

خلال هذه الفترة أو آخرها على التحديد

تعرّفتُ على الصديق أحمد الملا، الذي أعد التعرّف إليه «انقلاباً» في حياتي الثقافية؛ قراءةً وكتابة، فقد انفتحت شرفة واسعة عبرَ مكتبة أحمد الملا المنزلية وعبر أسفاره التي تأتي لنا بطازج الحرف وأبهاه على عالم جديد كنتُ أسمع عنه فقط؛ عالم الكتابة الجديدة بأعلامه الكبيرة في الشعر والسرد والفكر. في هذه المرحلة، النصف الأول من الثمانينيات كانت الساحة الثقافية تمور مورا وتضطرب بالحراك الذي سجلتهُ ملاحقُ تلك المرحلة في جرائد: اليوم وعكاظ والرياض والجزيرة، لكن أقربها إلى النفس كان ملحق «اليوم الثقافي» الذي كان يشرف عليه الراحل الكبير شاكر الشيخ، وكوكبة من المحررين أبرزهم في رأيي الصديق عبدالرؤوف الغزال، الذي كنتُ أتواصل معه وأبعث له كتاباتي فينشرها. أتصوّر قلق الانتظار العصيب بعد إرسال النصوص، والفرح العارم حين أطالع الكتابة منشورة ومعها اسمي الثلاثي، بعد أن كففتُ عن استخدام الاسم المستعار الذي أرفق به نصوصي الأولى، التي نشرتُها مبكرا في ملحق «المربد» بجريدة اليوم أيام دراستي في المرحلة الثانوية.

في منتصف التسعينيات انتقيتُ من نصوصي ما حسبتهُ حينَها ناضجا ويصلح أن أنشره في كتاب، وبعثُها للصديق قاسم حداد في البحرين، الذي كان يرأس تحرير مجلة «كلمات»





وعنها كانت تصدر سلسلة «كتاب كلمات»، لكن لظروف لا أذكرها الآن انقطعت هذه السلسلة، فاقترح قاسم الذي هيّأ الكتاب وجهزّه للطبع، أن نرسله إلى «المؤسسة العربية للدراسات والنشر». تولّى الصديق أحمد الملا أمرَ متابعة الكتاب وبروفاته، ولن أنسى له أبدا أنه دفع تكلفة الطباعة. في العام ١٩٩٥م صدرَ كتابي الأول «يفتح النافذة ويرحل» بغلاف من إهداء الصديقة الفنانة الشاعرة ميسون صقر. في هذا الكتاب نواةُ شخصيتي الإبداعية التي يطبعُها الالتباس، فتخرج من تصنيف النص القار في الشعر أو القصة. كما أنها تجمع بين المخيلة وانفلاتها من شرط الواقع وإكراهاته، وكذا الانفتاح على أعطيات الأحلام «نص: طقوس أوليّة لجثث لا تنتهي».. «نص: الطريق».. «نص: صغيران أبداً».. «نصوص: انتباذيّة».. وبين الانتهال من الواقعة اليومية الشخصية التسجيلية «نص: في غير موعدهم يخونون».. «نصوص: المعلم». هذا التلازم بين المخيلة والتسجيل، هل أجدُ جذرهُ عند حكّاء القرية «ابن حجر» الذي نثرَ أمامنا حكاياته الشعبية ومعها أحداث حياته، بما فيها من مغامرات أو حتى أحداث عاديّة يصعّدها إلى حكايات مشوّقة. هل أجده عند «علي أبو معلا»؟ لستُ على يقينٍ من هذا الفهم، غير ما أنا عليه من حريّة في الكتابة تأنف الجمركة وأختام العبور.

عبدالرحمن الدرعان

ومحاولة صنع ظفيرة من خيط دخان

■ كاتب من السعودية

((أنا مغتاظ من كتاباتي، مثل عازف كمان أذنه ممتازة لكن أصابعه تأبى إعادة إنتاج الصوت الذي يسمعه بداخله)) غوستاف فلوبير.

هناك طرق لا متناهية تؤدي إلى الموت، من بينها الحياة نفسها، غير أن المبدع يدرك بحدسه لا بمعرفته - أو هكذا يزعم - أن الكتابة هي الطريق الوحيدة للنجاة، وغالبا لم يحدث أن نال أحد ما، هذا الحظ عبر خطة مدبرة كرد فعل على لا معنى الحياة، لكن لا بد من أمثلة اللامعنى، لكي تخصب الظروف التي تدفع بالمبدع قدماً نحو هذا السبيل.

ولن تستدرج للالتفات صوب بداية التجربة، والخوض في تفاصيل أسرارها من خلال هذا السؤال المريك: ما الذي دفعك للولوج إلى عالم الكتابة؟ فإنه سوف يعطيك فرصة لتزوير فهرس لسيرة شخص هو على الأرجح الآخر الذي حلمت أن تكونه، وأن تستعير بأثر رجعي، من حيوات الأبطال الذين حاولت أن تتقمصهم أكثر ما يواكب أكاذيبك بريقاً. لكنك في الوقت نفسه ينعش في داخلك ذلك التوتر والعصاب، جراء العجز المتولد عن أن ما تكتبه في الواقع يبقى دائما أقل مما تود أن تكتبه، وسرعان ما تنتبه إلى ما ينطوي عليه السؤال من إشارة مضمرة إلى أعراض جفاف التجربة، المهددة دوما بالنضوب؛ بوصفها مشروعاً ناجزاً غير قابل للتطوير، حان الوقت لترحيله إلى صندوق الذكريات البائتة.

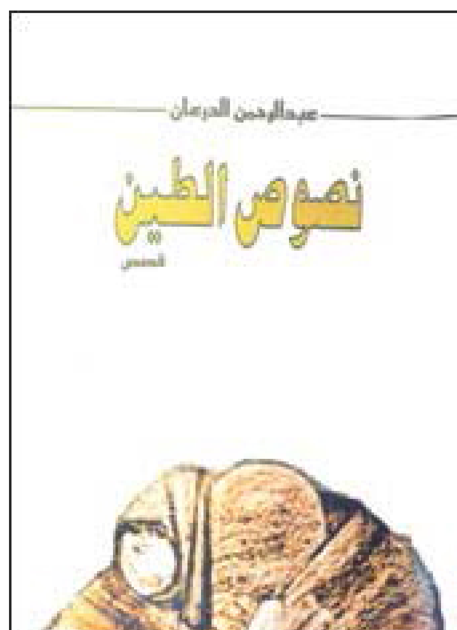
في ظني أن كل التفاتة نصوبها إلى الوراء محكومة بخيبة القبض على الصورة التي ستأكل، إن لم تكن تآكلت فعلا تحت عضة الزمن وصيرورته المتحولة، ولن تعود هي نفسها أبداً، إلا في هذا الأثر البليد وحسب. وتلفتت عيني فهد خفيت على الطلول تلفت القلب.

أنت أمام تلك اللحظة التي تعطلت فيها

الحاسة البصرية عند الشاعر العذري، حيث تتهاوى كل الأشياء والأماكن، وتذهب سريعاً نحو فنائها تحت ضربات الزمن الناعمة، ولا يبقى سوى ذاكرة يحيط بها التلف، ولن يعود في وسعها إلا أن توثق مشهد الموت، بقدر ما تشيد موعداً ينتصر للحياة.. بوصفها حلماً يثابر على تجديد نفسه باستمرار لئلا ينضب.

لا أعرف سبباً يجعلني أعتقد بأن ثمة لحظة ما في حياة كل شخص تشبه الصرخة اللامعة، هي دون سواها ما سوف تبقى اللحظة الحيّة التي تجدّد أصداءها، وتترك شظاياها مطبوعة على كل لحظة تالية؛ بحيث تبدو مضاعفة؛ وسوف تظل هي الواقعة السرية التي لا تني تمدّك بما يغذّي الوهم الذي لن يكون في مقدورك مواصلة الحياة من دونه.

سأترك الحكاية تتداعى كما هي في الزمن الذهني.. لا زمن الساعات المزيّف، لم أكن قد تجاوزت العاشرة عندما ولدت للمرة الثانية كما يحلو لي أن أزعم، كنت أذهب في الفترة المسائية وأيام الإجازات المدرسية برفقة عمي إلى مكتبة الثقافة العامة (النواة الأولى لمكتبة دار الجوف للعلوم)، الذي كان يعمل أميناً عاماً لها آنذاك، وهناك اكتشفت فضاءً خارج أقفاص الفصول الدراسية، حيث الرفوف عامرة بالكتب التي لم نعهدها في المدرسة، من بينها عثرت على الروايات الكلاسيكية الشهيرة التي استهوتني، علاوة على عدد لا بأس به من الصحف والمجلات الثقافية الشهيرة، أتذكر منها الآن مجلة العربي الكويتية بشكل خاص. وحينذاك كان فضول الطفل يقودني أحياناً لأتعلم الضرب على الآلة الكاتبة، وأنخرط في التعرف على الأعمال المكتبية، وفي أحيان أخرى

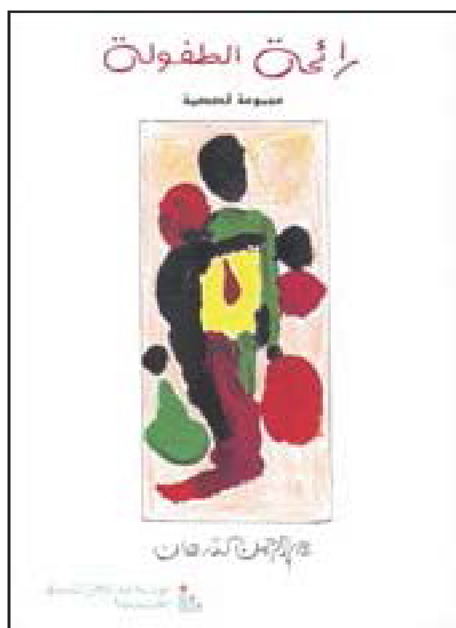


أجدني مضطراً أن أؤدي دور أمين المكتبة في غياباته القصيرة، ويحدث ذات يوم (أقول يحدث بصيغة المضارع عن قصد) أن أصادف كهلاً -لم يكن يحسن القراءة- يدخل المكتبة، يجلس إلى طاولة القراءة بيدين عاريتين، ويطلب مني البحث عن قصائد من دواوين الشعر الشعبية، لأقرأه له فيما هو يجلس إلى جواري، مستغرقاً في حالة إصغاء عميق، يشبه حداء صامتاً يحدوني للركض صوب ضفاف جديدة، وعلى نحو مفاجئ كنت ألمح سرب حمام أبيض يفز من ملامحه، حينما تضرب أوتار وجدانه قصيدة ما، فيكلفني بلهجة أبوية حانية أن أكتبها له. كهل يسترد أيامه المهدورة خارج الأبجدية عبر صبيّ تهيأ له فرصة الوثب إلى ما هو أبعد من حدود كتاب الأناشيد الباردة، يجلسان معاً كما لو أنهما اثنان سواهما؛ إنه الوله الذي أدعي الآن أنني كنته، ويندر الذي ما يزال اسمه الأخضر عالقاً بذاكرتي كأعواد النعناع.. يندر

السهيان، المعلم الذي وثّق صلتي بالكتاب، وفتح عيني على تلك الطاقة الكهربائية في الكلمات، إلى الحد الذي تجعل هذا الكهل القوي يتداعى إزاء صورة شعرية، حتى ليبدو هشاً يكفكف دمعته على حافة قصيدة، أو ينتشي كالأطفال عند قصيدة أخرى. ما أزال أشعر أنني مدين ومحظوظ لتلك المرحلة المشرقة. وفيما بعد حالفني الحظ أن أكون تلميذا يتلقى دروس التربية الجمالية على يد الأستاذ سعود بادي الطريف، الذي كنا نتفرس في خطوط يديه، وهو يشد من أوتار الشمس ليشيد لنا خيمة من نهار، وأن يكون بمعيته الأستاذ سلمان جمعة العرسان، ذلك الفنان الذي سأصدق أنه يخبئ أعطافه البساتين، كما تخبئ شتلة الياسمين عطرها الباذخ.

سأكتفي بهذه الوقفة القصيرة على أحد المكونات الأولى التي قادتني إلى هذه الطريق الخضراء، غير أنني سأشير إشارة سريعة إلى أنني قبل ذلك بسنوات قليلة.. حيث لم أكن بلغت سن المدرسة، كنت أذهب برفقة أبي الذي كان يقوم بتحفيظ القرآن للتلاميذ في جامع الشيخ فيصل، بمعيّة الشيخ حمود البليهد، وحالما ينتهي الدرس اليومي، يشرع كل منهما بالحديث عن الشعر والأدب.. من تلك النافذة كنت ألتقط النماذج الشعرية وأستظهرها قبيل الولوج في الأبجدية. كنت أحفظ نقائض الأخطل وجرير والفرزدق على سبيل المثال، وكان العالم يبدو لي واسعا ومحتشدا إلى الحدّ الذي لا أستطيع تخيله..

على خلفية هذا المشهد، عرف الطفل الطريق التي عليه أن يسلكها للسيطرة على قلب أبيه، كلما تلكأ في تحقيق رغبته: ورقة صغيرة



يتسلل ليدسها في جيبه بعد أن يسوّدها بخربشة قصيدة تكفي للإطاحة بأكبر لاءاته، وهكذا بدأت اللعبة الماكرة بتواطؤ سرّي، حتى واتتني الجرأة ذات يوم لخوض ضفاف أبعد بكثير.

ما يكون عصياً على الواقع يدفعني للجوء إلى تزييفه، فالحياة ليست تلك الوقائع التي حدثت بالفعل، ولكنها أيضا تلك التي كانت على وشك أن تحدث أيضا. كتبت ومزقت الكثير من الورق، وما أزال، كلما باغتتني شهوة الكتابة، أرتجفُ كطفلٍ يخط جملته الأولى. ترى هل يكون هذا التصحيف مصادفة بين (المكتوب) و(المكبوت)؟! وهل قدم فان جوخ في كل أعماله الباهرة ما يعادل أذنه المبتورة؟!! لا الكلمات ولا الألوان تقول دهشتي أمام زرقة البحر. ترى ماذا سيفعل شخص ألفى نفسه بين أنقاض مدينة تداعت كثيراً، ومضى الكثير من سكانها أكثر من محاولة صنع ضفيرة من خيط دخان؟!!

تجربتي في كتابة القصة القصيرة



■ عبدالله الزماي - السعودية

كتابتي للقصة القصيرة وارتباطي بها، هو جزء من شغفي وولعي بالفن والجمال منذ الصغر. أحببت الكلمة الجميلة والعبارة الجميلة، وأغرمت بالأفكار الفنية والإنسانية العميقة؛ حتى أصبح التعامل معها والتعبير عنها بمثابة لعبة ممتعة، (الكتابة) إحدى صورها.

بدأت الكتابة الأدبية منذ سنوات الدراسة بكتابة أشعارٍ عامية ركيكة، وخواطر إنشائية بسيطة، بدأت تتطور طبيعيا مع زيادة العمر والوعي والتجربة والقراءة والاحتكاك، وغيرها من العوامل التي ما أزال أزداد منها يوما بعد يوم.

توسّعت قراءتي في القصة والرواية، وتلقائيا اتسع إدراكي لمقوماتهما وكبر حجمهما من ذائقتي الأدبية، الذائقة التي كانت محصورة بالقريب والمتيسر وما هو في المتناول، فقبل أن نضرب لنا موعدا مع معارض الكتب السنوية لم تكن مكتباتنا تكترث أو تلقي بالاً لنوع الكتب التي تباع هناك من قصة ورواية وتاريخ وفكر وغيرها.

تلقائياً تحوّل الحلم من أنني أكتب إلى أنني أريد أن أصبح معروفاً، وأرتدي نظارة، إلى أن أصبحت أكتب لأشبع غروري وذائقتي؛ أكتب لأستمتع، ولأمنح عقلي متعة اختبار الأفكار وتقليبها على أكثر من وجه؛ أكتب لأصبح أحد أفراد هذا العالم، وأستطيع سماع الأصوات من حولي بوضوح حين أصغي إليها؛ أكتب لأتأمل ما حولي، وأمتحن نفسي في القدرة على إعادة صياغته.

هناك الكثير من الأحداث والأسماء والمحطات التي أثرت بي ككاتب، وأثرت كذلك على تصوري للكتابة منها: حين أصدرت مجموعتي القصصية الأولى «الوقت أصفر أحيانا» عام ٢٠٠٩م عن أدبي حائل بالتعاون مع مؤسسة الانتشار العربي، كانت خطوة جريئة، ولابد أنني استفدت منها الكثير، لا أستطيع أن أتذكر الكثير حول اتخاذي لقرار إصدارها، سوى أنها فكرة جريئة نوعا ما - قاسمني إياها وحرضني عليها الصديق الأستاذ عبدالله الحربي مسئول النشر في النادي آنذاك- مرت بيالي ولم تجد الكثير من الممانعة والمقاومة! ولكنني أستطيع أن أتذكر ما حدث بعد ذلك، وهو أن إصداري للمجموعة وضعني مباشرة أمام القراء، وأمام كتّاب القصة، وضعني فعلا أمام الآخرين. الآخرون هنا هم أكبر عدد ممكن من الناس بعيدا عن دائرتي الصغيرة، جعلني في مواجهة أسئلتهم وأذواقهم، هذا الموقف الذي وضعت نفسي فيه جعلني مسئولا -بشكل أو بآخر- ليس فقط عما أكتب، بل حتى عما يكتب الآخر، أرغمني على أن أكون متواصلا أكثر، وحاضراً أكثر، وقارئا أكثر، ومطلعا أكثر على تجارب الآخرين، مقارنا بينها؛ ما جعلني فعلا حذرا أكثر أثناء الكتابة، وكذلك أكثر اجتهادا لأكون أكثر

تميزا وأكثر جمالا.. كثرة ما ورد من كلمة (أكثر) هنا تعكس إيماني الكبير بحاجتي للاجتهاد في العمل، والصدق في التجربة، والإخلاص للفن الذي أصبحت ضمن كتيبته وأحد جنوده.

مرّة تصفحت بالصدفة إحدى الصحف الكويتية، فوجدت كلاما عن مجموعتي من شخص لا أعرفه، وكان ذلك مؤشرا مهما وحافزا ثمينا، كان يعني أن خطوتي أصبحت أبعد وأصدق!



كان يشغل بالي في تلك الفترة، كيف أستطيع أن أقدّم شيئا جديدا ولافتا، أن أكتب نصوصا جاذبة وممتعة، تعكس مهارتي، وتأخذني إلى القارئ بأسرع الطرق وأصعبها في الوقت نفسه. كنت حينذاك أكتب بمنتديات (جسد الثقافة) في قسم القصة والرواية الذي أصبحت مشرفا عليه فيما بعد، والذي كان أشبه بورشة سردية حقيقية تضم أهم الأسماء في كتابة السرد محليا، وكان هناك العديد من الرؤى والمشاكسات والقضايا الساخنة والمهمة، والمتابعة اليومية الكبيرة، على يد عدد من الشباب الطامحين والموهوبين، الذين معظمهم أصدقائي الآن، والذين شكّل احتكاكي معهم ووجودي بينهم أعظم الأثر في ذائقتي الفنية، والاستفادة من تجاربهم وآرائهم واطلاعهم على الآداب العالمية الأخرى، الحقيقة أن تلك الفترة منذ بداية تسجيلي عام ٢٠٠٨م هي التي شكلتني وأفادتني كثيرا، ولأنني ذكي وسريع التأثر.. فقد خرجت من تلك الفترة بأكبر قدر ممكن من المكاسب على الصعيد الفني.

أعتقد أن تجربتي الصغيرة في الكتابة - رغم فترتها الزمنية القصيرة نسبيا - ثرية وجميلة لدرجة أنها استحقت أن تتوج ولو باليسير حين حزت على جائزة (أدبي الرياض) للقصة القصيرة عام ٢٠١١م عن نص (كيف تدجج في الالتقاط صورة جميلة)، هذا النص وهذه الجائزة اللذان افتخر بهما كثيرا، هذه الجائزة التي جعلت شابا مثلي يعتلي المنبر، ويتفوق على أسماء كبيرة شاركت في تلك المسابقة، وكان لها العديد من الإصدارات، شعرت فعلا حينها أنني قدمت شيئا جيدا.

هذا التتويج الذي أهّلني فيما بعد أن أقف موقف الأستاذ أو المقيّم في مجال القصة القصيرة في أكثر من موقف، سواء حين كنت مشرفا على قسم القصة القصيرة والرواية والتي بدأت فيها بتطبيق مشروع جديد وجميل بمساعدة الزميلين صلاح القرشي وعلي المجنوني، وهو اختيار (قصة الشهر) من مجموع القصص التي تنشر في القسم، وجعلنا ذلك على مرأى الأعضاء وتصويتهم.. الشيء الذي أثار المزيد من التفاعل والاهتمام، كما عملنا على نشر القصص الفائزة، وكذلك على ترجمتها إلى أربع لغات عالمية.. كانت تجربة مميزة وفريدة، لا يضاهيها في الجمال إلا تجربتي حين عملت على إعداد كتاب (سنابل جبلية)، بمشاركة الزميل القاص جارالله الحميد، والذي كان يحوي خمسة وعشرين قصة لمجموعة من شباب وشابات منطقة حائل، كانت تجارب جميلة ومفيدة بمعنى الكلمة.. أهّلتني أن أكون عضو لجنة تحكيم لأكثر من مسابقة في القصة القصيرة، بصرف النظر عن نجاحي.. فإن كوّني محل ثقة الآخرين في هذا المجال هو شيء يستحق الفخر، ويعني أنك قدمت ما يؤهلك في أعينهم على الأقل.

ما يزال لديّ الكثير من الطموحات الفنية والمشاريع الكتابية المؤجلة، أتمنى أن أجد الفرصة يوما ما لإنجازها بالشكل الذي أريده ومن ثم إظهارها.



تجربتي في القصة القصيرة

■ علوان السهيمي

الكتابة تمزقنا..!

أصعب ما يمر على المبدع أن يتحدث عن نفسه، فوظيفته أن يقدّم ما لديه ثم يمضي بعيداً تاركاً للآخرين الحديث كما يحلو لهم.

في البداية أحب أن أعترف لكم بأنني صرت كاتباً بالصدفة، وصرت أعتقد فيما بعد أن هذه الصدفة أمر جميل ورائع لكن بعد مرور سنوات، اكتشفت أن الكتابة هنا تشبه كثيراً أن تتحول إلى مهرّج تدهن وجهك بكثير من الأصباغ لتمتّع الآخرين ثم تشاهد بشاعة وجهك بعد العرض، وتتأمل دمامتك!

لكنها لعنة، إن أصبت بها يوماً، فلن تتخلص منها إلى أن تموت، ستشعر بداية أنها شيء يشبه السحر، فليس أجمل من أن تبقى في قلوب الناس وفي عقولهم يوماً بعد يوم حتى بعد أن تموت، وفي المقابل.. إن كنت تملك قلباً حياً، ستكتشف أن الثقافة والكتابة والإبداع ستتحول إلى طوق فيما بعد يطوّق عنقك، وربما ينظر الناس -من بعيد- إليه فيرون فيه جمالاً، لكنهم لن ينتبهوا يوماً أنه يخنقك أكثر فأكثر.

البداية

سأحكي لكم حكاية:

حينما كنت أدرس في الكلية، كنت أصحو مبكراً وأذهب إليها، ولا أعود إلى المنزل إلا نحو الساعة الرابعة عصراً، فكانت أمي تترك لي جزءاً من الغداء، فأتناوله بمفردي مثل قط مشرد. وذات يوم حضّرت لي أمي الغداء بعد أن فرشت صحيفة الوطن كسفرة، وأثناء تناولي له، أخذت أتأمل الأخبار والمقالات المنشورة في ذلك العدد الذي تحول بقدرة قادر إلى سفرة طعام لطالب يصحو مبكراً، ثم يعود إلى منزله عصراً ليتناول غداءه.

بالمناسبة، لم أستفد كثيراً من دراستي في

الكلية، إلى أن وجدت وظيفة أقتات منها فيما بعد، وأن أحمل في قلبي كرها لبعض الدكاترة الذين درسوني؛ لتعاملهم معنا كتعامل طغاة العرب مع شعوبهم.

قرأت في ذلك العدد -وأنا أتناول غدائي- مقالا لكاتبة تتحدث فيه عن تعدد الزوجات، فاستفزني المقال، لدرجة تركت معها طعامي، وتناولت دفتر محاضراتي، وبدأت أكتب ردا على مقالها، وما أن انتهيت من كتابته حتى انطلقت إلى مقهى للإنترنت -كان مجاورا لمنزلنا- ونقلت المقال في رسالة، وأرسلته على بريد صفحة «نقاشات» في تلك الصحيفة.

لم أكن أنتظر نشره أبدا، ولم يخطر ببالي أن ينشر أصلا، لاعتقادي أن الصحافة لا يكتب فيها إلا عِلية القوم من المثقفين والكتاب، وأنهم لن ينتبهوا لطالب صغير من مدينة صغيرة شمالي المملكة استفزه مقال لكاتبة عن تعدد الزوجات، لكنني بعدما أرسلت المقال شعرت براحة تامة، وأنني أنجزت ما كان ينبغي عليَّ فعله، وعدتُ إلى منزلي بعدما ذيّلت مقالي ذاك باسم مستعار.

بعد يومين من إرسال المقال، فتحت بريدي الإلكتروني، فوجدت رسالة من القسم الثقافي في صحيفة الوطن تقول (إن أردت نشر المقال، الرجاء إرسال اسمك الصريح ليتم نشره). شعرت بفرح لا يضاهى، إنها بهجة النشر الأولى، تلك البهجة التي تشعر من خلالها بأنك أصبحت أحد المشاهير في العالم، فبادرتهم بإرسال اسمي، وبقيت طوال ثلاثة أيام أشتري أعداد الجريدة، ولا أجد لمقالي وجودا، فشعرت بالخيبة، لكن في اليوم الرابع وجدت مقالي منشورا في زاوية صغيرة من الجريدة، عندها شعرت بنشوة لا مثيل لها، ومنها بدأت أدخل عالم الكتابة، لكنني مُصِرٌّ الآن أنني دخلت إلى هذا العالم بالمصادفة، مثل أن تقف ذات يوم أمام مسئول كبير في دولة ما، ويستلطفك، وتتعيّن وزيرا فيما بعد.

الولوج في هذا العالم

منذ ذلك اليوم، بدأت أكتب مقالات وأرسلها للصحيفة، كنت أرسل خمس مقالات ولا ينشر لي إلا مقال واحد، وهذا ما شجعني أكثر فأكثر، صحيح إنهم كانوا يحذفون أشياء كثيرة من مقالاتي، لكنني كنت أقول فيما بيني وبين نفسي: إنني صغير على الحكم، إنهم يعرفون أكثر مني.

ومع مرور الأيام، ومع ازدياد معدل المقالات التي تنشر لي، بدأت أتأمل فيما أكتبه فوجدته ركيكا مقارنة مع ما كان يكتب من مقالات في ذات الصفحة، فاستشرت صديقا لي، فأمرني بالقراءة، وزودني بكتب كثيرة، أغلبها كان ممنوعا في السعودية، حتى أدمنت على قراءة الكتب الممنوعة، وغدوت مهرّبا محترفا لتلك الكتب من الخارج فيما بعد.

الطريف في الموضوع، أنني بعد قرابة السنتين من ذلك اليوم الذي نشر فيه مقالي في الصحيفة، تم الاتصال بي من صحيفة الوطن يسألوني إن كنت أود الالتحاق بالصحيفة كمحرر متفرغ ثقافي، للعمل في المقر الرئيس في أبها، وكنت أيامها عاطلا عن العمل، فالتحقت بها، وبعد أسبوعين من التحاقي استلمت صفحة

«نقاشات» التي كنت أنشر فيها مقالاتي، وكانوا يعدلون الكثير منها، وأصبحت أنا من يعدل على مقالات الآخرين ويجيز نشرها مبدئيا.

كيف ظهر« الدود»؟

يقول الروائي عبدالرحمن منيف (إن الروائي يكتب جزءا منه في أي عمل روائي ينشره) وأنا لا أنكر أنني كتبت جزءا مني في كل رواياتي التي نشرتها، لأن الكاتب لا ينفصل أبدا عما يكتبه.

ظهرت رواية «الدود» بعد لحظة تأملية جلستها مع نفسي، هذه الرواية التي تتحدث عن موسم الهجرة إلى الشمال، وأنا هنا لا أقصد رواية (موسم الهجرة إلى الشمال) للروائي السوداني الطيب صالح رحمه الله، لكنني أقصد تلك الفترات التي يذهب فيها شباب المناطق الحدودية شمالي المملكة وبخاصة تبوك إلى دولة سوريا، ويمارسون فيها كل ما يودون، من دون رادع.

وبعد أقل من ثلاثة أشهر من نشر روايتي الأولى «الدود» بدأت بكتابة رواية «الأرض لا تحابي أحدا».

ثم جاءت روايتي الأخيرة «القار».

في تلك الأيام كنت أكتب قصصا قصيرة، وكنت أفترض في نفسي أنني لست قاصا أبدا، إنما كانت القصص بالنسبة لي مشاريع روايات مشوّهة لم تكتمل بعد، لذا أذكر أنه جاءني صديق مبدع ومسئول في هذا النادي ذات يوم وقال لي: أود منك أن ترسل لي بعضا من قصصك، لأننا بصدد إصدار كتاب يتحدث عن القاصين والقاصات في المنطقة، فقلت له في ذلك اليوم: إنني لا أعتبر نفسي قاصا، لقد ولدت روائيا، والقصة بالنسبة لي ثرثرة قصيرة النفس، ولا أحب أن يرح اسمي ككاتب قصة.

لكنني بعد سنة ونصف السنة أو يزيد، نشرت مجموعتي القصصية الأولى: (قبلة وأشياء أخرى)، وأنا أتراجع الآن عن قناعتي السابقة في أنني خلقت روائيا فقط.

كيف جاءت فكرة المجموعة؟

أثناء كتابتي لرواية «القار» أخذت أقرأ قصصي التي كنت أكتفي بنشرها في مدونتي على الإنترنت، وشاركت باثنتين أو ثلاث منها في بعض المجلات الأدبية، فوجدت أن بعض هذه القصص كتب بشكل جميل ورائع، ويمكن نشره في كتاب؛ فجمعتها كلها، وبدأت أنقحها، فحذفت كثيرا منها، واكتفيت -في النهاية- بثلاثة عشر نصا نشرتها في مجموعة صغيرة لم تتجاوز المئة صفحة، ووجدت معها تفاعلا من القراء؛ فآمنت بأننا في بلد لا يبحث عن كم الصفحات في النشر، إنما تستهويهم الأعمال الصغيرة؛ فبعضهم كان يقرأ المجموعة في أربع ساعات، ويرسل لي رأيه بسرعة، والبعض الآخر يخبرني بأنه لم يبق معها أكثر من نصف يوم. لكن الكائن الثرثار في داخلي لم يتعظ من هذه التجربة، فخرجت روايتي الأخيرة في كم هائل من الكلمات، لكنني أشعر بأن لهذا الكم مبرره.

شهادة أدبية
كلهم خانوا قهوتي..

■ عمار الجنيدي - الأردن

في الثالث من أيار ١٩٦٧م أطلّت سحنتي، لترى نور الحياة وكان مولدي –على ما بدا– نذيراً بينه المناوشات العسكرية مع الكيان الإسرائيلي التي سرعان ما تحوّلت إلى هزيمة نكراء سمّيت فيما بعد بالنكسة، ويعتقد الكثيرون جازمين أنني سبب النكسة..

ولعل شظف العيش الذي ذقته، والحرمان والخوف والقسوة التي كانت تلفّ مدارات الرؤيا حولي؛ قد ترك بصماته الواضحة على مسيرة حياتي، وعلى وعيي الثقافي والإبداعي..

ففي زمن تغيرت فيه القيم والمبادئ وتبدلت، فأصبح الأزعر يقال عنه (شاطر) و(قد حاله)، وعن الطيب (أهبل)، والأنيق (مغرور)، والكريم (مسرف ومبذّر)، وصارت قيم الود والألفة والخير تفهم بغير معناها، رغم أننا بحاجة إلى هذه القيم، لنحافظ على ما تبقى من إنسانيتنا. وعليه، فإن هناك نمطاً من البشر يشرّعون الخيانة ويبررونها ويعطونها كثيرا من أخلاق الفروسية.

وما أزال أذكرني لحظة ضبطني فيها أبي أقترف القصيدة، أذكر أنه استشاط قهرا، أمر بجلدي ثمانين صفعة.

ثم أكن (وما أزال) في حالة تصالحيه مع كل من حولي، ووجدتني مدفوعاً إلى حالة من التمرد عليهم. وحرضني أحدهم أن أجد كبيراً كي أتمرد عليه.. تطلعت حولي، وحول حولي، ورحت أبحث عن كبير يستحق أن أتمرد عليه؛ فلم أجد غيره: أبي.

من الصعب أن تتمرد على أكبر المتمردين، وبخاصة إذا كان واثقاً، ويرى الجميع تلاميذ في حضرته.

استشرته في الأمر، فأشار عليّ أن ابحث فيّ عما يؤهلني أن أكون متفرداً ومميزاً.

أقنعتني الفكرة ورحت أبحث عن تلك الأشياء، فلم يجد الصغير ذو البنية الجسمية الهزيلة والقوام الشاحب إلا الإبداع الفكري والأدبي، وبخاصة بعد أن تبرعمت أشتال الحياة في مزرعة الوجود.

وأمي – سامحها الله – ظلّت بي الظنون، فأخذتني إلى الشيخ، الذي قرأ عليّ بعض تمائمه وكتب لي حجاباً رقدت على إثره حقنة

ذكور بائسة..

من السنوات..

تبرّأ الأصدقاء من مشاكستي، ونصب أهل قريتي مشنقتي على بوابة القرية، وتركوني أبحث عن غزالة القلب في محمية الضباع.

لكن ذلك، كل ذلك، لم يؤثر فيّ، بل زادني عناداً وإصراراً على ارتكاب المزيد من القصائد؛ إنما الذي طحن تماسكي، أن من أغوتني بكتابة القصيدة؛ تزوجت من أول قاطع طريق.

وفي موسكو، كان درسي الأول في الكتابة الأدبية، عندما كنت في السنة التحضيرية في جامعة الصداقة الروسية، التحقت بكلية الطب؛ هذا التخصص الذي أمقته تماما كما أمقت الفقر. تعرفت عليها كما يتعرف الأطفال على بعضهم البعض. قلت لها كلاماً لم أكن واعياً حين قلته، لكنه فيما بدا قد شكل لديها الرغبة بأن تسمع المزيد من هذه الهذيانات التي تقترب في صدقها من الأسطورة.

أسرني صمتها ورغبتها في سماع المزيد، وشكل ذلك عندي حافزاً قوياً لكي أجترح المزيد من هذه الأساطير المكتنزة بالخيالات والأوهام والهذيان.

كنت ألوذ إلى انكساري قبل أن نلتقي في إغماضة عن أعين الرقباء، فأكتب لها هذياناتي التي سرعان ما عرفت أنها تنتمي إلى فن القصة القصيرة، وتلوذ في أحايين كثيرة إلى الشعر.

وزادني تمسكا بما أكتب عندما عرفت أن المرأة قادت ابن عربي إلى الشعر، وأن الشعر قاده إلى التصوف..

وعندما رُتّبتْ لي إقامة جبرية في مستشفى أ. (٦٤) سيء الصيت- في موسكو- بدأ يراود انتباهي شعور مختلف، حيث كنت أتقاسم الغرفة في المستشفى مع خمسة من السوفيات المرضى، كنت أراهم يجلسون على أسرّتهم ينهلون الكتب بصمت القبور، ولا يكسر هذا الصمت غير قهقهات أحدهم وهو يقرأ موقفاً مضحكاً بين دفتي الكتاب. استهوتني الفكرة.. فبدأت أقرأ ما ينتهون منه بما تسعفني اللغة الروسية التي تعلمتها بسرعة فائقة. كانت القصيدة أول ما حطّت عليه رحالي الإبداعية، فنشرت ديواني الأول: «وهج الانتظار الأخير» بدعم من وزارة الثقافة/١٩٩٥م، ثم توالت عملية النشر تحت طائلة الإغراءات التي حاصرتني، فنشرتُ ديواني الثاني: «رايات على سفح الشفق» في مطابع عام ١٩٩٩م.. ونشرت مجموعتي القصصية الأولى بعنوان: «الموناليزا تلبس الحجاب» عام ١٩٩٦م. ثم نشرت مجموعتي القصصية الثانية: خيانات مشروعة، بدعم من وزارة الثقافة عام ٢٠٠٢م، ثم دعمت أمانة عمان الكبرى مجموعتي الشعرية: رماح في خاصرة الوجع ٢٠٠٤م، ثم

نشرت مجموعتي القصصية الثالثة: أرواح مستباحة، بدعم من وزارة الثقافة عام ٢٠٠٩م، ثم نشرت وزارة الثقافة مجموعتي القصصية الرابعة: «ذكور بائسة» عام ٢٠١١م.

ولعل مشاركتي في العديد من المهرجانات والأمسيات والحواريات الشعرية والقصصية، وفوزي بعدد من الجوائز الأدبية، قد أغنى تجربتي، وأعطتني فرصة الالتقاء مع المتلقي وجهاً لوجه؛ ما زاد ثقتي بما يعتمل في قلقي من هذيان وقهر وتمرد، فأشعرني فوزي بخمس جوائز أدبية بأن ما أكتبه يخضع لمقاييس التميز والإدهاش رغم أنني شخصياً غير مدهش أو متميز، بل إنني مُملّ ومضجر حدّ السلبية؛ ما شكّل فجوة بيني وبين ما أكتب؛ حتى صرت أتمنى لو أنني متميزاً كما أكتب، وبدرجة أنني صرت أشعر بالغيرة مما أكتب؛ وعليه، فقد قررت أن لا أشترك بمسابقات إبداعية بعد اليوم، لكن المحزن أن يأتي هذا الاعتراف في غالبه بتميز وأصالة الحركة الأدبية الأردنية من خارج الأردن!

(٢)

ولقد أيقنتُ أن للشعر طعم القُبلة الأولى عند العاشق، وللقصة مذاق الارتواء بعد شوط مضنٍ من اللهاث وراء حبات الرمان الناضجة؛ فالقصة لا تغني عن الشعر، ولا يمكن لأحدهما أن يكون بديلاً عن الآخر. وهنيئاً لكل جنس أدبي يستفيد من الآخر ولا يسعى لتهميشه.

لم أكن واعياً لطبيعة التجنيس الأدبي لما أكتب، وظللت أتجاهل هذه القضية؛ لأنني منذ البداية كان يهمني أن أكتب ما بداخلي من هواجس مشروخة، وكان الوقت قد فات أن أختار بين الشعر وبين القصة لأنهما كانا متداخلين عندي؛ إذ وجدتني منخرطاً فيهما، تماماً كفرحة العاشق حين يقطف قبلة من خد الحبيب.

ذلك أنني وجدتني بإمكاناتي ورؤاي التي لم يتسع لها جنس أدبي واحد، فقد لجأت إلى المزاوجة والمثاقفة، حتى اقتنعتُ بأن الحقيقة أكبر من أن تعكسها مرايا الذات والواقع بما تحمله من صور لها أبعادها الخاصة، والتي تنبت عمّن يشكو تمردها، وظلّ ما بداخلي أكبر من أيٍّ من وسائل التعبير التي عهدتها، وبقيت دوماً أبحث عن وسيلة للتعبير عن ذاتي المتأهبة لانطلاق طاقاتها وانفعالات إرهاصاتها، وعمّا يدور بي من هواجس قاتلة، قد لا أكون قادراً على كبح جماح لهفتها في البوح والانطلاق.

ولعل هذا التشتت والبحث المضني حرمني من متعة الاستقرار الأدبي، وفوّت عليّ فرصة أن أحدد هويتي؛ فلا أعرف على وجه التحديد.. هل أنا شاعر، أم قاص، أم فنان تشكيلي؟ وربما قريباً روائي..!

فعندما أكتب القصة، لا أستطيع أن أعزل الشاعر، وعندما تراودني القصيدة عن قهري، يحشر القاص أنف ثرثرته رغماً عني!

لا يعنيني كثيراً أن أكون قاصاً أو شاعراً أو روائيا، بقدر ما يهمني أن أكتب إبداعاً يحظى بي ويعبر عن قلقي.

وأفهم أن الناقد يضطلع برسالة لا تقل أهمية عن رسالة المبدع، لكن هناك من يعتقد بوجود إشكالية خاصة بين الناقد والمبدع في الأردن، تحكمها علاقات المحسوبية والشللية، وعدم الاعتراف بالقدرات الإبداعية للكثيرين، وكأن

هؤلاء النقاد يقللون من شأن إبداعات هؤلاء المبدعين، ويمارسون عليهم ذهنية الفوقية والإحباط المقصود. فصار الاعتقاد السائد أن العلاقة بين الناقد والمبدع، فيها من الخصومة والعداء أكثر مما فيها من التوجيه والإرشاد، وأن الاحترام والثقة مفقودة بينهما.





وأنا شخصياً بعيد جداً عن هذه الأجواء، فلا أعوّل على النقد كثيراً، رغم أن ما كتب نقدياً عن تجربتي الشعرية والقصصية أشعرني بأن المبدع يجب أن يكون الناقد الأول لما يكتب، وبقيتُ أتمنى أن يلتفت النقاد لآخرين يجب أن تكون تجاربهم تحت المجهر، لكنني أؤمن دائماً أن النص الجميل والمبهر سيأخذ نصيبه وحصته من النقد مهما طال السبات.

وما يحدث من خلافات طاحنة على الساحة النقدية في الأردن لا يعنيني، بل وتُظلم تجربتي إذا صرت طرفاً فيها، فأقرأ النقد كثيراً، ولا أفتعل العداءات مع من لا يجامل ما أكتب، بل إنني أُحرّض الآخرين على الابتعاد عن كل عوامل المجاملات التي لا تخدم أحداً.

(٣)

ورغم أن الكتابة الصحفية تأخذني من الإبداع أحياناً؛ إلا أنني أتلصّص أحياناً وأغافلني لأكتب قصة أو قصيدة، أو أتجول في زقاق روايتي: «الذاكرة المثقوبة» التي انتهيت من فضّ أسئلتها منذ زمن ليس بالبعيد.

إنه مما لا شك فيه، أن الأبطال الذين يذرعون مساحات قصصي هم أشخاص منتخبون، ذوو إمكانات أثيرة في نفسي، إلا أن ما يجمعني معهم: أننا جميعاً مهجوسون بمحاولة الخروج من الواقع الذي يكبّل ويحجّم من طموحنا واندفاعنا، لكننا مؤمنون في قرارات أنفسنا أن المجتمع حشرنا في أتون العادي والممل.

(٤)

فأنا رجل لا يتقن شيئاً في هذه الحياة إلا الكتابة، (يا للأسف..!).

وأنا توّاق للتعبير عن وجودي بشتى السبل المتاحة،(يا للهزيمة..!).

(٥)

الأهل والعشيرة والمجتمع تواطأوا على رفضي كمتمرد، وكصعلوك، وكعاشق، لكنهم جميعاً قبلوني كمبدع. (يا للغرابة!)؛ لذا، فإنني سأموت، وأنا ناقم عليهم جميعاً.



فهد الخليوي وحكايته مع القصة القصيرة

■ قاص من السعودية

كانت البداية في منتصف السبعينيات الميلادية، تلك المرحلة الزمنية التي شهدت حضور القصة القصيرة المحلية كفن أدبي حديث، تجاوز سذاجة الحكاية المسرودة لغرض التسلية، إلى صياغة تلك الحكاية.. لتصبح قصة ذات تقنيات فنية عالية، ودلالات إنسانية وتاريخية رحبة.

تشكلت تجربتي ضمن تجارب العديد من كُتّاب القصة في تلك المرحلة. كنا مجموعة حالمة من المتمردين على جمود الواقع الأدبي، وكان عبدالعزيز مشري، سليمان سندي، عبدالله السالمي، جبير المليحان، جارالله الحميد، محمد علوان، عبدالله باخشوين، حسين علي حسين، محمد الشقحاء، محمد قدس، عبدالله باقازي وغيرهم.

محلياً، جاء جيلنا بعد رواد القصة التقليدية من أمثال الكبار أحمد السباعي، إبراهيم الناصر، حامد دمنهوري، عصام خوقير، وغيرهم ممن أشرعوا نوافذ السرد في أوائل الستينيات.

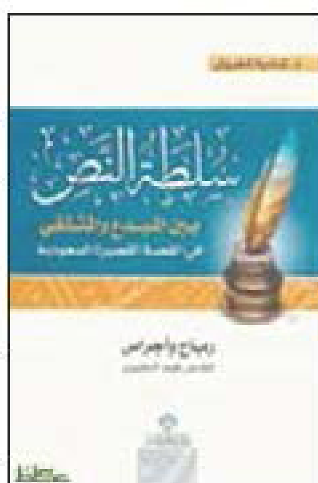
ظل الخواء يلفّ الساحة الأدبية المحلية لدرجة الانقطاع وعدم التواصل مع الإبداعات العربية والعالمية، وكانت ساحتنا الأدبية تحاصرها رياح التجديد في مجال السرد من كل فضاءات العالم، وتمطر بأسماء كبيرة ومدهشة؛ كنجيب محفوظ، وعبد الرحمن منيف، ويوسف إدريس، وزكريا تامر، وحيدر حيدر، وغيرهم من المشرقين في تاريخ الإبداع العربي الحديث.

وعالمياً، كنا نقرأ بنهم ومتعة، روائع دوستوفسكي وهيمنجواي، وكافكا، وموبسان، وماركيز، وغيرهم من عظماء المبدعين في العالم الأول.

كنت أنشر في الصحف المحلية وعلى فترات متقطعة بعض القصص القصيرة، ثم توقفت عن كتابة القصة، وأصبح جل وقتي مخصصا للقراءة والعمل في الصحافة الثقافية لسنوات طويلة، إلى أن أقنعني صديقي العزيز الكاتب والقاص سعود الجراد بطباعة مجموعة قصصية.. جمع بجهده نصوصها وأطلعني عليها، وصدرت عن ا لنادي الأدبي في حائل عام ٢٠٠٨م بعنوان(رياح وأجراس)، وقد حظيت باهتمام نقدي طيب، شجعني على إنجاز مجموعتي القصصية الثانية. وأثناء



البحث في أرشيف مكتبتي لإعداد نصوص المجموعة، وجدت ملفا يضم أكثر من ستين قصة، يكفي لإصدار ثلاث مجموعات قصصية دفعة واحدة، وكان معظمها يمثل بداية تجربتي الأولى في كتابة القصة؛ ما دفعني إلى استبعادها لعدم قناعتي بنضجها. اقتنعت وأنا أنتقي نصوص مجموعتي القصصية الجديدة «مساء مختلف» التي صدرت في العام ٢٠١١م عن النادي الأدبي في الرياض، بأنه ليس كل ما يكتبه الكاتب في شتات الصحف جدير بنشره بين دفتي كتاب، كما أن غزارة الإنتاج بمعيارها الكمّي، لا تشكّل عندي هاجسا مؤرقا، مع إيماني بأن غزارة





الإنتاج تبقى مهمة ومفيدة، إذا كان المنتج الأدبي أو المعرفي نوعيا.. وليس مجرد كمّ تراكمي يعلوه الغبار بين أرفف المكتبات.

في مجموعتيّ القصصيتين الأولى والثانية، شعرت أنني تحررت من أسْر «التجريب» الذي كان مسيطرا على بداية تجربتي؛ إذ استبعدت -كما أسلفت- تلك النصوص، وبعبارة أدق المحاولات الملتبسة التي صاحبت بدايات تجربتي في كتابة القصة القصيرة، واقتربت بحميمية من تخوم الواقع، ومحاولة قراءته من خلال قالب سردي، ومنظور فني، ولا أدعي في ذلك أنني وصلت إلى ما أطمح إليه في عالم السرد وفنونه المدهشة.



رحلتي مع القصة

■ فهد المصيبح - السعودية*

قبل تعاطيّ الكتابة كانت مشكلتي مع القراءة، إذ صادفتني فيها عقبات ثلاث، معرفة الكتاب، والوصول إليه، وقيمته. ورغم ميلي منذ الصغر إلى القصص، لم أجد فيمن حولي ما يشبع هذه الرغبة، عدا حكايا السمّار وحكاوي الجدات.

لكنّ الله جلّت قدرته منّ عليّ بقريب، أعترف بفضله في تعريفي بالكتب والحصول عليها، هو ابن خالي عبدالله الواجد، وكان من أسرة ميسورة أعطاني كتاب (أربعين لوبين)، قرأته في زمن قياسي، ثم طلبت غيره. ومن حينها، عثرت على كنز من الكتب عنده، قرأتها منبهرا بما أجد فيها مما يختلف كثيرا عما أقرؤه في الكتب المدرسية، وانطبعت في نفسي رغبة ملحّة لخوض تجربة الكتابة من شعر وقصة ومقالة ومسرح، وكانت خطوط التقليد واضحة في كتاباتي.

ومن البدء، لم يعجبني شعري، فانصرفت عنه! والمسرح لم يكن وقتها منتشرا إلا في المدارس وفرق الكشافة، وأنا عازف عن أنشطتها المؤطرة! والمقالة لم أجد فيها جديدا! فبقيت القصة التي شغفت بها حد الهوس. والأحساء تزخر بالشعر دون القصة، وإن وُجدت أطلق عليها «الحزاية» أو «السالفة»، وأنا أردت أن أسرد ويسمعني من حولي، فلم يكن أمامي إلا أطفال الحي.

ذات يوم جمعتهم أمامي وجلست على دكة باب خشبي، رويت لهم قصة أخذتها من تلفزيون الظهران «أرامكو» عن فيلم مصري للفنانة القديرة شادية، وما إن فرغت من الحكاية حتى انفضوا من حولي، وبقيت حزينا أن لم يعلق أحدٌ على ما قلت.

وفجأة تسرب إليّ صوتٌ جاءني من الخلف يشيد بما رويت، كانت امرأة تتسمع إلى الحكاية من خلف الباب الخشبي الذي أستند إليه، أعجبتها الحكاية كثيرا، وأثنت عليّ بإطراء زاد شغفي بالقصة، فأخذت أنسج حكايات ساعدني فيها أرق شديد أصبت به في صغري، وقد وجدت من أرويها له، وإن كنت أوليه ظهري.

بعد ذلك، أخذت أفتش عن كاتب قصص في وسط يلهج بالشعر ويغص بالشعراء! ولهذا فإن رحلتي مع القصة تجربة لم تنقطع منذ الطفولة وحتى هذه اللحظة، فشريان القص لا يزال ينبض في داخلي بكل هواجس الحكي، مستطعما لذة الكشف ودهشة الكتابة.

تصوروا طفلا في الثمانينيات الهجرية -الستينيات الميلادية- بين أقرانه في جوهم الصاخب باللعب والشجار والغيرة، تصوروا هذا الطفل يفتقد لعبته، وتخيلوا كيف يبرز

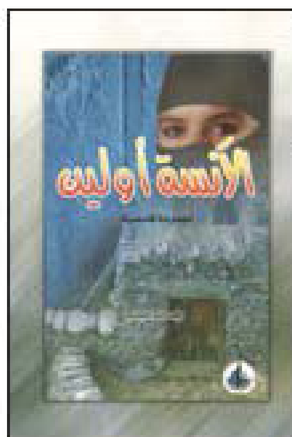
ذلك بأن أمه ستجلبها له، مشكلة محلولة بدهاء الطفولة الفطري.

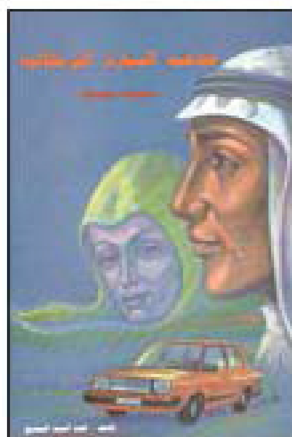
وتصوروه بلا ثوب أو نعل أو كُرةٍ أو غيرها، والحل أن أمه ستحضر له ما ينقصه، لكن أن يقف هذا الطفل بين أقرانه فاقد الأم فتلك مصيبة كبرى!

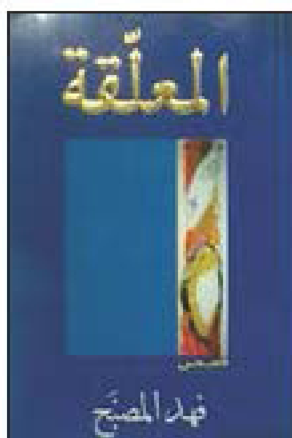
أتعرفون معنى أن يكون الطفل بلا أم؟ يعني أنه يفتقد كل شيء..

كل أطفال الحي لديهم أمهات عداي، نقص عوضته جدتي التي تَـرِدُ في أكثر قصصي، لذلك أجدني أكتب بتمكن عن الطفولة، وقد وضح ذلك جليا في مجموعتي القصصية الرابعة «رداء الذاكرة».

في المعارك يقاس مدى الانتصار بعدد القتلى، أما في طفولتنا فكان لنا معيارٌ في الانتصار بأن من يبكي من المتخاصمين يكون هو المهزوم، وكنت حينها صلبا لا أئن ولا أبكي في شجاراتنا الطفولية، كنت أشاهد المصارعة الحرة في تلفزيون الظهران «أرامكو»، وتعلمت منها بعض الحركات، وكنت أطبقها في شجاراتي، فإذا شعر خصمي بذلك، وأنه سينهزم.. كان يلجأ إلى الحيلة ليبكيني، بأي وسيلة، فيهتف على الأشهاد قائلا بأن أمي ميتة، فتخور قواي وأبكي بنشيج يجعله ينتصر







عليّ..!

من هنا، أيها الأخوة والأخوات بدأت القصة معي، فقد كنت أنسج قصصا من خيالي بأن أمي على قيد الحياة، وأنها تنتصف لي من كل مَن يضايقني، لذلك بعض القصص لا أستطيع تدوينها مع أني أرويها لأصدقائي بكل دقة وتشويق.

منذ وعيت، وأنا أشعر باختلاف عمن حولي، وانطوائية بمزاج متكدر على الدوام، كنت طفلا يتيم الأم، وهذا جرح لم يندمل فيّ إلى يومنا هذا، فامتلأت بالقص من نسج خيالي، ومما أشاهده في تلفزيون الظهران من أفلام مصرية، كنت احتبس في داخلي حكايات أريد أن أنفثها من صدري كي أرتاح.

تأثرت في البدء بالمنفلوطي، ثم بمحفوظ، وانتهاء بتشيكوف، وأظن أن دخول الترميز في القص هو هروب من شيء يخشاه الكاتب، يتناوبه عاملان.. داخلي وهو الشعور بالعجز، وخارجي وهو الخوف من الرقيب.

تدرجت في القصة من نص الوعي إلى نص اللاوعي، ثم توصلت إلى النص المشترك الذي

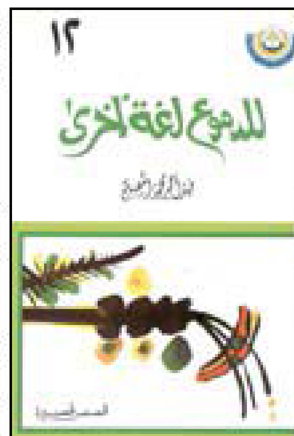
يمزج بين الإثنين، ولا أرتاح إلى تصنيفات الأدب إلى رجالي ونسائي وأطفال.

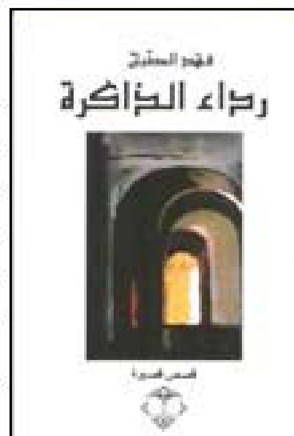
أذكر أن أستاذنا الجليل في المرحلة المتوسطة الشاعر محمد العمر الملحم- رحمه الله- كان لا يبدأ الدرس إلا ببيت أو أبيات من الشعر.

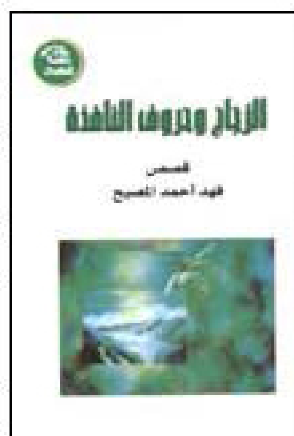
وكان ما يضايقني أنني إذا تعرفت على أحد من الأدباء لا يخوض معي في تضاعيف القص، بل يقفز فورا إلى الشعر قائلا: أسمعنا من شعرك. فأصمت منكسرا، وفي جوانحي حكاية لبادي الأحساء لم تدون بعد، فكتبتُ وعيني تبحث عن رجل قص أو حكاية.

سمعت بالمسرحي المريخي عليه رحمه الله، اقتربت منه فإذا هو منشغل بالمسرح والطفل تحديدا، طلبت منه كتابا في القص، فأعطاني كتاب «حي بن يقظان» لابن طفيل، قرأته فأدهشني كثيرا، وعرفت حينها أنني فقير في قراءاتي، فبحثت عن الكتب القصصية، وساعدني ابن خالي على ثمنها، وكم أبكتنا قصص «المنفلوطي» و«الرافعي»، ثم روائع «تشارلز ديكنز» و«هوجو».

كنت أقرأ وأكتب، وكانت كتاباتي ركيكة لم







يطلها النضج بعد، وأول ما نشر لي مقالة في الفناء وكرة القدم عام ١٣٩٤هـ في جريدة اليوم بعنوان «إصابة في القلب وإصابة في الهدف»، وكم أثلج صدري نشرها بعنوان عريض جدا، مع صورة قطبي الفناء أم كلثوم وفريد، وقطبي كرة القدم بيليه وديدي، وزاد من حماسي اتصال مشرف الصفحة الفنية بي، وهو الأستاذ الشاعر إبراهيم الغدير، طلب مني مقالات أخرى، فأعطيته قصة بعنوان «بداية مطرب»، لم تنشر لظروف تلك الفترة في المسموح وغيره، واستمريت أكتب محددا طريقي في القص، وكان النشر حينها صعبا.

بعد ست سنوات، أي في عام ١٤٠٠هـ، نشرت لي أول قصة في مجلة الشرق بعنوان «من حيث لا يحتسب»، أعجبت رئيس التحرير الأستاذ منصور سحلي، فطلب لقائي، وصرت بعدها أنشر فيها من دون مقابل.

ثم نشرت لي قصة بعنوان «النجاة» في جريدة الندوة، هاتفني على إثرها معد برنامج إذاعي بعنوان قصة من الأدب السعودي، هو الأستاذ حامد عباس، وأذيعت القصة ممثلة بإتقان، أفرحتي وشحنني بحماس للقص.

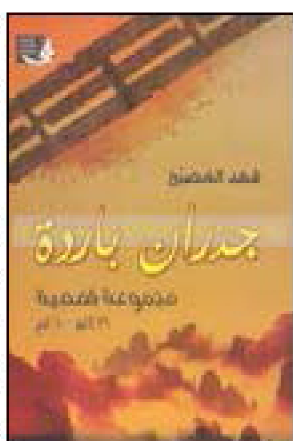
وطبعتُ أول مجموعة قصصية «صاحب السيارة البرتقالية» على حسابي الخاص عام ١٤٠٨هـ. ومثلت القصة التي تحمل عنوان المجموعة في الإذاعة ضمن البرنامج السابق.

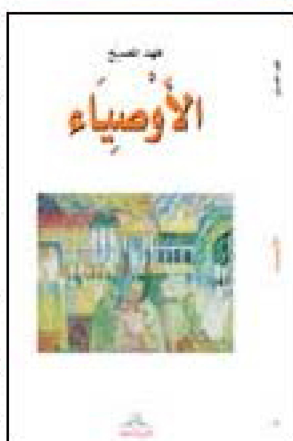
كنت منظما جدا في بداياتي، فيوم الأربعاء خصصته لجمعية الثقافة والفنون بالدمام، ويوم الأحد خصصته لمجلة الشرق قبل افتتاح النادي الأدبي بالدمام، ويوم السبت لأصدقاء القص والمعاناة، ويوم الاثنين للقنص واصطياد الأفكار، كنت أبحث عن كل من يتحدث عن القص، ووجدت نذرا يسيرا، كلهم من خارج الوطن كالروائي عبدالوهاب الأسواني، وكانت الشللية حينها متفلتة فنيا، والتصنيفات أيضا أثناء موجة الحداثة.

في عام ١٤١٠هـ افتتح النادي الأدبي بالدمام، وتوسعت حلقة القص، وكثر الرواد، وحصل التزاور والتواصل في رحلات الأدبية للأمسيات القصصية.

وأول مَن كتب عني هو أستاذي القدير محمد الشقحاء في جريدة البلاد، أتذكر أنه لم يثنِ على مجموعتي الأولى «صاحب السيارة البرتقالية» لكنه تنبأ لي بمستقبل مشرق.

كانت كل مدينة في وطني الجميل تحمل قصة مختلفة، وكان القاص لا الشاعر خير من يروي قصة بلدته، فإن كان الشعر صوت الوجدان، فإن القص هو صوت المكان.





وطبع نادي الشرقية الأدبي ثاني مجموعاتي القصصية ١٤١٤هـ «للدموع لغة أخرى»، ثم توالت المجموعات إلى أن بلغت ثماني مجموعات قصصية، حاربتني خلالها الرواية قرابة عقدين من الزمن حتى صدرت روايتي الأولى «الأوصياء» عام ١٤٢٩هـ، في وقت اتسعت فيه فسحة النشر في الملاحق الأدبية ومواقع النت.

وأخيرا جاءتني مرحلة الترجمة، وهي جديدة عليّ بطعم يمازج بين ملوحة بحر الدمام وحلاوة تمر الأحساء.

كان ما ينقصنا في تلك الفترة الملتقيات الثقافية من صوالين أو منتديات تحمل أسماء مؤسسيها، فالأعمال هي التي تبقى بعد رحيل أصحابها، وقبل أن يودعنا المريخي كتب آخر مسرحياته «رسائل الشرقي» عن رجل في القيصرية يكتب الرسائل إلى المسافرين من ذويهم. شاهدت المسرحية مرات، وفي كل مرة أحسّ أن أبا منذر يفتح لنا بابا للكتابة المسرودة عن مدينة تزخر بالإحداث بذاكرة شفاهية حان تدوينها.

لذلك ستظل الأحساء قصة، ولكل قصة بداية ونهاية، وقصتي لا تريد أن تنتهي لأنها لم تبدأ بعد.



جمالية القصة القصيرة

■ محمد عز الدين التازي - المغرب

١

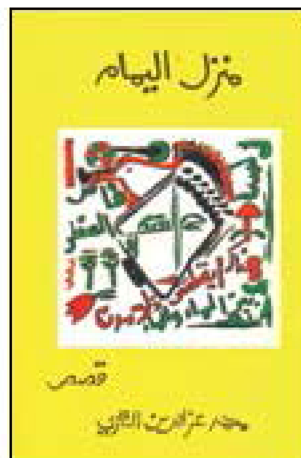
جمعتُ بين كتابة الرواية والقصة القصيرة وكتابات أخرى كالمقالة النقدية والمسرحية وقصص الأطفال. لكن مدار هذه التجربة هو الإبداع القصصي والروائي. وقد نشرت حتى الآن اثنين وعشرين رواية وتسع مجموعات قصصية، جمعت كلها في الأعمال القصصية التي نشرتها وزارة الثقافة سنة ٢٠١١م في مجلدين اثنين. ثم كتبت بعد ذلك مجموعتين قصصيتين إحداهما بعنوان: «ألف ظل وظل»، والأخرى بعنوان «المقيم في العراء»، اللتين لم تنشرا بعد على شكل كتاب، وإن تم نشر الأولى إلكترونيا في بعض المواقع.

هذا الكم من القصص الذي نشرته على شكل مجموعات قصصية، وقبل ذلك نشرت بعضا منه في الصحف والمجلات العربية والمغربية، هو ما يؤكد صلتي الوثيقة بكتابة القصة القصيرة، وارتباطي بتقنياتها وعوالمها وأخيلتها، فضلا عن مشاركتي في ندوات عربية ومغربية كان مدار عروضها ومداخلاتها هو القصة القصيرة.

إن القصة القصيرة، ومنذ بداية حياتي الأدبية مع منتصف الستينيات من القرن الماضي قد شكلت بالنسبة لي - كجنس أدبي له خواصه ومميزاته- نوعاً من الإغراء والبهاء والجاذبية؛ وذلك لقدرتها على اختزال العالم القصصي من خلال قانون التكثيف، وهو اختزال لا يَحُدُّ من إمكانات ظهور العوالم القصصية بتجليات وأبعاد متعددة؛ ذلك أن هذا الجنس الأدبي السردي يلتقي مع الشعر في كونه يسعى إلى القبض على بعض اللحظات الدَّالَّة، من خلال الرؤيا، والصورة القصصية، وترميز العوالم، وكل ما يؤدي إلى كلية من الكليات. وإذا كانت الرواية فناً للتفاصيل.. فالقصة القصيرة هي فن التكثيف اللغوي والاقتصاد في مساحة الأحداث وعدد الشخصيات، ما يدفع بها نحو الإشارة والترميز وأسطرة الواقع والفانتاستيك.

القصة القصيرة كالقصيدة، تكتب في لحظة غفل من الزمن، وتعطي نفسها أو تمتنع، تكون أو لا تكون؛ وكل التنقيحات والتحويرات

الأسلوبية واضفاء عنصر القوة على الوصف، هي أمور تأتي فيما بعد؛ لأن القصة القصيرة بارقة تحضر في الذهن، والقبض عليها في حين تلك البارقة إما أن يكون أو لا يكون؛ فلا أحد من الشعراء يجلس ويأخذ قلما ويقول لنفسه: الآن أنا سوف أكتب قصيدة، لأن القصيدة هي التي تُباغته حيث كان.



وكذلك حال القصة القصيرة، تباغت فكرتها وهي مُلْتَبِسَةٌ بلباس ما يضفي طابع الشكل؛ فليس الشكل القصصي قالبا جاهزا كما أراد بعض المنظرين لهذا الجنس الأدبي وهم يتحدثون عن البداية والعقدة والحل، أو البداية ولحظة التأزيم ولحظة التنوير، وكأنهم يرسمون خطاطة جاهزة، أو قالبا جاهزاً تُصب فيه الأحداث؛ بل إن فكرة القصة القصيرة تحمل معها صوغها الشكلي؛ ما يجعل للكتابة دورا مهما في محاولة القبض على الفكرة والشكل الذي تظهر به في آن واحد.

سوف يؤدي هذا الوضع إلى بسط مناقشة حول علاقة القصة القصيرة بالتقليد والتجديد، والواقعية والتجريب، ومغامرة الشكل وارتباطها بخصوصية الرؤية للعالم. وهي مناقشة طويلة ومتشعبة، قد لا يفيد الرأي فيها إلا بالعودة إلى تاريخ الجنس وتشكله من نصوص قصصية كان لها حضورها عالميا وعربيا، وهو حضور يستوعب العديد من التجارب وأنماط الكتابة وأنواع الوعي بها. لكن ما يمكن الإجماع عليه، هو أن القصة القصيرة، ومن حيث التجنيس، لا توجد إلا حيث يوجد تكثيف العوالم وترميزها؛ ولذلك فهي أقرب إلى الشعر منها إلى أي جنس أدبي آخر.

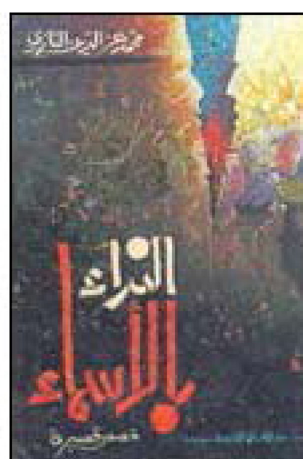
القصة القصيرة تشتغل على الكتابة التي تُحَرِّرُ العالم من السطحية والابتذال، ولذلك فهي تستعيد مدخرات الذاكرة، وترصد ما ترصده العين، وتُصَوِّرُ المعيش والمتذكر والمنسي والملتبس الجانح نحو أسطورة واقع أو واقع أسطورة. وهي وإن كانت أحداثها تقع في زمن قصير فإن هذا الزمن قد يَتَّسِعُ ليدل على أزمنة أخرى لها عمقها في التجارب الإنسانية.

كما أن جمالية القصة القصيرة، تكمن في قدرتها على أن تقدم للقارئ متعة قرائية ليست عابرة، لأنها تُرَسِّخُ في وعيه تجربة إنسانية متميزة تظل حاضرة في ذاكرته القرائية، ولذلك تكثر نشر القصص القصيرة في الصحف والمجلات، لتكون قريبة من القارئ، إذ يكثر الإقبال على قراءتها.

٢

القصة القصيرة، ليست قصيرة نظرا لقصر حجمها أو عدد صفحاتها، ولكن ما يقع فيها من أحداث وما يحضر فيها من شخصيات يبرق كالخاطرة، أو يحضر كنار عابرة في الذاكرة، أو يتأتى كانفجار له لحظته كما له السطح والعمق. والمسألة هنا هي مسألة الأثر الذي يحدثه النص في القارئ، وأعني أن القصة القصيرة، على وقت قراءتها القصير، يمكن أن

تفجر كوامن وأسئلة وتاريخا وأن تسكن وقائعها وتوقعاتها بين الحلم والأسطورة، وأن تلبسَ نفسُها لبوس الاقتصاد والكثافة والجمال اللغوي التعبيري، فهي لا تحتمل التقرير، والإخبار الجاف، والعبارات الممطوطة المترهلة بأدوات الربط، بالجمل التي يكثر فيها الحشو؛ وبدلا من ذلك فهي تلجأ إلى الاقتصاد اللغوي، الذي يتمثل في الجمل القصيرة والكلمات التي تقوم مقام الجمل، وهو الأسلوب البرقي الذي ابتدعه رائد من رواد القصة القصيرة عالميا، وهو إرنست همنغواي، الذي استفاد من الأسلوب البرقي في قصصه؛ إذ تظهر المفردة الدالة والعبارة المختارة والكلمات الموحية. وكما يتم إنجاز الاقتصاد في السرد يتم إنجاز الاقتصاد في الوصف. أما الموضوع، فالقصة القصيرة ليس لها موضوع محدد من الموضوعات، بل مجالها جميع الموضوعات ذات الأبعاد الإنسانية التي تتجسد في لحظة أو موقف أو معاناة. لذلك فالقصة القصيرة تشتغل على مختلف الموضوعات وتنوعها.





٣

نجد أن هذه الأفكار العامة، حول جنس القصة القصيرة، هي التي دفعت بقصاصين عرب كثيرين لأن يقتحموا مجاهل هذا الجنس الأدبي وأن يسهموا في تطويره وتغذيته بتحديث الأشكال وتجديد الموضوعات.

فما جسّده المعلم الكبير يحيى حقي في مجموعته القصصية (أم العواجز) من احتفاء رائد بالفانتاستيك، وما سار فيه فنانو الحكاية من قبيل يوسف إدريس، سليمان فياض، إدوار الخراط، هاني الراهب، حيدر حيدر، وزكريا تامر، عز الدين المدني، أحمد بومو، محمد زفزاف، مصطفى المسناوي ومحمد برادة، وغيرهم؛ وما جدد فيه وطوّر جيل آخر من الشباب، حقق للقصة القصيرة امتداداتها في الأدب العربي المعاصر، كل ذلك كان احتفاءً بكتابة القصة القصيرة، وتمظهراتها الجمالية والدلالية، التي جعلت منها جنسا أدبيا منفتحا على تيمات جديدة وأشكال جديدة، هي التي يمكن أن تتشخص في عدة مظاهر من بينها:

- التعامل مع الواقع في تجلياته اليومية.
- الفانتاستيك كوضعية تجمع بين العجيب والغريب.
- المفارقة الساخرة والتفكه والإضحاك.
- أسطرة الواقع.

• استحضار أشخاص تاريخيين إلى جانب شخصيات متخيلة.

• المنزع التراثي بتجلياته الممكنة؛ سواء كأقنعة للشخصيات، أو كلغة مطبوعة بالأسجاع والعبارات المعجمية القديمة.

• ترميز الواقع.

• شعرنة لغة القص.

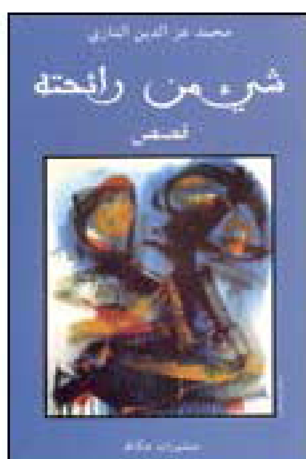
• التقطيع المشهدي.

• استخدام الوصف من خلال عين راصدة أو من ثقب الباب.

...الخ.

على أن هذه التجليات والمظاهر التيمية والشكلية وهي تحضر على مستوى الإنجاز إنما تسعى إلى تأسيس كتابة قصصية جديدة تسعى إلى تحديث هذا الفن وإمداده بروح المعاصرة، وهي معاصرة تقوم على الوعي بالذات والهوية والتاريخ والتراث، وهو وعي خلاق لا يُكرِّسُ ثقافة الماضي وإنما يؤسس عليها رؤية جديدة للمعاصرة.

وفي هذا المعنى ما يجعل من القصة القصيرة فضاء للحياة اليومية، والواقع وأنواع حضوره، وما فوق الواقع وتجلياته في الحلم والفانتاستيك والأسطرة. وكلها مجالات تتغذى منها الكتابة في جدليتها القائمة على الواقع والتخييل.





غير أن كل نص قصصي مفرد إلا وله عالمه الخاص، وفرادته في التجربة الإنسانية، ورؤيته للحياة والكون، حيث لا يتشابه مع نص قصصي آخر للكاتب نفسه أو حتى لغيره؛ لأنه إبداع وليس تقليداً. أما نصوص الكاتب مجتمعة، فيمكن أن تُقرأ على أنها سجل أدبي يحفل بأنواع الكتابة، وتعدد طرائقها وأشكالها ومضامينها.

٤

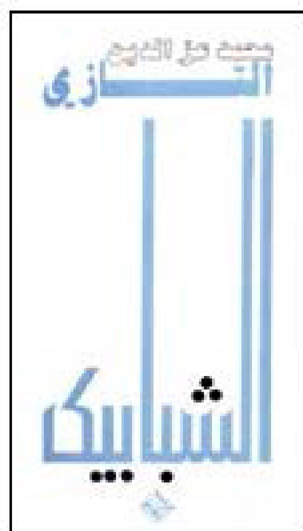
لعل أبسط سؤال يحضر في لحظة تأملنا لمعنى الكتابة في القصة القصيرة، ليس هو ما تقوله، بل هو كيف تقوله. فسؤال الكيف هو السؤال الجوهري الذي يُفضي بالقراءة إلى تلقي الرسالة وهي مُشَفَّرَة؛ ما يجعل القارئ في ارتباط شديد بفك شفرتها والكشف عن رموزها ومعانيها. ذلك أن القصة القصيرة ليست مجرد حكاية أو «حدوتة»، بل إنها محكي سردي يشتغل على الكتابة بما هي لغة وتخييل، واقتراب من عوالم الواقع والممكن والمستحيل، فلذة القراءة لا تكمن في الحكاية نفسها، وإنما تكمن في طرائق الكتابة ومستويات التخييل وشحنات اللغة وعنف التجربة ورمزيتها وهي تظهر بِلَبُوسٍ واقعي بينما هي على واقعيتها تحيل على أبعاد أخرى تخرج بالحدث الواقعي

من محليته إلى أبعاده الكونية.

لذلك، فقراءة القصة القصيرة هي كقراءة القصيدة، تحتاج إلى استشفاف ما وراء سطورها من دلالات ومعان ورموز؛ وبذلك فقراءتها تحتاج إلى قارئاً من نوع خاص، هو القارئ المثقف؛ أما القارئ العادي فمن شأنه أن يكتفي بالمستوى البسيط الذي تظهر به الحكاية، وهو مجرد عَرَض لا جوهر.

تتعدد أسئلة القصة القصيرة ومداخل قراءتها، وهي أسئلة ومداخل قراءة الأدب على العموم، لكن هذا الجنس الأدبي، الذي لم يحظ بكثير من التنظير النقدي كما حظيت به الرواية، يبقى في حاجة إلى مقاربات جديدة إن كانت تستلهم أبعادها من الشعرية وعلم السرد ونظرية النص وما جاءت به البنيوية من بنيات للحكي (السرد والشخصيات والفضاء والزمن)، فإنها في حاجة إلى أن تؤسس خطابا نقديا يقترب من خصوصية هذا الجنس، بتحولاته ومتغيراته، وانعطافاته وآفاقه، وممكناته وخواصه، وهو ما لم يحدث حتى الآن، سواء في النقد الغربي الحديث أم في نقدنا العربي، ما عدا في تنظيرات رائدة كالتي قدمها فرانك أوكونور





في كتابه «الصوت المنفرد»، وكارلوس بايكر في دراسته لأعمال إرنست همنغواي القصصية، وما قدمه باحثون عرب كعبد الحميد يونس ومحمد شكري عياد، وبعدهم باحثون اشتغلوا في أبحاثهم الجامعية على جنس القصة القصيرة، ومن بينهم في المغرب أحمد بيوري ونجيب العوفي وأحمد المديني وعبدالرحيم مودن وفريد الزاهي وآخرين. لكن كل ذلك لا يؤدي إلى تنظيرات قوية، فقد كان الغالب على تلك الدراسات هو طابع التصنيف والنمذجة والتأريخ، بينما ظلت الكثير من النصوص القصصية الجميلة، الحافلة بالرؤى والأخاييل ومستويات الواقع، تفتقد قارئها الناقد، وإن كانت قد أصبحت جزءاً من الذاكرة القرائية لبعض القراء.

•

وإن نشرت حتى الآن اثنين وعشرين رواية، وتسع مجموعات قصصية، ورغم هذه المفارقة العددية، فإنني أتلذذ بكتابة القصة القصيرة أكثر مما تحققه لي كتابة الرواية من عذاب على مستوى تنظيم النص الروائي. بل إنني أكتب قصة قصيرة، أحياناً في ليلة واحدة،

وأحيانا في ثلاثة أيام، عدا أوقات مراجعتها وضبط مفاصلها والحرص على حذف كل زيادة لا تخدم مبناها ومعناها.

كتابة القصة القصيرة مُتعة كما هي قراءتها، لم أنقطع عن كتابتها منذ ستينيات القرن الماضي. وأنا أعجب لمن يسألونني في بعض الحوارات الصحفية: لماذا انتقلت من كتابة القصة القصيرة إلى كتابة الرواية؟ أنا لم أنتقل، وإنما زاوجت بين كتابة القصة القصيرة وكتابة الرواية. الانتقال معناه هجر جنس أدبي والسكن في جنس أدبي آخر، وهو ما لم يحدث في تجربتي. كما أنني لا أذهب مع الرأي القائل بأننا نعيش زمن الرواية، لأنه رأي ينفي قوة الشعر وحضوره في مشهدنا الثقافي العربي، كما ينفي حضور القصة القصيرة التي كانت قد فقدت شيئا من حضورها في الصحف والمجلات بسبب تحول ثقافي طارئ، وعزوف بعض دور النشر عن نشر المجموعات القصصية وتفضيل نشر روايات عليها. لكن ذلك لا يعني موت جنس القصة القصيرة، لأن كتابها القدامى ما يزالون على وفاء معها، ولأن أجيالا جديدة من كتابها قد تلاحقت في الظهور، ولأن أعدادا خاصة من بعض المجلات قد بدأت تخصص ملفاتها لهذا الجنس الأدبي، ولأن جمعيات قد تأسست ومدار اشتغالها هو القصة القصيرة، سواء من خلال الندوات أو من خلال تكريم الرواد أو من خلال نشر بعض الإبداعات والدراسات والترجمات التي تخص هذا الجنس الأدبي، ولأن مواقع إلكترونية أصبحت تختص بهذا الجنس الأدبي، من خلال نشر النصوص الجديدة والتعريف بكتابها وإجراء الحوارات معهم. لهذا كله وغيره، لا يمكن اعتبار القصة القصيرة جنسا أدبيا ميتا في أدبنا العربي، لأن حياته لا تكمن في منافسته للأجناس الأدبية الأخرى، وإنما تكمن في خصوصيته الفنية والجمالية والدلالية، وهي خصوصية تكمن في بلاغة التكثيف وعمق الرؤيا والتقاط تفاصيل اليومي بما يجعل منها موادا لكتابة تروم ترميزها وإضفاء البعد الكوني عليها، وذلك من خلال:

- المجتمع ومظاهره وتحولاته.
- السياسة وحضورها في اليومي.
- الجنس وأبعاده الاجتماعية.
- المؤثرات الثقافية شعبية أو عالمية، مسموعة أو مرئية أو مكتوبة.
- التاريخ والتراث كفاعلين هامين في ثقافة الأفراد والمجتمعات.
- عوالم الحلم والأساطير وما لها من سطوة على الذات الفردية، وأيضا ما لها من قدرة على تشكيل رمزي لما هو العالم.

٦

القصة القصيرة كما هي، تشهد على الواقع؛ فهي تعيد بناءه، عبر اللغة والتخييل. إنها مغامرة أدبية تتداخل فيها عدة مظاهر:

أولها: واقعي يحيل على الواقع.

وثانيها: تخييلي يتعامل مع اللحظة من حيث هي تعبير عن اليومي بتفاصيله وموحياته.

وثالثها: رمزي يتعامل مع اللحظة ومع تاريخيتها وكونيتها.

ورابعها: رؤيوي انفجاري يبدأ عالم القص

كما هي بداية العالم.

وخامسها: سخروي يقدم الحدث بوصفه سخرية من الواقع.

وسادسها: لغوي تشرق فيه اللغة على مساحة النص القصصي.

وسابعها: زمني يحفل بزمن النص الذي هو كل الأزمنة.

وثامنها: قلق يعيش قلق المعيش وقلق الكتابة.

وتاسعها: سِرِّيٌ وغامض مُحَبَّبٌ بجمالية الغموض.

وعاشرها: حُلُمِيٌّ ينتمي إلى الحلم الأدبي.

معنى المغامرة هنا هو ارتقاء الكتابة القصصية إلى كل هذه المدارج أو بعضها على الأقل، وليس بالتحديد، فلكل كاتب قصصي ما يأخذه من هذا أو ذاك، وما يصنع منه نصاً قصصياً هو بمثابة فاكهة ذهبية، على حد تعبير ناتالي ساروت، أو غصناً ذهبياً على حد تعبير جيمس فريزر.

٧

ستة وأربعون عاما مضت على نشر أول قصة قصيرة لي سنة ١٩٦٦، في جريدة «الأنباء» المغربية، وأنا تلميذ بالثانوي. وخلال هذه العقود الأربعة ونيّف، نشرت ما يزيد على مائة وخمسين قصة قصيرة، رافَقَتْها خلالها بعض الأفكار التي أدرجتها سالفا، فبها كنت أسترشد خلال لحظات الكتابة، وبتوجيهاتها كنت أخوض مغامرة كتابة نص قصصي بعد آخر.

وإذا كانت بعض قصصي القصيرة قد دخلت الكثير من الأنطولوجيات، وترجمت إلى عدة لغات عالمية، كما أقبلت معظم المجلات الثقافية العربية على نشر بعضها، فإن ذلك ما يجعلني أحتار أمام قراء لم يعرفوني إلا ككاتب روائي، بينما القصة القصيرة شكلت في حياتي الأدبية مفصلا مهما وعشقا للكتابة واكتشافا لبعض أسرارها.

لم أشأ في هذه الورقة أن أنوب عن النقاد في توصيف أعمالي القصصية ومناحيها في التجريب وارتياد آفاق جديدة، فذلك ما قام به الكثير من النقاد والباحثين الجامعيين، حتى قيل ذات يوم إن ما كُتب عن إحدى مجموعاتي القصصية يفوق حجمها مائة مرة أو أكثر. فما أردته من هذه الورقة، هو بسط رؤيتي لهذا الجنس الأدبي، ومفهومي للكتابة فيه، وتصوري لبعض قضاياه، راجياً أن أكون قد وُفقت في ذلك إلى حدٍ من الحدود.

الأعمال القصصية المنشورة:

- أوصال الشجر المقطوعة.
- النداء بالأسماء.
- الشبابيك.
- شيء من رائحته.
- منزل اليمام.
- يتعرى القلب.
- شمس سوداء.
- باب العين.
- جهة الماء.

مجموعتان قيد النشر:

- ألف ظل وظل.
- المقيم في العراء.



تجربتي
وخزات لا تتوقف..!

■ محمد صوانة - الأردن

من الصعب أن يتحدث المرء عن نفسه، وهو في ذلك، لا بد أن يستدرج ذاكرته التي يختزن فيها الكثير من اللحظات والذكريات والأحداث التي تشكّل شخصيته، وتؤثر في تكوينه الفكريّ والثقافيّ والنفسيّ، وبالتأكيد في تكوينه الإبداعي. مَن أنت؟ السؤال الذي يجعلك تحك رأسك من دون سبب؛ لكن حقاً إذا عرفت نفسك. أدركت مَن تكون، واتضح هدفك في الحياة..

محمد صوانة، فتى من «بني عامر».. شبَّ في بيئة ريفية، في قرية وادعة.. يقطع سكونها اليومي عربات محدودة وحافلة واحدة (باص) تخدمها والقرية المجاورة لها.. أذكر عندما حضرت «الجرافة» لتسوية موضع بناء معصرة زيتون، تجمّع جميع أهل القرية لمشاهدة الآلة العجيبة ذات القدرات الخارقة! قرية في شفا جبال شرقي نهر الأردن، تطل على أفق يتيح للناظر من أعلى جبالها رؤيةً من بعيد لسماء القدس الأسيرة.. في مقربة متخيلة في الأفق، غير متاحة على أرض الواقع..!

في الصيف.. يستمتع الفتى بصفاء سماء تدور الشمس في فلكها بشكل قوسي! وتتجول عيناه في الأفق المفتوح، بحثاً فضولياً لا يدرك كنهه..!

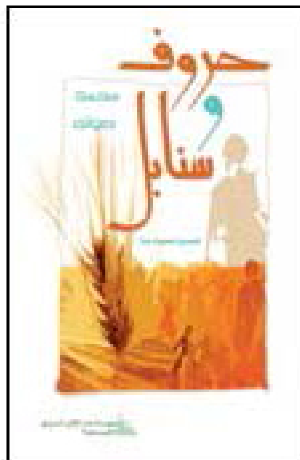
وفي الشتاء.. تتتابع الغيوم الحبلى بالغيث.. متراكمة تباعاً؛ كأنما تُدفع دفعاً! قرية تغرب شمسُ فتيانها باكراً، كأنها تعاند شغفهم باللعب بكرة القماش عندما تغيب كرة الكاوتشوك الصينية..!

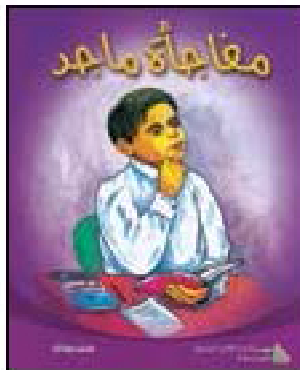
ينادي رجل طويل القامة، متواضع الثياب، جهور الصوت، بأمر المحافظ للأهالي بإطفاء الأنوار، وتغطية النوافذ بالبطانيات تمويهاً لقائدي الطائرات المعادية.. كانت أجواء هزيمة حرب ٦٧ ما تزال تخيّم على الأجواء.. وطبولها لم تهدأ بعد.. الترقّب باد على وجوه الكبار، والأمهات يسكنهن الخوف.. أمّا عيون الأطفال وقلوبهم فموزعة بين كل ذلك.. في تلك الأثناء من عام ١٩٦٨ (بداية الوعي الطفولي على العالم المحيط بالبراءة الغضة)، كانت أحداث معركة الكرامة حاضرة، وشاهد الفتى الطائرات الإسرائيلية تحلق في الأجواء.. وتعصف بسكون القرية، لم نكن نهرب، بل نخرج لنتتبع الخطوط البيضاء المتعرجة في السماء التي تتركها الطائرات خلفها.. كانت "الكرامة" عنوان الوعي لذلك الفتى.. وستظل إمكانات النصر الذي تحقق، متاحة في مخيّلته ووعيه وهاجسه..

ينتظر الفتى بلهفة بالغة عودة الأب، ويشعر بالزهو وهو يراه ببزته العسكرية وسلاحه.. ثمة

أمان يشعر به وهو يُلصق جسده بجسد والده.. كأنما يطاول قامته! نبضات قلبه تتوالى بتوتر.. ولا يعرف سبباً لذلك.!؟ تُرى هل يطول هذا الالتصاق كثيراً؟ ورهناً الفتى بحياة يؤملها مثل أترابه؟ ربما تكشف هذه الجزئية شخصية الفتى، وجانباً من طريقة تفكيره التي انعكست على جُلّ حياته، فيما بعد!

في لحظة شاردة، لم يحسب لها حساب، غربت الشمس، بعد أن كانت تملأ الأفق كله.. وهجمت عتمة عجيبة، ملأى بأرتال من غيوم داكنة تتكتل كالجبال يلو بعضها بعضاً.. ما أن تتقشع بفعل الريح، حتى تعود كما بدأت. لم يكن ذلك سهلاً على الإطلاق، فقد حفرَ في جبهته علامة فارقة، وتجذّرت لتستقر في دواخله حتى اللحظة!





وفي تلك الليالي الحالكات بدأ الوعي المختلط بالألم يتشكل.. ففي جلسات سمر مع الجدة والعمات الكريمات، رويت له ولشقيقيه الصغيرين قبل النوم حكايا «السواوي والدجاجات» و «نص انصيص» و«الغولة».! وأشركننا معهن في ألعاب بسيطة تغلب عليها الفكاهة البريئة والمفاجآت الطريفة..

انتهت سحابة الصيف، وانقشعت فُرُجات من العتمة، وعاد الفتى إلى حقيبته المدرسية ليندس في الفصل الرابع «المرحلة الأصعب لدى الفتى المجروح! كانت الوخزات المؤلمة تأتي تباعاً.. من دون أن يحسّ بمشاعره أحد، وهكذا الحياة.. كلٌّ يُغني على موّاله!

لم يكن في الحقيبة سوى بقايا أقلام ملونة كان قد أحضرها والده! تحبيبا له في الكتابة، لتحفيزه على تلوين خربشاته في دفاتره المدرسية.. وقد تركت تلك الحزمة من الأقلام أثرها في شخصيته!!

في معمعة المرحلة الإعدادية (المتوسطة)، وجد نفسه أمام معلم قادم للتو، يدفع التلاميذ إلى زيارة مكتبة المدرسة. لكن صدمةً غير محسوبة كانت تنتظره في حصة التعبير، إذ فوجئ يوما بالمعلم يطلب منه أن يقف أمام الطلاب ليقرأ لهم موضوع التعبير الذي كتبه.. فقام مبتهجاً وقرأه بزهو أمام الفصل.. منتظراً عبارات الإطراء من المعلم المنقبض؛ لكن المفاجأة كانت باتهامه بأن سأله: «مَن كتب لك الموضوع هذا؟!». «أنا يا أستاذ..». «لا، أفصح، وقل الحقيقة!» وارتسمت علامات الرهبة والتوجس والاستغراب على الوجه الكالح أصلاً.. لكنه تجاسر قائلاً: «يا أستاذ، اسأل الزملاء، والمدير، كلهم يعرفون أنني أكتب موضوعاتي بنفسي، وليست أول مرة أكتب فيها هكذا».. لتنتقل القضية إلى مكتب المدير، العارف بإمكانات الطالب، وتنتهي المشكلة مع المعلم الجديد بحكمة المدير، وتتحول بعدها إلى بعد جديد مختلف.. إذ يبدو أن المعلم عرف إمكانات الفتى، فحاول أن يجرب معه كتابة الشعر.. وسريعا انطلق يقرأ (ألف ليلة وليلة)! وأخذ يحفزه على تقديم ملخصات لبعض فصوله..! وتجميعها في (ملف خاص).. وما زلت أشعر بالأسف لأنه لم يُعده إليّ منذ أن سلمته إياه للمشاركة في معرض خاص لمشاركات مدرسية في مدارس محافظة إربد. ولم نكن نعرف حينها آلة

النسخ (التصوير).

تركت تلك العلاقة مع هذا المعلم أثراً في نفسية الفتى، وفي ميله نحو النثر والسرد والقصة وأحيانا الشعر.. وكذا في النشاطات اللامنهجية في المدرسة، ومنها المشاركة كل عام في المسرح المدرسي، في الاحتفال السنوي نهاية العام، فكان مشاركاً دائماً في التمثيل والتقديم.. وإحصاء عدد الكتب التي طالعها الفتى للاشتراك في مسابقة المطالعة على مستوى المحافظة (وإن لم تسنح له المشاركة الفعلية فيها) لكنها حققت الهدف في ترسيخ عادة حب القراءة اللامنهجية حتى صارت لازمة له حتى في أيام الامتحانات..! وكانت المرحلة الأساس في تشكل ملكة الكتابة لديه، وظلت تختزن في مداده، حتى انطلقت من عنق ذلك القلم تتدفق بشكل متوالٍ، حتى أشعر أنني بحاجة إلى التقاط بعض الأنفاس وتقييم المرحلة..

في المرحلة الجامعية، اخترت عن قناعة دراسة «الصحافة والإعلام»، التخصص الدقيق «التحرير وإنتاج الصحف والمطبوعات».. وكان لذلك دور في صقل القلم الهاوي أصلاً للكتابة.. وتسلمت سكرتارية التحرير في صحيفة القسم (صحافة اليرموك) منذ عددها الأول وحتى سنة التخرج، وشاركت كذلك في تحرير الكتاب السنوي للجامعة، وكنت أكتب في كل إصدار منهما، وفزت خلال الدراسة بأفضل تحقيق صحفي على مستوى القسم.

وبالطبع، أخذت الموهبة تتطور يوما بعد يوم.. كما هي حال محترف الكتابة.. وصاحب هذه السطور يظن أنه لم يصل بعد إلى ما يبتغي في هذا المجال.. فما يزال يرى نفسه هاوياً مجرباً وربما مغامرا أحياناً..

في العمل، تنقلت من موقع إلى آخر، كان أغلبها ضمن مجال التخصص، وأشرفت على إصدار ما لا يقل عن (١٥٠) كتاباً ودورية ومطبوعة في مختلف المجالات الأدبية والاجتماعية والاقتصادية والرياضية.. وغيرها.. ما كان له أثر كبير في صقل ملكة الكتابة، وحبها.. حتى أصبح القلم رفيقي في حلي وترحالي، فتكثر القصاصات من حولي في المكتب والبيت والسيارة، وصار الهاتف الجوال وعاء كتابة عند الحاجة يقيِّد الخاطر عندما يأتي صيده.. فأقيده؛ لأعود إليه لاحقاً.. وفي مرات عديدة أتركها جانبا - بسبب قناعتي بأنه لم يحن الوقت المناسب لإطلاقها..

أمي كان لها الدور الأكبر في تشكيل حياتي.. تلك الإنسانة الحكيمة المتعلمة في مدرسة الحياة التي عاشتها وعايشتها.. لم تذهب إلى المدرسة، لكنها ممن عركتها الحياة بحلوها ومرها، وإن طغت المرارة، آنذاك.. رغم مساحات متناثرة من السعادة. كنت أقرأ على مسامعها ما أكتبه في موضوعات التعبير والكلمات الصباحية المدرسية، فكانت السعادة تغمرها..

عندما استوى القلم خرجت بعض القصص القصيرة أولا، وقصص خاصة بالأطفال، ثم استقر القلم كثيرا في ساحة الـ ق. ق. جداً.. ربما بفعل تأثيرات عديدة تتمثل في ضيق الوقت والحاجة للتركيز والتكثيف غير المخل..

أصدرت قصة موجهة للأطفال بعنوان (مفاجأة ماجد) ٢٠٠٤م.. ثم مجموعتي الأولى في الـ ق. ق. جداً (حروف وسنابل) ٢٠١٠م، وقريبا ستصدر المجموعة الثانية إن شاء الله..

في أحيان كثيرة، لا أجد لذة النص إلا بعد فترة قد تطول.. أحياناً عندما أعود إلى كتابات سابقة، أقف عندها مشدوها، أهو بهذا الجمال؟ كيف لم أدرك ذلك لحظة ولادتها؟! في كثير من الحالات لا يتذوق الكاتب لذة نصه كما يجده القارئ! وأحيانا يكتشف ناقد في نصك أكثر مما أودعته فيه..!

لم تكن الرحلة ممهدة، بل كانت مليئة بوخزات لا تخلو من الألم! وقد ظل بعضها حاضراً مُحركاً للذاكرة المتعبة.. لا يتوقف عن وخزها..!! ولا يترك لها مجالاً للسكون!



الأمل: كاتب

■ محمد محمد مستجاب - مصر

فشلت أن أنجب أديباً..!!

جملة أنهى بها والدي إحدى مقالاته.

جملة شقت حياتي نصفين.. وملأتني بالحيرة والأسئلة.. كانت كالزلزال، لم تزل توابعه مستمرة.. جعلت الولد الذي يتصعلك ويتقافز في المقاهي والمباريات ويتشاجر مع طوب الأرض، ويتحرك في حياته من دون وجهة، ومن دون هدف محدد، أن يحدد ولأول مرة في حياته: ماذا يريد؟ وكان القرار.. أن أصبح كاتباً..

لكن أي كاتب وأنت خلفك سد عالٍ ضخم اسمه: محمد مستجاب؟!!

لم أكن أعلم أن الحياة تُعِدُّكَ كي تكون كاتباً؛ فبعد هذا الإعلان الواضح من والدي، بفشله أن ينجب أديباً، قررت التحدي، لكن الحياة أثبتت أنه ليس تحدٍّ، بل إنها تُعدك أن تكون كاتباً، وكاتب قصة قصيرة، لتصبح حياتي منقسمة نصفين: نصف تجذبه القصة وجحيمها ومتعتها وطرقها، ونصف لإنسان عادي يشاغب ويتعارك ويعيش حياة ملايين البشر.

فالخيال، والمغامرة الأنثوية، والحكاية، والصحراء، والظلال، والظل، والمدينة، والطبيعة، والإشباع، والحارثون، والعذوبة، والبيت، والكتابة، والعدة، والمدخل، والورق، والسينما، والرسم، والموسيقى، والوحدة، والمكتبة، والحب، والحيوانات، والبحر، والتراث، والأساطير، والبدايات، والتاريخ، والمهن التي امتهنتها، والأصدقاء، والثورة، والبؤس، والفقر، والضحك، والسفر، والسخرية، والبحث عن عمل، والفشل، ورحيل أبي، أشياء حملتها على جسدي، وتدثرت بها؛ فأصبحت تكويني وخلايا جسدي، أشياء غامضة وساحرة ومقلقة وساكنة، تصرخ فيّ أن أسكت، وأصمت؛ لأنها تُعد أن أكون كاتباً!

نعم هي أشياء وضعت في تكويني، لم أكن أفهمها قبل الولوج إلى عالم القصة.

وبين الشدّ والجذب، أركن وأستريح في القصة: معتمداً على جميع ما شاهدته عيناي وما قرأته من سطور وشخصيات ومواقف حياتية؛ لأجد أن ما مررت به سابقاً، وما امتهنته من مهن، هو العداد والعدة لكي أرسو في قصتي الخاصة.

وبعد أن عرجت على أشكال كثيرة من البوح والشخبطة في قصاصات صغيرة من الورق والكثير من أساليب التعبير سواءً التصوير أو كتابة السيناريو، قررت أن اكتب قصة قصيرة، فكانت أمامي مجموعة من العقبات التي يجب أن تجتازها القصة، هي: الإشباع، والخيال، والمغامرة اللغوية، ومناطق جديدة، والعذوبة، لكن القصة لا تأتي بتلك السهولة، يجب أن تمرّ في مراحل وضعها أو ولادتها، كي تهبط أو تصبّ في قالب، محدد سلفاً، فلا توجد كلمة أو جملة زيادة أو نشاز إنه الاختبار الحقيقي لأي كاتب.

نعم، القصة مختلفة عن الرواية والسيناريو وغيرها من أشكال الكتابة الأدبية.

إنها المراوغة الحقيقية والاختبار والاختيار الصعب.

وبدأت أكتب.

لم أكن أعرف ماذا أريد، وماذا أكتب! ففي داخلي أشياء غير منظمة، وموضوعات تطرق باب العقل، فهل هذا يسمح، وبدأتُ القراءة من جديد، ولا أنكر أنني بدأت أقرأ محمد مستجاب - والدي- بعيداً عن فكرة إنه والدي، وماذا فعله بالقصة العربية، وماذا يريد، ليفتح لي باب القصة الضخم، وليصبح كل شيء ممهداً لي، وأبدأ في اكتشاف المختبيء في داخلي، لكن المحيطين بي في تلك الفترة، وبخاصة الأصدقاء والأقارب، كانوا يرفضون فكرة أن يروا أديبا جديداً أمامهم! وكأنهم يغلقون الباب بكل حب في وجهي، لكن القدر يريد شيئاً آخر، شيئاً لا نعلمه بداخلنا! إنه الموهبة. ولا أنكر هنا أنني قابلت الكثير من الموهوبين وكانت بدايتهم قوية، إلا أن موهبتهم كانت تموت تحت وطأة متطلبات الحياة اليومية التي نعيشها، أو يتم استهلاكهم على المقاهي والمنتديات



وقرقراتها. إن القصة تحتاج إلى رعاية خاصة جداً، كي تبدأ في فتح أبوابها لك.

يقولون: «الأسد أربعة خراف»، حقيقة لم أكن أعرفها ولكني عشتها وأنا استعد للدخول لعالم القصة الواسع الرحب. وكانت أول الأشياء ما وفره لي والدي، إلا أنني أكتشف أن جهاز استقبالي - وهو شديد الحساسية - قادر على استقبال وامتصاص كل الأشياء حولي، قادر على استيعاب كل الدقائق والرقائق والمواقف التي أمر بها، لتتسع مداركي وأدين بكل ما حققته إلى كل الذين حولي، فهم زادي وقوتي والماعون الذي امتلكه، جميعهم من: أساتذتي وجيراني وأقاربي ورؤساء دول ومدرسين وظرفاء وجيران، وكل من قابلتهم من قتلة وبلطجية وأفاقين وموظفين، ليتضح في النهاية أنهم أنا، وأنهم أصبحوا خلايا جسدي ونقاط دمي، التي أصبحت جزءاً من تكوين عقلي، بلازما الدم الذي أعيش به. فالقصة جعلتني منتبهاً لكل ذلك، ومن دون قصد. إن الأمر في البداية يحتاج إلى تدريب، إلا أنه بعد فترة، يصبح شيئاً أساسياً تسير به؛ فكل ما يحدث حولك سوف تهضمه وتمتصه، وستأتي له لحظة دقيقة حاسمة كي تفرغه على الورق وأنت تكتب قصتك.

يأتي بعد ذلك الخيال، وأعترف أنني وجدت أن نقطة الضعف الأولى في القصة العربية الحديثة هو الخيال، فكان يجب أن أبتعد بتفكيري عن كل الأشياء والموضوعات التي

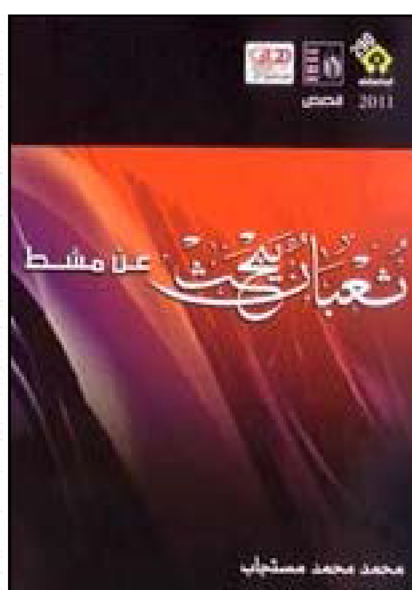
استهلكتها القصة القصيرة منذ بواكيرها، وقد تجاوز الشعر ذلك، إلا أن القصة توقفت عند موضوعات مستهلكة لأبطالها: مثل الحصول على وظيفة، أو معالجة حبيبته، أو معاناة الأب لسداد المصروفات المدرسية لأبنائه، كان ذلك اختيار أن تكون القصة محلقة، جامحة، يصعب أن تمسك فكرتها الأساسية، أي إنه كلما قرأتها.. كلما فتحت لك آفاقاً جديدة، وأظهرت وجهاً من وجوهها؛ لذا تشبثت بهذا الركن الأساس، أن أحلق بخيالي وأن يكون أبطالي واقعيين جداً، إلا أنهم محلقين في النص؛ أي يصعدون على ظهر القمر ويحاربون الشياطين، ويذوبون في نيران جهنم، ثم يتهاوون بين الغيوم ليستكينوا في أحضان حبيباتهم، وقد كان ذلك مجهوداً جداً، إلا أنه أثمر قصة مصرية خالصة، أو عربية خالصة.

ثم يأتي المكان كبطل في القصة، بأشخاصه وتضاريسه ومفرداته الخاصة، فالريف في مصر يختلف من قرية إلى أخرى، وكنت أحاول أن تكون الكتابة ذات مذاق خاص جداً، وهذا ما يضعني في اتهام: أنني قليل الإنتاج، وذلك لأنني أحب أن أطرح ما أعيشه من خلال كتاباتي؛ فأريد أن أكتب نصاً عن الصحراء، أو أن افتت التراث والثوابت التي نشأنا عليها، لتصبح الأسطورة تلك المعون الأساسي في كتاباتي، هي النهر المتجدد الذي يمدني بالطمي والأسماك، كما أنها تفتح جوانحي لما حدث في الماضي كي أستطيع أن أضع نبوءتي في قصة أكتبها. وهذه هي فائدة من فوائد القصة أو الأدب بشكل عام، أن ترى ما لا يراه أحد، وتتوقع ما لا يتوقعه أحد، وإن كان في حينه أقرب إلى الجنون لعدم حدوثه أو واقعيته، مع أن الجميع يعيشون تلك الحياة؛ وقد حدث هذا مع قصة «هارون»، وهو مراكبي لا يفارق قاربه، إلا أنه يحب لعبة التحطيب، وعندما تقع جريمة قتل على قاربه، من أشد عائلة في القرية، تنكر القرية تلك الجريمة التي شاهدها الجميع تحت وقع الخوف، إلا أنه يصمم على تحدي كل القوى، وأن الأشجار والشمس ومجدافي قاربه هما شهوده وقوته بعيداً عن خوف الناس؛ ليصبح البطل الذي يقود القرية للثورة على تلك العائلة التي سلبتها حريتها. إن تلك القصة كانت من أولى القصص التي كتبتها، وعندما حدثت ثورة يناير، وجدت من يقول إنه تنبأ بالثورة، هنا يكون التفاعل بين ما تكتبه وتراه وبين الواقع، وهو مهم للكاتب؛ لأنه يشعره إن قصته قد أصابت ونجحت.

يضاف إلى ذلك أنني أحب أن أكتب عن الحيوانات، وأن ألبسها كساءً حديثاً، أي يكون بطل القصة حيواناً، ومع أن النص العربي والقرآني مليءٌ بقصص الحيوان، إلا أن ذلك نجده نادراً في قصصنا العربية الحديثة، نعم النموذج الأوربي يطغى على نصوصنا، وهذا ما يضايقني، حتى أنني أكاد ألقي تلك النصوص، إلا أن النص العربي، بإشكالياته ومفرداته وتجربته وطموحه يجذبني، فكتبت قصة قصيرة جداً، في ست سطور، عن (العصفور الذي يتغنى بصوته، إلى أن يتجمد من البرد ويقع على الأرض ويكون الموت قريباً منه، فتمر عليه بقرة وتتروث عليه، فيذيب الروث برودة جسده وتعود له الحياة، فيعود لغنائه، وهنا ينتبه قط جائع لغنائه، فيقوم بتنظيفه من الروث ويبدأ في التهامه)، إنني هنا أكتب ما أشعر به على مستوى الإنسان في كل مكان، لكن الهدف من وراء القصة يتغير بتغير الأشخاص وطريقة استقبالهم للنص، وهذه متعة وميزة الكتابة والأدب.

والمدخل الذي يستقبلك في القصة كان

يحيرني، ربما يكون بعيداً عما أريد طرحه، إلا أنه الذي يستقبلك قبل أن تدخل إلى صحن أو قاعة النص الرئيسة، فإذا كان المدخل معتماً ودرجات سلم القصة محطمة فسوف تعيق القارىء في استقباله، وبالتالي سوف يلقي بالقصة، إن الاستهلال، شيء صعب في القصة لكنه أساسي، لأنه أول درجات النجاح.



ثم نأتي إلى أن القصة تحب الهواء الطلق، أي البراري والصحراوات والأشجار والشواطىء والشمس، وتموت خلف المكاتب وشاشات التلفزيون وظلال المقاهي وثرثراتها، فتذبل جملتها وتتكرمش كلماتها وتتجعد حروفها، وتتحول القصة إلى مواعظ وإنشاء مدرسي؛ فاقدة التأثير والتواصل والرؤية. فالقصة تحب أن تخرج من حدود المدن إلى الهواء الطلق في المزارع والبراري والصحراوات؛ فالشمس لا تثمر النباتات الضعيفة، والهواء الحر الطلق علاج لكل الكآبة والنحافة وقصر النظر وكرمشة وجه الجملة في القصة العربية.

ولا أنكر أن والدي كان محقاً في ابتعادي عن المدينة، أي الخروج من الزحام والضجيج والمطالبات اليومية التي تستهلك الإنسان؛ فالمدينة قتلت القمر وفتته وحولته إلى كلوبات ومصابيح وسيارات، واغتصبت الشمس وحولتها إلى أجهزة تكييف وقطع حشيش ومولات تجارية، وكان الانتقال إلى مكان أرى فيه الشمس بلهيبها وكسوفها، وأنتظر القمر بتقلباته، وأبحث كل ليلة عن بنات الحور وهن يتجولن حول القمر ثم يسامرنه في نور الشفق كي يتحولن إلى قصة قصيرة خاصة بي، وبخيالي الذي خشيت أن تلوثه المدينة بكل ضيق أفقها وبؤسها اليومي، حتى أتمكن من كتابة نص عذب وصافٍ ورائق ودسم، يشعرك بالشبع والامتلاء الوجداني، يناوش عقلك ويجذبك من مدينتك ومدنيتك، ويرتد بك إلى البواكير، أي أن تكون إنساناً فقط كما خلقك الله.

في القصة أنها تعطيك إحساساً شفافاً ورائقاً بأن تكاد تحس أن أحداً قبلك لم يكتبها، وانك أول من اخترق هذا الموضوع وتلك القضية، وإن كتابتك تاركة أول أثر على أديمها الناعم الخشن القاتل والصادق؛ كي تصبح القصة ذات شأن وتأثير وقيمة، أي تجعلك تنصت إنصاتاً كاملاً لإيقاع البيئة وعناصرها وتشكيلات جمالياتها، حتى نحس بطعم المكان ورائحته وجبروته وسطوته أيضاً.

والسفر والانتقال والذهاب إلى أماكن جديدة على القلب والعين والجسد، تقوم بغسلك كل فترة زمنية، تخلصك من الأدران والطفيليات التي علقت بذاكرتك وبدنك، لذا أصبحت القصة فاترة كئيبة فاقدة الوهج والتنوع، محدودة الألفاظ والمعاني، ضيقة الصدر وباردة الوجدان، فالسفر علاج لكاتب القصة، فيه يتجدد وينفض غبار الحياة اليومية

بسخافتها وبؤسها.

والإشباع، أحد العناصر التي وضعتها في بؤرتي أثناء كتابتي للقصة، أي تلك الحالة التي تحس معها أنه لم تعد هناك مساحة لمزيد، وأن القصة مكتملة ووصلت إلى الذروة، أي متقدمة وصاعدة ومتشابكة، ثم انفراجة حتى تصل بالقاريء إلى الاستكانة العقلية العذبة. إن الإشباع عنصر أساسي وصعب الوصول إليه في القصة، وتشعر به كلما ازدادت قراءتك، وكلما اتسعت معارفك؛ فإذا شعرت أن القصة لم تقدم لك ذلك العنصر، فاعلم أن الإشباع هو السبب، إنه ملح القصة؛ فلا هي حادقة ولا هي غير مستساغة. وقليلون هم من فعلوا ذلك: زكريا تامر ويوسف إدريس ومحمد المخزنجي، إن الإشباع هنا يقودك إلى الامتلاء الأدبي الذي يفتقده الكثير من القصص التي نقرأها في الكثير من الجرائد والمجلات.

ثم يلي الإشباع عنصر مهم من عناصر تكوين القصة، وهو العذوبة: أي السلاسة في استقبال النص، بتراكيبه اللغوية، والذي يمنحه الله للأديب فيضعه في سطوره، تجعلك ذا مذاق خاص متوهجا وبسيطا وقادراً على النفاذ للوجدان والعقل، والعذوبة من أخطر العناصر في القصة العربية، تلك التي تجعلك تنفر من نصوص ولا تصادقها مهما حملت من قضايا أو موضوعات، إنه اللمسة الساحرة والمسمار النافذ، هادىء لا يشوشرك بمطبات وتقاطيع خارجة عن النص وعن مستوى اللغة؛ فتشعر بأن القصة التي تقود يد القاريء غير ممهدة وغير عذبة وغير مكتملة.

بعد تلك العناصر الأساسية في القصة، تعلمت أنه يوجد عناصر أخرى يجب أن تتوافر في الكاتب، أي كاتب، أولها: المحارقون في الأدب، أي الذين قلبوا تربة حياتي من روايات وأفلام وموسيقى ونصائح وتوجيهات، أمدوني بالمثير من دون أن أكون منتبهاً لهذا، وكأنه استعداد وتجهيز كي تزرع قصتك الخاصة، إنني أدين إليهم سواء كانوا شخصيات أم أماكن أم كتب أم حيوانات أم مواقف حياتية؛ وثانياً: البيت: بتكوينه وجدرانه ومكتبته وفرشته، ذلك البيت الذي يحرس إبداعك من الصعلكة والمعارك الأدبية الوهمية والجري خلف لقمة العيش، إن البيت هو مقر كي يحمي تكوين الفنان أو الأديب، فهو المكان الذي تركن فيه بعد كل تجاربك، كي تخطط قصتك. والمكان عنصر أساس في استقبال القصة، بنظافته وملبسه وطقوسه التي تصنعها، فتصبح جزءاً أساسياً من تكوين قصتك، أضف إلى ذلك العدة التي تستخدمها سواء كانت كتباً، أو معاجم، أو موسيقى تسمعها، أو أوراقاً بيضاء، أو قلماً تتعامل به، قد يبدو هذا شيئاً خارجاً عن إطار الكتابة، لكن التجربة أثبتت أن المكان بكل طقوسه جزء أساسي ومهم لاستقبال نصك.

إن الطبيعة في الخارج تدار الشجر والصمت والرمل والحكمة والنجوم والقمر، منتظرة فنانا جديدا يصنع أدبا جديدا وقصة جديدة لم تكتب بعد، وإنني عندما أكتب القصة فإنني غني جدا جدا جدا، وأتمنى أن أكون قد نجحت في أن ينجب محمد مستجاب الأب أديبا.



القصة القصيرة

■ محمد محقق - المغرب

ولدت عام ١٩٦٣م في مدينة الدار البيضاء، المتميزة بالإبداع الذي حرك حنين ذاتي إلى لحظات صفاء الكتابة على إيقاع الاندماج والمعرفة، بحثا عن تأثيث تجربة فنية تعطي لي حق الانتماء إلى هؤلاء المهووسين لهذه الأجناس الأدبية..

ولن أتوخى الخوض في تفاصيل النشوء والتطور لهذا الكائن الأدبي «القصة القصيرة» ولكن أود فقط التأكيد - من خلال مساري القصير في درب التعبير القصصي- أن مجال الاشتغال هنا ليس له حدود أو قيود، غير الخصائص التي تجعل منه جنسا أدبيا مستقلا بذاته؛ ففيها تستمر الحياة، بكل تعقيداتها وتناقضاتها، بحلوها ومرها. وكما قيل إن القصة مغامرة فكرية لاكتشاف الواقع، وبذلك تكون القصة مستمدة تفاصيلها من الواقع المعيشي واليومي.. رافضة أن تكون أداة لاستنساخه أو التحريض عليه، بل هي تحاول فهمه حتى ولو كان ممعنا في القسوة والغرابة..

تعود أولى اهتماماتي بهذا الجنس بعد اطلاعي على قصص ألف ليلة وليلة، وروايات نجيب محفوظ وإحسان عبدالقدوس، وقصص يوسف إدريس وبورخيس وتشيخوف.. كل هؤلاء وغيرهم كان لهم الفضل الأول في كتابتي لأول محاولة قصصية، هي قصة «الحائر»، التي حازت على إحدى المراتب المتقدمة في إحدى المسابقات؛ ما كان حافزا لي على مواصلة الخطى في هذا الجنس الأدبي. وقد أحسست بزهو خفيّ لاكتشافي أنني شخصية مبدعة، فربطت علاقة حميمية بكتابة القصة القصيرة والقصيرة جدا، استجابة لرغبة دفينة جعلتني لا أستطيع مقاومة ارتيادي لعالمها المتميز والمثير، وذلك لما يتيحه هذا الجنس الأدبي من إمكانات قد لا نعثر عليها في باقي أشكال التعبير الأدبي الأخرى..

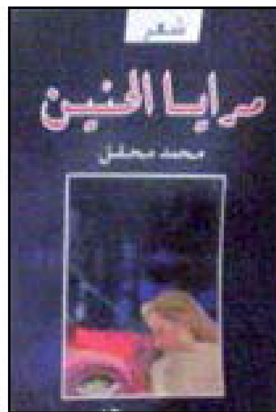
وكم كنت سعيدا بهذا العالم الإبداعي الذي جعل مني رحالة أتجول عبر صفحات الكتب المتنوعة الزاخرة بالمغامرة، وكم كان حبي شديدا لها، أمتح منها قدر المستطاع، ناهيك عن قراءة الصحف والمجلات على اختلاف مشاربها ومجالاتها. وأثناء دراستي الجامعية توطدت علاقاتي بأساتذتي، ما جعلني مواظبا على الحضور لكل الندوات والحلقات الحافلة، التي كانت تعقد من طرف بعضهم في منازلهم، والتي ساعدتني على المستوى الإبداعي.. حيث الاجتهاد الفسيح، فدرست بعمق مكونات الشخصية المغربية والحرية المتمثلة في الإبداع، للكشف عن خبايا المشاعر والأحاسيس والرؤى وجوهر الكائن الإنساني وقدراته الخفية..

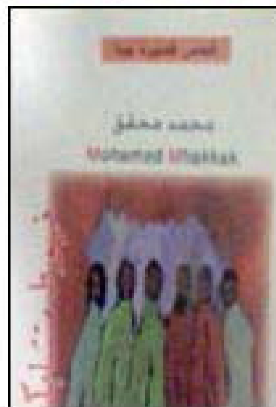
وكغيري من الأدباء الشباب، كانت محاولتي تدوّن على صفحات الإنترنيت من خلال تسجيل اسمي في عدة منتديات ومواقع متخصصة في المجال الأدبي، الذي انعكس ايجابيا على حركة موهبتي الأدبية، إذ رحت أمضي معظم وقتي مستمتعا بما يكتبه هؤلاء المبدعون، لذلك قررت أن أرسل أول محاولة قصصية لي بعنوان «الحائر» ونصوصا أخرى بجراح

العشق وانكسار الألم» إلى مسابقة المجلس العالمي للصحافة، في إطار مسابقة بي بي سي ومجلة العربي.. وهكذا، وجدت نفسي أوغل بين دروب القصة بحذر لأكشف عمقها، مستنهضا بكل حرف لاستدراج المتلقي كي يجدف بكل قواه وفي كل اتجاه؛ عله يحصد المتعة الواعية التي أحرص على تقديمها له. وككثير من المبدعين دائما أفضل الكتابة باللغة الفصحى؛ لأنها في نظري السبيل الوحيد الذي يقوى على إقامة معان ذات إيحاءات متعددة ومؤثرة، ناصبا الهدف والعبرة مما سأكتبه، مركزا على العلاقة بين الأشخاص والأحداث والأفكار المطروحة، لتحقيق وحدة الحدث بالاعتماد على الحوار والزمان والمكان.. وما ينتج عن ذلك من صراع؛ حريصا على أن تكون الحبكة متماسكة ومتمركزة مع تسليط الضوء على الشخصية (دينامية/هادئة) حسب نموها وتأثيرها في الواقع وتأثرها به، لشد انتباه (المتلقي/ القارئ/ الناقد) إلى متابعة القراءة.. ومثال على ذلك قصة الفنان:

«الفنان بنجاحاته المزيفة/ احتفلوا به/ أقاموا له الولائم/ ميزوه بعلامات/ فلها علامات...».

وكمبدع دوما أحاول التحرر من الكتابة المباشرة، من خلال توظيف الرموز والإيحاءات؛ لأنها لحظات استثنائية، أتوارى فيها لسراح القلق والأنين.. كما لا أخفيكم أنني أثناء الكتابة أحس بارتعاش، وارتجاف، وآخذُ نفساً عميقاً قبل الولوج إلى عالمها، صامتا ومتأملا بياض الورق، منتظرا بفارغ الصبر إشعاعا وبصيصا يحفزان على خوض هذه المغامرة الأدبية؛ إذ صرت أخشى الفشل واللامبالاة والتهميش، حيث كانت المعاناة شديدة الوقع علي، وبخاصة في بداية





مشواري؛ فلا إبداعاتي أخذت حقها في النشر، ولا دعوةٌ أتتني لحضور الملتقيات، ما كان له أثره السيئ في نفسي؛ وكدت أتوقف عن الكتابة لولا تشجيع أخي الأكبر، وبعض الرفاق، وحثهم المتواصل كي أستمر ولا أغادر هذا الصرح العظيم. توالت الأيام لتعود الابتسامة بنشر أول قصة قصيرة جدا لي في جريدة «المنعطف» التي كانت فاتحة لتسلسل النشر لمعظم كتاباتي (القراءات النقدية والقصائد الشعرية والقصص) بجرائد عربية أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، جريدة الاتحاد الاشتراكي وبيان اليوم والمنعطف (المغرب)، جريدة أخبار الأدب (مصر)، جريدة المدينة (السعودية)، جريدة الجسر (قطر)...

وقد نالت قصصي «جراح العشق وانكسار الألم» المرتبة الثانية في مسابقة بي بي سي ومجلة العربي، كما نالت قصة «الحائر» وساما مناصفة مع صاحب قصة «جدل داخل محارة» للكاتب محمد قطومي.. في مسابقة المجلس العالمي. أما قصة «أسطول الحرية» فقد نالت المرتبة الثالثة في منتديات دواوين الثقافية والأدبية.

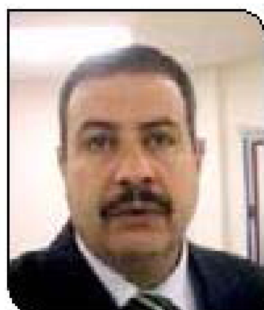
صدر لي:

١. مجموعة قصصية «خيوط متشابكة».

٢. ديوان شعري «مرايا الحنين».

٣. رواية الشارد أوشكت على الانتهاء.

٤. مجموعة قصصية «حيث يعلو الجدار» قيد الطبع.



الكتابة رحلة الحب والتأمل والتعب..

■ محمود العزازمة - الأردن

حين أتذكر قصة الكتابة، أتذكر أمي المرآة الطويلة المرتجفة. لم تكن أمي وحدي كانت أما لمنطقة كاملة حولنا، منطقة شرقي بلدة الكرامة إلى الغرب من مدينة السلط الأردنية؛ كانت تخبئ أشياء محببة لنا- آنذاك - في صرر خزانتها (زبيب، حلوى، قضامة، فستق)، لم تكن منطقتنا تمت بأي صلة لهذه الأشياء؛ فهي منطقة بين البداوة والريف، لا تلمح فيها إلا سيارات السائحين وثيابهم الملونة، وتتراءى لعيوننا الأتربة المنبعثة من طرقاتها الترابية غير المعبدة.

كنا نلتف حولها، لأنها أمي، ولأنها تمتلك تلك الأشياء. كانت مريم - بطلة أول قصة لي - تجيء لتضع رأسها في حضن أمي، كانت تستحوذ على بعض الحلوى وتشعر بالغيرة منها، كنت وأنا طفل أسمع بعضا من كلام مريم، ملخصه بإيجاز: إن أهلها أرادوا أن يزوجوها لرجل يكبرها ولا تحبه، وتقول لأمي وهي تولول: كيف أهدأ وهم قرؤوا الفاتحة؟

كنت شاهدا على تلك الأيام، وقد اعتصرني ألمٌ طفولي غامض:

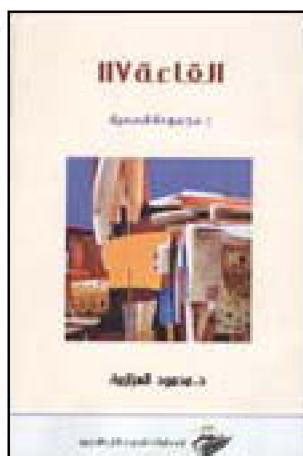
- الرجل البدين القصير يحمل عصا ويضرب مريم.

وأنا في الصف الثاني الإعدادي، ولم تزل ذكرى مريم نديّة في وجداني، قلت لنفسي: سأكتب عن مريم قصة..

وكانت قصتي الأولى في عالم الكتابة، قصة مريم؛ القصة الوحيدة التي سجّلت فيها الأشياء على صورتها الحقيقية. مضى زمن طويل عليها، ولكنني كلما أعيد قراءتها ترتجف أصابعي، وتجتاحني رعشة صادقة.

كنت في السادسة من عمري حافي القدمين، أتسلق الصخور وأقفز هنا وهناك، والمبهج أنني أتذكرها بدقة؛ تلك السنوات التي انغمست فيها وتوردت. خلالها كنت مشغوفاً باللعب؛ اللعب وحده يأخذ معظم وقتي وجلّ اهتمامي، ما أن أعود من المدرسة إلى البيت حتى أقذف كتبي ودفاتري نحو الأرض، وأملأ جيوبي تمراً وخبزاً وأركض باتجاه الجبل، أتزحلق فوق الصخور المنحدرة، ألاحق الطيور وأنازع رفاقي

وأشاجرهم. نعم.. شعرت أنني الأقوى آنذاك، فأضرب هذا وأعض ذاك، وغالباً ما ينتهي نهارنا بالشتائم، والمشجع أنني كنت أفوقهم جميعاً في قذف أكبر الشتائم. عويد وسالم وحمدان هؤلاء: أصدقائي وأعدائي. ما أن تتوارى الشمس خلف الجبل وينشر الظلام طلاءه الأسود، حتى نتبعثر كل باتجاه بيته. وكم كنت أكره الظلام، أكرهه لمجرد أنه ظلام، وربما لأنه يحرمني من اللعب وسط أقراني.. ويقطع عليَّ ساعات لهوي، أعود بعدها للبيت مكرهاً! والغريب أنني بعد هذا اللعب أبدأ بمشاكسة أمي، وأمي.. الله ما أجمل أمي! عندما أعرف أنها بلغت ذروة غضبها.. أرتمي في حضنها كجرو صغير، تهدهدني ثم أنام. وما أن أتذكر تلك الهدهدات حتى أشعر بتيار يكاد يعصف بجسدي كله. أحس أمي جزءاً من حياتي كاللعب والمدرسة. كثيراً ما أسمعها تقول: «يا رب اتركني أعيش لهما».



عندما توفيت تذكرت قولها، وبكيت، نعم، لم أر نفسي أبكي بكاءً مثل ذلك البكاء، فأنا كبيرها، وأخي الصغير كان مريضاً، كنت ألاحظ أنه أصفر الوجه، ويحب النوم أكثر مني، وأدركت بعدها أن أبي كان يذهب للعمل في الحقل ثم يذهب إلى دار جدي، وأحياناً كثيرة كان ينام هناك، ولا أدري لِمَ كان ينام هناك، والمحيِّر أنني لم أكن أشاهد أبي كثيراً في البيت كما كنت أشاهد أمي. أبي كان قاسي الملامح، هكذا أذكره الآن، وبخاصة مع أمي. أمي.. كانت تخافه، وأنا أصبحت أخافه لأنها تخافه! حين يناديني أركض مذعوراً باتجاهه، ويبدأ يحادثني - وقليلاً ما يفعل - لا أستطيع حينها النظر في وجهه، كنت أتلافى النظر في وجهه، ولا أدري حتى الآن لماذا كنت أفعل ذلك! اللعب والمدرسة وأمي، هذه الدائرة التي تدور بي وأدور فيها آنذاك. وفي أحد الأيام، وبينما كنت أهم بالخروج للعب، ألفيت ابنة جيراننا «مريم» مقبلة، وكانت قريبة، فعدت لأخبر أمي بقدومها، وما كدت أن أصل أمي حتى وصلتنا ضاحكة، وكانت جميلة، وباسمة، وطويلة، على صدرها قلادة براقة. أذكر أن يدي كادت أن تمتد نحو صدرها، لولا أنني كنت خجولاً، وحتى الآن وبخاصة مع النساء، أشعر أن جمال قلادتها يجعلني أتلعثم! خدها كان متورداً يشبه الأقحوان الذي يطلع بجانب بيتنا في الربيع، وجه مريم في ذلك النهار أنار لنا عتمة بيتنا الذي تلفه الظلال. هكذا كنت أشعر! فقلما تقع عيناي على فتاة جميلة وباسمة آنذاك، كان لمريم جلال، وكانت آسرة. سمعتها تقول لأمي: (أهذه سترة يا ربي؟! إني أفضل الموت عليها. أنا مستورة من دونه، أكرهه، كم أكرهه) ... ثم قالت: ما الفائدة؟ وافق أبي وقرؤوا الفاتحة. ثم سمعتها تقول وهي تسحب نفساً عميقاً: يا موت تعال خذني! وكنت أتخيل الموت رجلاً فحلاً يُركب الناسَ على كتفيه القويين، ويأخذهم خلف الجبال.. أجل لم أتعرف على الموت بعد. تصمت أمي حينها وتشبك إبرة الخياطة في الرداء الذي

يتكوم في حجرها، كم كان يخيفني صمتها، عندما تصمت أمي، أشعر أني على وشك البكاء، وعندما تعود إلى الحركة والكلام تنقذني ويشرق وجهي، فأضج حينها ضاحكاً وأخرج للعب.

تقول لي مريم: ما رأيك أن تأخذني أنت؟ وأقول متسائلاً وأنا أضع سبابتي في فمي: إلى أين آخذك؟ فتنظر بعدها لأمي وتهتز المرأتان من شدة الضحك. نعم. لم أدر لماذا آخذها؟ وإلى أين أذهب بها آنذاك. لكنني لاحظت أن ثمة صفرة في وجهها. إنها صفرة تشبه وجه أخي طاهر! وأخي طاهر كان طاهراً بحق، لا يسمع له صوت، وغالباً ما أشاهده يندس تحت لحافه صامتاً، هكذا أذكره الآن. أما صوت مريم فكان ناعماً وشفيفاً وطاهراً، طوال حياتي لم أسمع أنعم وأجمل منه، بعدها بسنة تقريباً – هكذا أتذكرها الآن – أذكر أنها زارت أمي، وكان بين يديها طفل رضيع، ولاحظت أنه طفل هزيل، نظراته ثابتة، ووجهه شاحب قليلاً، لكن اصفرار وجهها أصبح أكثر من قبل، شاهدتها تبكي، تلتصق بأمي وتبكي، لا أدري ما تقول لها وكم أرعبني نحولها هذه المرة، كانت نحيلة جداً: عندما تتلاقى يداها على خصرها تكاد اليدان تلتقيان.. قلت حينها بتأثر: يجب أن تأكل هذه المرأة وتشرب الحليب أيضاً. اللعنة، كل ما كان يشغلني الأكل، واللعب.. هذه حياتي ببساطة.

في هذه الزيارة خطر لي أن أسألها: أين ذهب ذلك الأقحوان؟ والمقلق أنه وفي الوقت الذي خطر لي أن أبعدها عن تفكيري، لم أستطع مجرد أن أشيح بوجهي عنها.. لم أفلح في ذلك.

لا أدري ما الذي حدث بعدها، لكني فوجئت بها تزور أمي مجدداً، أقول: لولا زيارتها هذه لنسيتها! أذكرها كما لو أنها أمامي الآن، تجلس قبالة أمي يكاد رأسها يصطدم برأس أمي، وفي صدغها الأيمن جرح طويل، قالت بصوت متهدج «لقد ضربني ابن الكلب». ولم أكن أعرف ما تقصد، فتخيلت جرواً صغيراً يعضها، وقلت في نفسي: أنا سأقتل ذلك الجرو اللعين. ومنذ ذلك الحين وأنا أكره الكلاب ويُفزعني مُجرد نباحها.

أيامي الصغيرة تعصف بأيامي الكبيرة، وأنا أجر ثمالة ذكراي نحو الأمس، آخر مرة شاهدتها، كانت تركض بين البيوت مطأطئة الرأس، تصرخ بأعلى صوتها وتمزق ثيابها، يا إلهي أين ذهب ذلك الانتصاب في رأسها؟ حتى صوتها تخالطه بحّة لم أسمعها من قبل، قذفت الكرة جانباً واستغرب أندادي، فقلما تفلت الكرة من يدي، وجلست القرفصاء أرقبها. شاهدت رجلاً قصير القامة شعره أبيض لكنه قوي البنية، يلبس ثوباً مشرعا حتى الركبتين، بيده عصا تفوق طوله. كان بين الفينة والأخرى يوجه الضربات للمرأة، حين تتعب كانت تجلس، تدفن رأسها في التراب وتعول، لم أفهم كلمة مما تقول، كان الرجل يقف إلى جانبها واضعاً يده على خاصرته الغليظة، ثم ما يلبث أن يجرها من شعرها. وقال عندما لاحظ وجودي (فضحتيني يا بنت الشيطان). تحدث الناس عنها بعد ذلك كلاماً لم يعجبني، ولم أعد أميل إلى اللعب كما كنت، قالوا: إنها جُنّت في آخر أيامها ثم ماتت.

والغريب أنني ما زلت أذكرها، وكثيراً ما أتسلل في الليل نحو المقبرة، وأجلس بجوارها صامتاً، أتذكرها، أشعر أنها تستريح لزيارتي، كما أنني متأكد أنها تنعم الآن بالهدوء والسكينة

أكثر مني، لكنني بعد أن أعود من زيارتها، وأجلس في بيتي أشعر بشيء يحيط برقبتي، ويضغط عليها، حينها، لا أستطيع أن أتمالك نفسي وأجهش في البكاء..).

ثم انتقلت إلى الجامعة الأردنية، طالبا في مرحلة (البكالوريوس) وكان المزاج آنذاك مزاجا شعريا، وأذكر أنني اتجهت إلى الشعر ونحوت بالقصة والسرد جانبا، وطفقت أقرأ للسياب، ولأمل دنقل، ولبلند الحيدري.. ولكثير غيرهم، وقد كتبت بعض القصائد، فازت إحداها في مسابقة على مستوى الجامعة.

بعد إتمام دراستي الجامعية، وجدتني في مدينة(سكاكا) معلما في مدارس الرحمانية، تزاملت في التدريس مع القاص الصديق عبدالرحمن الدرعان، وكانت لقاءاتنا خارج سياق العمل مثمرة وجميلة، أذكر أننا قرأنا سويا كتابات محمد شكري(الخبز الحافي، السوق الداخلي، وبعضا من إصدارات ميلان كونديرا ورائعته(غراميات مرحة). كان الصديق عبدالرحمن الدرعان ملهما ومثقفا فريدا، أفدت منه الكثير.

بعد هذه المرحلة عدت إلى الأردن، وأكملت دراستي العليا، وكان هم الكتابة يسير جنبا إلى جنب مع هموم الدراسة والحياة، كتبت ثلاث مجموعات قصصية (امرأة الأقحوان، في تمام الوحشة، القاعة ١١٧)؛ اثنتان منها مخطوطتان وواحدة منشورة.

ولا بدّ من الاعتراف أن ثمة شعورا يعاودني باستمرار، يقول: إنني سأمضي ذات يوم، ولن يكون بمقدوري كتابة شيء يذكرني من خلاله بعض الناس الذين أحببتهم، الكتابة بحاجة إلى كاريزما ما، أنا ليس لي كاريزما، أكتب لأنني عشت حياة عادية، طفولة مجرحة لكن الملايين عاشوا حياة مجرحة.

مشيت حافيا في المراعي والقفر، وشكوت من الهجير لرفاقي الحفاة، وكنت أتثاءب طوال يومي من قلة النوم، أما الآن وقد دخلت الكتابة بتأملاتها إليّ فقلما أنجح في النوم.اليوم يا أبي صار لي طلاب جامعيون يصغون لدروس الأدب، يصغون للجمل التي أرددها من الكتب بلهفة، لهفة ترعبني.

أكتب كي أُبعد من طريقي بعض الحجارة، أكتب لأمحي خطاباتهم الفجة من ذاكرتي..

هذه الأرض التي ما برحت تمد لي لسانها بدهاء امرأة عارفة، أعلم أن قدميّ لا تؤلمانها كما يجب..الأرض كم كانت سحيقة! أحاول أن ألعقها وأحسب أنني أتذوق شواطئها ودفء أزقتها وكلام الأنيقين من الرفاق الثاوين في لجتها. أحاول أن أدخل هناك في موطن السر الأبدي، لكنني أخاف.. يحاصرني رعب عجيب، أغرق في بكاء أملس..!

أيتها الكتابة، يا رجفة البياض:

أرسلي من روحك لي ما يعينني، أحيا بأقل وحشة. ولو لمنتصف الأشياء التي لا تختفي، ولو نقطة من يقين، تجاورني على مقعدي في الحافلة، أجاورها لو في الصدف..



الأقحوانة ما تزال بعيدة..

■ نايف النوايسة - الأردن

أكثر من مرة كنت اكتشف أني محمولٌ على الاضطرار إلى هذه المصالحة الباسمة بيني وبيني.. روحي تنزع إلى شيء، وهذا الطين الذي تورطتُ فيه ينزع إلى شيء آخر.. وأسألُ في لحظة قلق: هل أنا مخلوق ملفقٌ تلفيقا؟ هل أنا ساحة مصالحة بين أطراف متخاصمة فيّ؟ واسكت خافق القلب.

بين حدّين، لا خيار لي بهما، انبثق هذا المخلوق الذي هو أنا؛ أولهما: حدّ الولادة، وثانيهما: حدّ الموت.. حدّان مرعبان، بينهما أركض الليل والنهار، لحافي هو الأملُ بالدفء وفراشي نسيان الليلة البارحة.. فهل يتحقق لي ذلك؟!

من هنا، استيقظ فيّ منذ الرمشة الأولى السؤال الأساس، ورحت على شوك البدايات أفتش عن جواب يليق؛ أنا والسؤال المكبوت والأجوبة المستعِرّة، كون متألق يلهث وراء السنين والشمس الهاربة والعمر المقموع. أكتشف كل صباح أني ما زلتُ على حالي، محشور في كيس الطين الذي أجرجرة خلفي، وفوق رأسي مليون (طوبة) اسمها (المفاهيم، والمتعارف عليه، والمسكوت عنه، والظاهر الناطق والباطن الخانق).. أنا كائن مثلُ أي كائنٍ غريب الأطوار يخاف من الشمس حين تغرب ويخاف منها ألاّ تُشرق، مُتلبّسٌ بهاجس أنه في بحار تموج ونيران تضطرم، وبين جدران صمّاء وسقوف متجبرة، وكلها ترفع إصبعاً تقول: لا، لا،.. لم يئن أوان الانفجار.. قفْ مكانك.. فأقف متبلّماً، وتهوي نفسي فيّ مسربلة بالقلق..

وقر في القلب أن شرط الحياة الأول هو القلق، كما أنه شرط الإبداع الأول.. فأول شرط تحقق لي كمبدع هو أنني تحققت من إصابتي بضربة من شمس القلق..

ولا خيار لي فيه، ولكنني بذكاء استثمرته..

بداية الطريق

لم أجد ملعقة من ذهب في فمي.. والدي رجل بسيط لكنه طيب، وأطيب ما فيه أنه يحب المحبة ويكره الكره.. لذلك، كان يحب الابتسام والكرم.. هذه صورة عنه، مثل ومضة الفلاش، ما تزال عالقة في ذهني.. أما والدتي فكانت

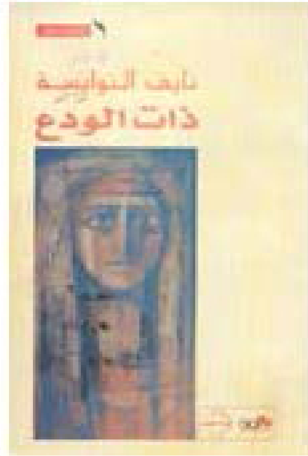
تبحث فيَّ عني وقرأت في عينيَّ ومبعثاً ما، لذلك راحت تتعقبني وأنا كهلٌ، فألقيت القبض عليها ذات مرة، وهي متلبسة بفضيلة المطالعة وكانت أميّة، وجدتها تقلّب صفحات من عدد قديم من مجلة العربي (بالمقلوب)، تحاول أن تعرف، لكن عتمة المرحلة أبعدتها عن طريق الشمس..

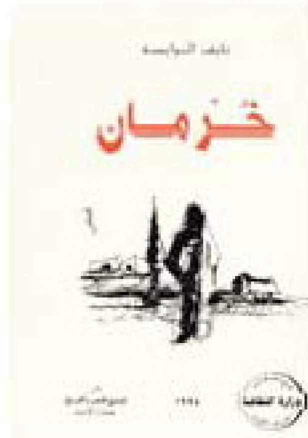
كنا مخلوقات تبحث عن مخارج، لكن الدهليز الطويل جعلنا كرهاً نتصالح معه، فحملنا أسماء نتنادى بها في عتمة هذا الدهليز، وبنينا شبكة من العلاقات، وصرنا نرى من داخلنا ما لا يوفره لنا الدهليز.. وفي كل صباح نسأل: هل إلى خروج من سبيل..؟!

عائلات متشابهة في الفقر والهموم والاحتجاج.. قطع متجاورات وأرصفة سكنها الصمت..

وفي سن ما لاح ضوء في الدهليز، فركضت نحوه، كان خيطاً رفيعاً رأيت منه قلبي وعقلي، وانتعشت روحي.. وأحسست بأن سقف القلق فيَّ بدأ يهتزّ، سُجُف الإعتام في الدهليز.. كان ذلك بعد العاشرة من عمري،







حين فتحت عيني على عالم ضاج بالمبهمات، لكنني بدأت أتسلح بالمهارب وقناديل الرؤيا..

أنا الآن مدركٌ أنَّ للقلق قيمة..

وكيف؟

حتى تصل ببيتك من هذا المكان، عليك أن تسأل نفسك، كيف أصل؟

إذاً، بدأت مرحلة القلق من أجل الوصول..

بمعنى، أن الذي لا يعيش هذه الحالة لم يُخلق بعد، أو أنه وُلِدَ ولم يدخل الحياة حتى الآن..!

القلق، إذاً، هو شرط الحياة، فالدهليز المعتم لا تنجلي معالمه إلا به..

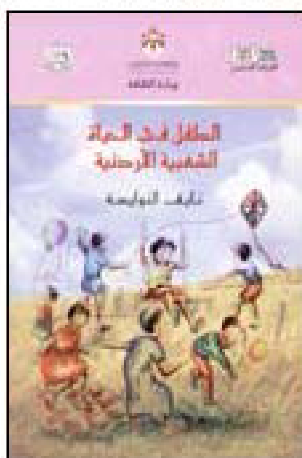
وبعد،

اندفعت في هذا الدهليز راكضاً.. خلفي ما لا يُعَدّ من المطاردين.. وأمامي تضاريسُ مُوحشةٌ أسهلُها أنك تتعثر في كل حين.. وعليك أن تنهض؛ فالحياة لا تُواتي الواقف والمتعثر والمتلهي إن لم يُشعل العزيمة والمضاء في نفسه.. وآليت على نفسي أن أحمل هويتي الخاصة لأعبر بها كل الحدود؛ إطارها الأمل، ومادتها العقل،

ووَرقها الحرية.. وبدأت أُشكِّل من طلاسمي الغاطسة في الصمت لوحاتٍ يهتدي بها الآخرون إليَّ.. وقادني الدهليز إلى العاصمة عمان ذات سنة، ورُحت أتهجّى حروف حياتي الجديدة فيها، وأبني مفاهيمي وأنسج دراعتي الأدبية، فجاءني الحرف لاثقاً سنة ١٩٦٧م، وكانت نكسة حزيران طامة كبرى تُدحرجنا إلى أسفل سافلين..

رحلتي مع الحرف وُلدتَ تلك السنة من فوهة الحيرة والقلق والخوف على مصير الأمة.. مدّنتُ قنطرتي مع الدرس والتثقيف.. ويقيني أن الذي تريده لا يُواتيك مجرد أنك ترغب به.. لا بد من أن يقودك ذلك إلى أن تفهم ذاتك وتتلمس قدراتك.. فكان لي ذلك حين واجهت عتمة الدهليز بخمسمائة صفحة أقرؤها يوميا ليستقيم لي نهاري الممتد؛ وكلما قرأتُ أكثر أدركتُ أنني ما أزال أجهل الكثير، فأُعاود القراءة بنهمٍ وعمق.. وتيقن لي أن الإبداع الحقيقي لا يقوم إلاّ على قراءة إبداعية متواصلة، ولم تكن العبرة عندي بـ(كم) ما أقرأ، وإنما بوعي ما أقرأ وإدراكه..







لم تكن الحياة حينذاك سهلة ومنعّمة.. كنا في زمن غير رحيم.. وأمامي طريقان صعبتان: الأولى الاستمرار في الحياة.. والثانية أن أكون نوعاً مميزاً فيها.. وهاتان الطريقان في عالمنا العربي غارقتان في القلق والغموض والمخاطر المحتملة..

حياة المبدع، محفوفة بالعواصف، وعليه مقاومتها والصمود أمامها؛ فرسالته تُملي عليه ذلك، لأنه مشروعُ شهيد، أو ضحيةُ موقف، أو طريدُ ظلم.. والمبدع الأصيل سيقاوم وينتصر في النهاية، حتى وإن كان في القبور..

وليت هناك من يعطيني مبدعا حراً سلّم سلاحه(موقفه) قبل أن ينتصر لقضيته.. المبدع الحقيقي هو المناضل الحقيقي والحيُّ الحقيقي، وهو بالنتيجة الشهيد الحقيقي، وسيظهر ولو بعد حين..

المواجهة..

وكيف يُواجه المبدعُ تبعات مشروعه الثقافي؟ أو كيف يصنع رؤيته الفكرية؟ وإلى أين ينتهي من خلال توقعاته؟

لقد بدأتُ من قنطرة الصحافة كاتبَ خاطرةٍ فمقالة لزمنٍ ما،

ثم محاولات إبداعية كالقصة والمسرحية والقراءة النقدية، وكلما توغلت في مجاهيل هذه الكتابات اشتدت بي رغبتي للقراءة؛ فأنكب عليها نهماً، من كتب التراث، إلى كتب الأدب، والفلسفة والتاريخ ونحو ذلك؛ من الكتاب العربي إلى الروسي إلى الغربي، ولم أترك وعاء معرفياً احتوته مكتبتي إلا غرفت منه ما يروي ظمأي. ونتج من جملة هذه القراءات سيل معرفي أجده مترعاً بالربيع الإبداعي؛ فالنص عندي لا أخرجه فجّاً، غشيماً من دون تثقيف أو تذهيب أو وشي، ودون أن يكون معبّراً عن الواقع ناقلا لهمومه ومتورطا بقضاياه، ومن دون أن يكون لابسا العباءة الجمالية أو متلبسا القوام الإبداعي الجميل..

هي رحلة شاقة منذ كانت المواجهة حتى الآن..

كنت خائفاً من مقالتي الأولى سنة ١٩٦٧..

ثم خائفاً من قصتي الأولى (قلب أمي) سنة ١٩٧٧م، وما أزال مشفقاً عليها؛ لأنها تُدرّس لطلاب الصف الثامن في الأردن منذ تسع سنوات..

ثم خائفاً على كتابي الأول سنة ١٩٨٠م، مجموعة (أبو المكارم) للأطفال.

لقد أورثني الإبداع الخوف كما القلق.. لأنني حريص على أعمالي الأدبية بأن تولد مخلوقات سوية، صالحة، وسأظل خائفاً ما دمت حياً طالما أنني نثرت أفراد أسرتي الإبداعية في الحارات الثقافية، وأخشى عليها من (النقاد الهمل)، وأصحاب الأقلام الطارئة، وكتاب الحالات النقدية الهامشية.

تصوروا أن يشهد لابنك الجميع بالنجابة،





ويُعرفَ بمسلكه الأخلاقي الحضاري العالي، ويأتي عابرُ سبيل ويصفه بغير ذلك.. فلا بد أنك تصاب بالخيبة والذهول..

مثل ذلك أفراد أسرتك الإبداعية.. تتوسم فيها شيئاً، ويقفز لك من الغيب قاطع طريق فيصيب منها الكبد.. لكنني مع مرور السنين حصّنت نفسي بعدم الاكتراث من هجمات (النقد الأصفر)، فالسقف المتين يصمد أمام تطاول هبات الريح الهوجاء عليه..

ورددني في ذلك أن عظمة العقل تخلق الحُساد، وعظمة القلب تخلق الأصدقاء، وأنا كما قال الشاعر:

كن كالنخيل عن الأحقاد مرتفعاً

تُرمى بصخرٍ فتُلقي يانعَ الثمر



أنا ببساطة محبوس بالخوف.. كلما أضفتُ كتابا جديدا إلى كتبي أصاب بالرعب الشديد حين أرى (جديدي) يدخل الحياة، ومبعث الخوف: أن هذا الجديد أيرفض أم يُقبل؟ ومشكلتي هي أنني لا أؤمن بتحديد النسل، لذلك كبرت عائلتي واتسعت، ففي السنوات الأخيرة رُزقت بالتوائم بين قصة وكتاب تراث أو مسرح أو نقد، وأضفت إلى هذه العائلة مخلوقاً جديداً عن (تاريخ الكرك)، وآخر عن الواجهات المعمارية في معان، ومجموعة قصصية جديدة بعنوان (فرح نافذة النهار).. أي أن ما سجلته في دفتر عائلتي الأدبية تسعة عشر كتابا، منها ست مجموعات قصصية، ويتشكل الآن بين يدي مجموعتان، واحدة تتجه صوب جائزة التفرغ الإبداعي التي فزت بها هذا العام وتحمل عنوان (الشمس من جديد)، وتتجه الأخرى إلى ناشر لا أعلمه وعنوانها (جمجمة)..

ويسألني سائل: وماذا بعد ذلك؟ فأقول: أنا ما أزال في محاولاتي لأن أبدأ..!! فالأقحوانة في يقيني بعيدة.. وكل ما أعلمه عن نفسي هو نفسه الذي يثير خوفي، ولعلني من أكثر الناس حاجة إلى اسمي دون أوصاف وسمات وإضافات.. أنا أكره المديح والتبجيل؛ لأنني أريد أن أرى نفسي بيضاء لا أصباغ عليها ولا تلوين، وبعيداً عمّا يبلبلها أو يحرفها عن حقيقتها..

أقول: كلما كتبت شيئاً أجد نفسي ميتاً مليون مرة، وأغطس في بحر من العرق، وأظلّ مُحدّقاً في ما كتبت لعلني أجد فيه ما يغريني بوأده.. ولقد أطلقت رصاصة الرحمة على مخلوقات كثيرة من قصصي الأولى على الرغم من أن بعضها نُشر في مجلات وصحف، أو قُرئت من منابر محترمة.. ولعدم قناعتي بوزنها وقوامها الحسن أبعدتها من دفتر عائلتي..

ومن المفيد أن أضع نفسي كقاص بين هلالين، لأن سيدتي الأولى في فضاء الكتابة هي القصة: وتراني هنا أحني لها القامة، وأقول إنك من أصعب الفنون يا سيدتي، فلا بد لحظة الوقوف بين يديك من موقف فكري أخلاقي مكتوب بتقنيّة عالية ولغة مكثفة، شروطك صعبة، وكأنك الوردة الجورية التي تصيب بشوكها من لا يُحسن الوصول إليها.

لقد أدركت منذ الزمن الأول أن الفن الحقيقي هو رحلة مع التأمل والخيال، وفي يقيني إذا يبست مساحة التأمل ماتت الحياة وهمد العالم، لذلك تجدني في قصصي دائب الحركة داخل المسافة ما بين الخيال والواقع، أطارد شخوص قصصي وأعيش أحداثها.. بمعنى أنني أعيش على حبل مشدود بين عالمين: الأول مفروض بسيرورة الحياة فيه ولا أملك له نقضاً، والثاني هولي وأتدبر أمره داخل مواقدي وأعيد إنتاجه أدبياً بموقف واضح..

ببساطة أنا إنسان يبحث عن الراحة غير أن مصيدة الحياة حقنتني بجرعة قوية من القلق رافقتني طوال العمر وما أزال، وأنا مسرور بها.. ويبدو أن راحتي كامنة في هذه الجرعة الرائعة.. والمبدع الذي لا يقلق يكون قد مات..



الكتابة الصينية وفن الرسم بالكلمات

■ غازي خيران الملحم*

الرسم فن تشكيلي يعكس الأشياء الموضوعية بالخطوط والألوان والصورة وهو يجسّد ما حصل عليه الناس خلال أعمالهم من المعارف والأفكار والمشاعر، وفي الوقت ذاته وسيلة للتبادلات الفكرية بينهم. ومع مرور الزمن أصبح الناس يستخدمون هذا النوع من الفن قصد التعبير عن أفكارهم فتحولوا إلى (الرسم الكتابي). وخير من يمثل هذا الاتجاه تشكيل المقاطع الصينية، التي تعدّ من أقدم الكتابات العالمية التي ظهرت إلى حيز الوجود كرموز تصويرية في المرتبة الأولى وهي تشبه- إلى حد ما- الكتابة الهيروغليفية، وما يليها من الكتابات القديمة.

وقد سمى الصينيون حروف كتابتهم (ون لي)؛ أي الأدب الجميل، ولا عجب.. فهم يرون الصلة وثيقة بين أدبهم الجميل هذا، وبين شعرهم وفن الرسم لديهم. لذا، كان الرسم في الوسط قوام اللوحات الفنية الصينية، وأما الشعر والرموز فتدون في زواياها.

وكان الكاتب الصيني القديم، قد اتخذ من الفرشاة أداة للكتابة، يتدرج سمكها من شعرة واحدة إلى خصلة كثيفة من الشعر الذي استخلصه من فراء الأرانب. أما الحبر المستعمل لهذا الغرض فكان مزيجاً من سناج الصنوبر ومسحوق الفراء بعد مزجه بالماء، ليتحول إلى سائل رمادي داكن، ثم معالجته ببعض المحاليل الملحية ليصبح جاهزاً للاستعمال، وأحياناً كانوا يستخدمون بعض الألوان لهذه الغاية.

اهتدى الصينيون إلى الجذر الأول لرموز كتابتهم منذ عام (١٥٠٠) قبل الميلاد، وقد اقتبست بعض الشعوب الأسيوية المجاورة للصين تلك الرموز وعدّلت فيها بعض التعديل، وأضافوا إليها الحركات المناسبة، كي تتوافق ولغتهم الأم، واستعملوها في جميع شؤون الكتابة والتدوين، بعدما هذبوا بعض حروفها

تسهيل كتاباتها وقراءتها.

ويذكر علماء اللغة أن رموز الكتابة الصينية الأساسية تقدر بنحو (٢١٤) جذراً، وتتردد هذه الجذور وتتكرر في شتى رموز الكتابة الصينية وصورها، بإضافات هنا، وتعديلات هناك، حتى يبدو الدور الذي تلعبه هذه الجذور شبيهاً إلى حد ما بدور الحروف العادية في سائر لغات العالم.

عانت اللغة الصينية في بداية أمرها من تخلف وتعقيد في طريقة كتابتها التي تدون من الأعلى وتنحدر إلى الأسفل. وقد حصر علماء اللغات الشرقية حروف اللغة الصينية بعشرات الآلاف، حتى قيل إن عدد حروفها يتألف من خمس أربعات (٤٤٤٤٤) حرفاً، لكن (ماوتسي تونغ) العالم اللغوي ومؤسس دولة الصين الحديثة، عمل كل جهده لتخفيف تلك الحروف بالقدر الممكن ودمجها في أبجدية تتكون من (٢٢٠) حرفاً فقط. وقد بذل الصينيون قصارى جهدهم في إعداد آلة كتابة تستوعب الحروف الـ(٢٢٠) السالفة الذكر.. ومع ذلك، ورغم الصعوبات والتعقيدات التي تعاني منها هذه اللغة الموغلة في القدم، أبى أهلها التخلي عن حروف لغتهم الأثيرة لديهم، مهما كانت الصعوبات ولأي أمر كان؛ لأنها تمثل هوية الإنسان الصيني، وذاكرة تراثه، ومحتوى علومه المختلفة التي يعتز بها، ويجد نفسه من خلالها، كتابة وقراءة ونطقاً.

التحوّل من الرسم إلى الكتابة

المقاطع الصينية رموز لكتابة لغة قومية (هـــان)؛ ويختلف النـاس فـي الـرأي حـول مصدرها؛ فقيل إنها تعود إلى الرموز الثمانية في التنجيم، التي رسمها (توشي)، الشخصية الأسطورية في الزمن الغابر، أو تعود إلى (تسانغ جيه)، مؤرخ الإمبراطور الأسطورة، الذي اخترع الكتابة من الصور. إلا أن كل هذه المعلومات غير موثّقة كما يجب، والمؤكد أن مصدرها الحقيقي يعود إلى أسلاف قومية (هان)، الذين أبدعوها عبر عصور مديدة من الممارسة الإنتاجية، وأنها تشكلت من الرسم تدريجيا.

وعبر تلك المسافات الزمنية الشاسعة، شهدت مقاطع الكتابة الصينية البدائية تطوراً مستمراً، وذلك من خلال عمليات إبداع جماعي وجماهيري، أصبحت بموجبه تلك المقاطع ذات نظام متكامل، إلى حد ما.

تطور مقاطع الكتابة الصينية

مرت مقاطع الكتابة الصينية بمراحل عديدة، أوجزها علماء الثقافة الصينية بمراحل ثلاثة، هي:

١- تصويرية

يذكر فقهاء اللغة الشرقية، أن مقاطع الكتابة الصينية الأولى كانت عبارة عن تشكل تصويري، إذ أنها جاءت من (الرسم – الكتابة. إلا أن لهذا الشكل حدود ضيقة لا تفي بالغرض المطلوب؛ فهناك أشياء لا شكل لها، فلا يمكن تصويرها، كما أن هناك أشياء أشكالها مختلفة ومعقدة.. فيصعب تصويرها أيضا. ولذلك لا بد من اللجوء إلى رموز أخرى مساعدة أكثر توضيحا.

٢- الرموز الإيمائية

دفعت الطريقة الإيمائية المقاطع الصينية خطوات كبيرة إلى الأمام، واخترقت بذلك محدودية الكتابة التصويرية؛ لكن لطريقة

الرموز الإيمائية حدوداً ضيقة أيضاً؛ إذ أن اللغة تعكس الأشياء الموضوعية بالصوت، وتتناول كل موجودات الكون، وهناك أشياء كثيرة يستحيل إيجاد مقطع إيمائي للتعبير عنها، مثل الشجرة فيمكن رسم (✱) للتعبير عنها تصويريا، إلا أن هناك مئات الأنواع من الشجر.. فلا تستطيع الطريقة الإيمائية ولا حتى التصويرية التمييز بينهما.

وفضلا عن ذلك، هناك كلمات تعبر عن النشاطات النفسية والمعنوية، مثل: الفكر، والشوق، والنسيان، والغضب، والخوف.. الخ، لا يمكن الاستدلال عليها بالطريقتين التصويرية والإيمائية، لذلك لابد للمقاطع الصينية أن تتقدم عن الطريقة الإيمائية إلى الطريقة الصوتية.

٣- الطريقة الصوتية

هذه الطريقة تنقسم إلى نوعين، نوع صوتي مجرد، ينفصل تماما عن الطريقة الإيمائية، مثل الكتابات الأبجدية المختلفة في لغات العالم الأخرى، وآخر يجمع بين الطريقتين الإيمائية والصوتية؛ وتنتمي المقاطع الصينية إلى النوع الأخير، وقد ظلت نظاماً لغوياً قائماً على هذا الشكل منذ بداياته الأولى حتى شكلها الحالي.

لماذا لم تتحول إلى مقاطع أبجدية؟

إذاً، لماذا لم تتحول المقاطع الصينية إلى كتابة أبجدية محضة؟ ذلك يرتبط بطبيعة اللغة الصينية وخصائصها؛ إذ أن بنية هذه اللغة ثابتة لا تتغير. فقبل الألف الأولى قبل الميلاد، كانت كل كلمات اللغة الصينية تقريبا مكونة من مقطع واحد، ثم ازدادت نسبة الكلمات ذات المقطعين، إلا أن معظمها كانت كلمات مركبة يحمل جذرها معنى معيناً. وتتميز الكتابة الصينية بأن كل كلمة منها ذات مقطع صوتي واحد، يجمع بين القيم اللغوية الثلاثة: (التدوينية – والصوتية – والدلالية). وبذلك تتمتع بخاصية التمييز بين الكلمات المكونة من ذات المقطع الصوتي الواحد.

طريقة تشكيل المقاطع الصينية

إن طرق تشكيل المقاطع الصينية ممتعة، ولا بد أن نذكر مصطلح (ليوشو) الذي يعني ست طرق لتشكيل المقاطع الصينية، ثم اختصرت لتصبح ثلاث طرق فقط، وهي طريقة الرموز الإيمائية والطريقة المجازية، وطريقة الربط بين الصورة والصوت، ومن بين المقاطع الصينية التي تم تشكيلها بطريقة الرموز الإيمائية ما يتكون من رمز تجريدي، أو رمز تصويري مثلا (一) ويعني واحد، (二) ويعني اثنان، و(三) ويعني ثلاثة، وهكذا دواليك.

تطور أشكال مقاطع الكتابة الصينية

ظلت المقاطع الصينية في حالة تطور وتجديد عبر الآلاف من السنين، وتجاهها العام أن تلجأ إلى الطريقة الإيمائية في تشكيل المقاطع الجديدة، وقد برز ذلك في تحول المقاطع الصينية من الكتابة التصويرية القريبة من الرسم الحقيقي إلى رموز تتشكل من الخطوط المبسطة. وهذه النقلة تعد منطقة تحول مهمة في مسيرة تغيرات أشكال المقاطع الصينية، والحدّ الفاصل بين المقاطع القديمة والحديثة.

تبسيط المقاطع الصينية

مع أن عمليات التبسيط ظلت تياراً عاماً في مسيرة تطورات المقاطع الصينية، إلا أنه توجد إلى جانبها ظواهر التعقيد، بازدياد عدد المقاطع الصينية التي تكتب بطريقتين: قديمة وحديثة؛ وتحتل نسبة المقاطع المكتوبة بهذا الشكل، وبما لا فائدة منه ثلثي عددها. وجملة القول إن تسهيل المقاطع الصينية يشكل الاتجاه العام في مسيرة تطورها؛ وبذلك، قامت الصين الجديدة بتبسيط تلك المقاطع من حيث خطوطها، وعدد تلك الخطوط أو الحروف منذ تأسيسها عام ١٩٤٩م، ما رفع المستوى الثقافي للشعب الصيني، ودفع بمسيرة العلوم والتكنولوجيا خطوات كبيرة إلى الأمام.

تعلّم الصينية لغة وكتابة

قد يتخيل للكثيرين ممن لا يتكلمون الصينية أن تعلم هذه اللغة من سابع المستحيلات، كونها لغة غامضة وحروفها متشابكة معقدة أكثر من اللازم، وهذا الاعتقاد سليمٌ إلى حد ما؛ إلا أن المتبحر في علوم هذه اللغة، سوف يكتشف أن الصعوبة الوحيدة في دراستها تكمن في مخارج النطق، وكتابة مفرداتها، ولدى استيعاب الدارس لهذه المرحلة، فسوف يسهل عليه تعلمها.. وحتى إجادتها، شريطة اتباع الأسلوب الصحيح في دراستها خطوة خطوة، ويمكن له ممارستها محادثة وقراءة وكتابة كأي لغة أخرى في العالم.

انظر إلى سهولة هذه اللغة

(الواحد باللغة الصينية يكتب هكذا (一) كما ترى، خطّ صغير لا غير ويلفظ (يي)، أما اثنان فيكتبان هكذا (二) ويلفظان (آر)، وثلاثة، تكتب بالطريقة التالية: (三)) وتلفظ (سان). أظنّ أنك صرت، عزيزي القارىء، تعرف أن تكتب من الواحد إلى الثلاثة بالصيني، وتعرف كيف تلفظ كلّ رقم!

ويكفي أن تضع خطاً في وسط الرقم ثلاثة ليس لتصل إلى أربعة، وإنما إلى كلمة أخرى لا علاقة لها بالأرقام وهي 王 وتعني ملك وتلفظ (وانغ)[1]. أليست هذه اللغة سهلة؟ ألسنا في أقل من دقيقة تعلمنا خمس كلمات؟!

المصادر

١. أشناين، انتشار اللغة الصينية في العالم – مجلة الصين اليوم – العدد /٢/ ص٥ شباط ١٩٩١م – بكين.

٢. قوه شي ليانغ، مصدر المقاطع الصينية – مجلة الصين اليوم – العدد /٢/ ص٢٧ – شباط ١٩٩١م – بكين.

٣. فرانسوا شينغ، اللغة الصينية – سلسلة آفاق ثقافية – /٤٨/ دمشق – ٢٠٠٧م.

٤. يوسف زعبلاوي، الكتابة الصينية – العربي – العدد ١٧٠ ص١٤٢ – كانون ثاني ١٩٧٢م – الكويت.

٥. عثمان سعدي، التجربة الصينية – العربي – العدد ٣٠٣ – ص١١٢ شباط ١٩٨٤م – الكويت.

* كاتب من سوريا مقيم بالسعودية.

(١) بتصرف عن مدونة بلال عبدالهادي ٢٣ تشرين الثاني ٢٠١٠م

ديوان :
رسالة إلى عمر الخيام - سليمان العتيق
(دراسة وتحليل)

■ د. إبراهيم الدهون*



عن دار المفردات للنشر والتوزيع في الرياض، وبدعم من نادي حائل الأدبي صدر ديوان: (رسالة إلى عمر الخيام) للشاعر السعودي سليمان العتيق عام ٢٠١٢م. يقع الديوان في مئة وأربع وثلاثين صفحة من القطع المتوسط، يضم سبع عشرة قصيدة؛ واحدة منها التزمت عروض الخليل، بينما رفرفت النصوص الأخرى على أجنحة التفعيلة. تراوحت النصوص في القصر والطول بين الومضة المؤلفة من كلمات قليلة وبين القصيدة المشتملة على عدد من الفقرات المتعالقة في وحدة موضوعية محكمة.

ومن خلال عنوان الديوان: (رسالة إلى عمر الخيام)، وما اشتمل عليه من قصائد: (انتظار، والمطر، ورحيل الليل، والمهاجر)، نلمس ثورة داخلية عارمة تجتاح الشاعر، نتيجة لما يحس به ويعانيه من قلق نفسي وصراعات تحيط بأمتنا العربية والإسلامية من جانب، وبما يعتري بعض مجتمعاتنا من تناقضات وآفات مرضية لا أخلاقية؛ كاللهاث وراء المظاهر البراقة الخادعة، والمداهنة في التعامل والتواصل من جانب آخر.

يبدأ الشاعر ديوانه بقصيدة عنوانها: (وجد) يقول فيها:

كم لفني وجدٌ، تدفق واثنني
في القلب أفراحٌ،
وفي العينين من فرحي دموعٌ
ويخافقي؛ وجدٌ إذا،

تتجلى للقارئ التجربة الشخصية من خلال الأسطر الشعرية السابقة واضحة الدلالة، فالشاعر في لغة ذاتية يتكئ على تداعي كثيرٍ من الجمل الإنشائية المتكررة بدءاً من العنوان، وانتهاء بالكثير من الجمل الشعرية التي تحيلنا إلى

مشهد درامي نابض بالحياة والحركة، من خلال وجد يانع يطفح بالأقحوان والزهر لقوله:

يا وجد، إني أستظلُّ ظلال غيمك
وظلال زهر الأقحوان
ومراتع الغزلان
ومهابط الوديان

أراد الشّاعرُ أنْ يؤكدَ بلغته هذه على أهمية المشاعر والأحاسيس التي يفزع إليها لحظة الأمواج المتلاطمة، في خضم المادية المتلفعة بالجمود والصّمت القاتل.



ويحاول الشّاعرُ أنْ ينطلق من داخل سدومه، ويتحرر من قوقعته المادية التي كوّنتها ترسبات الحضارة الممقوتة.. ليرى نور الإنسانيّة السّليمة؛ فالعتيق متعطش إلى دغدغة شغاف القلب والرقص على جنباته. كما أنّه ظمآن إلى تجاوز حصار التّعصب الزمني.. ليرقى إلى آفاق أكثرَ رحابة وأعظمَ اتّساعاً في عطائها وتحررها؛ ذلك العالم الذي تتحلّل فيه الأشياء من سلاسلها الحجريّة، وتتفتح فيه الذات، لتتزاوج مع النجوم في اعتناقها.

لذا، يتابع العتيق سيره بقصيدته: (الانتظار) إلى الصّعود والتّحليق في عوالم الكون، وانعتاق النّفس من محيط الأرض بما فيها من متناقضات الآلام والأحزان والأتراح والمآسي والرؤى المادية التي تركت أثرها المؤلم على نفسه، فيقول:

يا قلب إن كظت بمهجتك الكروب
ما بين آهات المخافة؛ واشتهاءات القلوب،
أفرد جناحك يا خفوق
واصعد فضاءً في كبد السماء:

يشحن العتيق جُملَهُ الشّعريّة برصيد هائل من الرؤى الداخليّة المركّبة التي تسيطر على ذاته، فهو ينقل بمخيلته الشّعريّة وحسّه المرهف مواجع الأنا الداخليّة، التي تعكس في الحقيقة مواجع النّاس وأحلامهم وطموحاتهم التي لوّنتها معارك الحياة، ومتغيراتها.

ويتواصل الشّاعر وقصيدة: (المطر)؛ ليردد صداها في مسامع الزمن والوجود البشري، لعلّها تبعث أنغاماً وترانيم لا تنقطع.

ومن المنطلق السّابق، ندرك أنّ القيمة المعنويّة للمطر عند الشّاعر، لا يمكن أن تقف عند حدود نزوله على الأرض، وإنّما نلحظ مراهنته على دوره في إحياء القلوب والنّفوس، التي كانت قاب قوسين أو أدنى من الأرض؛ لذا، يقول:

أحب المطر؛
يذيب الكآبات يجلو الكدر
بجوف الأماسي
وغِبَّ الأضاحي

إنّ من يمعن النّظر في المقطوعة السّابقة يلحظ جمالية اللّغة والصّورة الشّعريّة، فالشّاعر يكشف عن قيمة المطر الحقيقية، وهو الذي كان وما يزال رمزاً للحياة والنّماء، وبؤرة الولادة والتكاثر. كما أنّ المطر من منظور الشّاعر كاشفٌ لحقيقة الأشياء؛ لأنّه يعبّر عن أفكار بعيدة الغور، متنحياً عن التّسطيح الذي لا

يبعث في النّفوس غير السّأم والملل.

إنَّ الشَّاعرَ يوائم بين الخير والبركة، والتّعري والمكاشفة للمطر، فالأولى أظهرتها الصّورة الحقيقية للمطر، بينما الثّانية اتّخذها الشَّاعر رمزاً لاستجلاء عناصر الظلم والاستبداد، أو الحريات في النّفوس وقتل الأمل في الذات الإنسانيّة.

إذاً، فالشَّاعر يدفع بالقارئ إلى شركه الذي نصبه بمهارة، ليوقعه ويوقعنا في فخ ذاته، فتجد أنفسنا متشاركين في لعبته الشّعريّة، أو في خطابه الذاتي الرومانسي، ونحن منبسون في ذلك من دون عناء؛ وفي ذلك حصافة الشّاعر.. يأخذ الإنسان في لغة تفاؤلية ونفس واثبة، وأحلام سعيدة، من خلال قصيدته: «بدر الزمان»، إذ يقول:

الله.. ما أحلاك يا بدر الزمان،
الله.. ما أحلاك تضحك فوق قريتنا
وتشيع فينا نشوة الأحلام، يا بدر الزمان
وتشيع فينا الأمنيات الشاعرة...

يحيلنا الشَّاعرُ إلى مشهد التّعانق الروحي مع مظاهر الطبيعة، عبر التّماهي والتّواصل العاطفي، مستخدماً تقانة الاستطراد الجاحظيّة، ليصف رحلة الاستكشاف في الطبيعة.. والتي يحاول أنْ يستدعيها؛ لتعضّد من موقفه الذي بات يُحسد عليه من الآخرين، وأمام ذاته المتعطشة للحبّ، والحياة والظهور بمظاهر الصّلابة، لا بمظهر الضّعف والاستكانة.

فالشَّاعر نجح في مداراة الجراح، وطرد براثن الألم، فضلاً عن كفكفة دموع البؤساء، وأبعاد ثيمات الاستكانة والخنوع، فنفس الشّاعر تبشّر بأفقٍ وضّاء، وابتلاج فجر جديد.

ويسبغ العتيقُ الحياة على الجمادات، فيبدأ بمخاطبة الجبل: (أجا) على شاكلة الشّاعر الأندلسي ابن خفاجة حينما خاطب الجبل بقوله:

وأرعنَ طمّاحِ الذؤابة، باذخٍ
يُطاولُ أعنانَ السَّماءِ بغاربِ

فالعتيق يفد من تلك الحادثة؛ ليسكبها على ذاته، فيعبّر من خلالها عن حالة الكآبة التي يعيشها بعد أن بقي وحيداً، وغادر أهله، فكأنّه والجبل يحكيان الغربة والوحدانيّة القاسيّة. كما تجسّد لديه صورة الطموح والمحبة والأمل، فهو شخص تتدفق منه المشاعر الإنسانيّة والمظاهر الحياتيّة المعبّرة عمّا في صاحبها من عناصر ودلالات التّقارب والتّواصل.

وغالباً ما يلجأ الشّعراء إلى تسمية قصائدهم، وإعطاء كلّ واحدة عنواناً داخل الديوان، ما يسعف القارئ على الممايزة بين دلالتها، غير أنّه في ديوان: (رسالة إلى عمر الخيام) لولا العناوين لخلنا أننا أمام قصيدة واحدة منسابة تحت عنوان: «بوح الذات».

لهذا، يرتكز العتيق على حقيقة المصارحة في القضايا الملحة، وأنَّ هذا المصطلح يجسّد في طياته لهفة شاعرنا للحصول على معلومة صحيحة، بعيدة كلّ البعد عن التزييف والتّدليس.

ومن الملاحظ في هذا الدّيوان كثرة الأسئلة التي يصوغها الشَّاعرُ، ويطرحها في فضاء يخترق جسد القصيدة، في أولها وثناياها، وفي خاتمتها - أحياناً كثيرة- وجل تلك الأسئلة تحمل عدم اليقين أو الرضاء من أي شيء؛ وكأنّ الشَّاعر الموجوع لا تعجبه الإجابات السّطحيّة، فيهرب من صدفة الواقع إلى آفاق السّؤال باحثاً

عن دليل أو إجابة، ولنقرأ رسالته إلى عمر الخيام دليلاً على ذلك، فيقول:

يا حامل المصباح
في قلب العواصف يا عمر!
هل في الرياح ذبالة؟
تهديك في درب السرى.

ينقلنا الشَّاعرُ في خطابه الشّعري إلى الشّاعر الخيام، ذلك الفيلسوف الذي سيطرت على شخصيته ملامح الغموض والفلسفة الصّوفية. فنلحظ أنَّ العتيق يميط اللّثام عن ذاته، وما تعانيه من أجواء الحزن الشجي، كما سعى إلى أن يرمي بهمه وأحماله في ذهن المتلقي، بإيجاد جوٍّ من التّفكير بهؤلاء الذين انحرفوا عن جادة الصّواب، وبالتالي فقد جاء استدعاء شخصية الخيام مثالاً صارخاً على الضّياع والتيه؛ لذلك يكرّر القارئ وينبّه ذهنه، للتخفيف عمّا يجيش به صدره.

وهكذا تظلّ لغته الشّعريّة تسحّ بوجع الأسئلة، فتحاصره لتكون خاتمة لكثير من قصائده.. ما يدفعه أحياناً إلى الإلحاح على عناصر النّماء والإشراق والنّور في قصائده اللاحقة: (ساري البيد، وعيون ميدوزا، وأعطني حقي، وتسبيحة).

من هنا، يطرح الشّاعر في ديوانه منظوراً آخر للكتابة من خلال تنوّعه الأسلوبي، والاعتماد على التّناص والتّضمين القرآني، مازجاً بين الشّعر والخواطر الذاتيّة؛ ما جعل النّصوص تحويلاً للجسد إلى صفحة كتابة؛ وهذا ما نلمسه من خلال اعتماد تلك العناصر في نسيج هيكل القصائد، وتشكّل الذات القلقة الحائرة التي انسكبت على بياض الدّيوان، وأخذت تسطّر كوناً يمتلئ نوراً ودهشة، فتسري فيها حياة جديدة كلّها نقاء وطهر؛ ما يشكّل فضاء وخيال الشّاعر، إذ يقول:

هذه الشّمس التي تعطيك دفئاً وضياء؛
تزرع النّور بجفن الكون
وتساقيه جمالاً وبهاء
وسناء وعطاء

إنَّ رفض السّائد يُدخل الذات في صراع مع المألوف، وتناقض مع الواقع الجاثم، فيكون الهروب إلى الطبيعة والأنا هما طوق النّجاة؛ وهذه النّزعة تجعل الشّاعر متهماً بالسّوداويّة، وهي تهمة ملاحقة لمعظم الشّعراء.

وتحيلنا عناوين القصائد في الدّيوان إلى اختيارات الشّاعر في الحياة، وترسم مواقفه من الواقع، وتعري زيف الأشياء، كما تبرز تمزقه، وهو يلتمس زيف الأحداث، إذ إنّها مجرد مسرحية تكسر الأصفاد وتظهرها الأيام؛ ما يجعل هذه التّصورات تجسّد إيمان الشَّاعر بأنَّ الحرية قدر لا مناص منه، وأنّها ستأتي مهما تأخرت، وهو طموح فيه الكثير من التّفاؤل والوثوق بالأمل القادم.

وفي نهاية الدّيوان، يستبدّ الحزن الشّديد بالشّاعر لموت زوجته، فيعزف عن كثير من الحياة وملذاتها، فوفاتها كانت صدمة عاتية له، ويرى أنَّ الحياة بكلِّ ما جمعت من غنى ومال وأمجاد.. لم يعد لها في نظره قيمة، بعد أن فقد الحافز الكبير لحياته، وهو زوجته، فيقول:

أحكي عليك؛ وتسمعين حكايتي
يا عذبة النجوى
بعد ارتعاشات التوهج، وابتهاجات اللقا
وبعد... مشتبك العناق
ألقي إليك بما جرى...
حكاية الحزن الذي... قد هزني
وكل لوعات الفراق

لتعذمي؛ يا حلوة الأمحات، عن كم مرة أبكيتني

والشاعرُ يُشيرُ منذ استهلال القصيدة إلى مدى فداحة فقده زوجته؛ ليصل عن طريق هذه الأحاسيس والمشاعر العميقة إلى إيقاظ ذاكرة المتلقي، ومشاركته ملامح تجربته الخاصّة وأبعادها؛ وبخاصة في تعامله مع ذلك الموقف على أنّه مخزونٌ قابلٌ للرجوع إليه في أي وقت. إذاً، فرحيل زوجته من المحاور التي شكّلت هاجساً وبؤرة مركزية انطلق منها، وعبّر من خلالها عن مشاعره الخاصّة تجاهها، بكلّ دلالات الضّياع والهجران.

ويعدّد العتيقُ في مراثيه بعض فرائد زوجته ومآثرها، وما قدمته في حياتها لإسعاده والتخفيف عنه، وفي ذلك يقول:

يهزني التذكار؛
حين أرى مكانك من حلقة القرآن
وحين يسقط المطر
ويغسل الأحزان والشجر
وأنت يا محبوبتي، تهوين رجفة المطر

وفي ختام مرثياته الزوجيّة نجد الشاعر يلجأ لربّه كي يعينه على مصائبه، نحو قوله:

لله ما يأخذ
لله ما يعطي
لله كلّ الاختيار

وقوله:

رضيتُ بحكم الله، في كلّ ما قضى
وأن قضاء الله، ماضٍ على العبد

هكذا، تتكشّفُ الرؤى الدّلاليّة والأبعاد الإشراقيّة في قصيدة العتيق، وتشكّل لوحة فنّيّة صاخبة- أحياناً- ألوانها العاطفة، وخطوطها المشاعر والأحاسيس، وإيقاعها الحزن والأسى، وخلفيتها النّوازع الدّينيّة والإنسانيّة. كما تختلط في قصيدة الشّاعر الأدوار التي رأيناه يستهلها بالجراح النّازفة، جراح المجتمع الغارق في الانكسار والضياع، وجراح الأنا الشّاعرة الفاقدة للأنثى الرقيقة في الحياة.

ولم تكن هذه المجموعة الشّعريّة للشّاعر هي الأولى، بل هناك مجموعة أخرى سابقة عليها، ومن خلال اطلاعي على هذه المجموعة، أحسست أنّ الشّاعر بدأ مجدداً في نهج القصيدة، فهو متحرر إلى حد ما من النّمط التّقليدي للقصيدة العربيّة، وقد شمل هذا التّجديد معظم قصائده، خلا قصيدة واحدة هي: «بوح».

وعليه، فقد تميّزت لغة شاعرنا بالشّفافيّة والوضوح، فهي بعيدة عن لغة التّعتيم والتّهويم في صرف الوهم واللاوعي، تلك اللّغة التي تلفها الضّبابية القاتمة والرمزيّة المبهمة، فلغته ناصعة واضحة لا غموض فيها، وتعبّر عن مضامينه بأسلوب أقرب فيه إلى التّصريح المليح منه إلى التلميح؛ ما يعني أنّ الشّاعر ذو منهج تعبيري سلس، وقاموسه الشّعري لا يحتاج إلى كدّ ذهني وبحث في تقعير اللّغة.

وفي نهاية المطاف حيث المحطة الأخيرة: (مرثياته)، وقفنا نودع فيها شاعرنا، الذي حاول حيناً أنّ يُتحفنا بما جادت به قريحته، وأنّ يحلق بنا في خيالاته العاطفيّة، ويذيبها في بوتقة مرثياته الذاتيّة المعطاءة حيناً آخر.

* ناقد وأكاديمي بجامعة الجوف

«المنارة»

حكاية الاستبداد في الزمان والمكان والإنسان

■ زكريا العباد*



لم تبدأ رواية (المنارة)، الرواية الأخيرة للروائي السعودي حسن الشيخ بسرد حكاية مدينة المنارة التي توليها أهمية خاصة، من خلال زجها في العنوان، وجعلها مسقط رأس العمود الفقري للرواية، والمآل الذي تؤول إليه الأحداث في عدد من المدن المتجاورة.

لكن الرواية تبدأ، من نقطة أخرى، من مدينة (الضويحية)؛ لأنها تتعمد -على ما يبدو - خلق ثنائية البحر والنخيل، ضمن جملة من المتضادات والمتقابلات التي تتكاثر ما الرواية في ثناياها؛ كثنائية الواحة والصحراء، المدينة والصحراء، مدينة الواحة ومدينة الساحل. وتشكل جملة المتضادات منه خلفية تمهّد لصراع اجتماعي بين طبقات كادحة وأخرى مهيمنة.

ملامح أسطورية للواقع

تبدأ الرواية بداية هادئة بوصف مدينة الواحة (الضويحية)، التي تتسم بهدوء يمكن أن يوصف بالمبالغ فيه: «تراءت الضويحية، وهي تقبع في الركن الشرقي من الصحراء الكبرى، في ذلك العهد، غافية في نومها الهادئ، وكأنها غير مكترثة لما حولها من ضجيج».

لمن تراءت الضويحية؟ وأي زمن هو ذلك الزمن الذي تشير إليه الرواية بـ «ذلك الزمن»؟ وأي صحراء تلك التي تغفو في ركنها الشرقي مدينة الضويحية؟

ولي مدينة هي مدينة المنارة التي تقع بجوار البحر؟ بمعنى: هل تعالج الرواية قضايا ووقائع تاريخية، أم تنسج أحداثاً متخيلة ليس لها صلة بالوقائع التاريخية والحقائق المكانية وإن تشابهت معها كثيراً؟

تلك أسئلة يعالجها الراوي على مراحل في فصول الرواية، يؤجل بعضها، ويقدم بعضها الآخر بما يخدم حبكة تصب في تظهير صورة يمتزج فيها التاريخي الواقعي بالخيالي والأسطوري، عبر تفكيك متعمد للتاريخ والجغرافيا وإعادة تركيبهما. إننا أمام مدن تكاد تكون واقعية تاريخياً وجغرافياً، ولكنها ليست كذلك؛ بسبب عملية متعمدة لتعتيم وتعمية الصورة، وصولاً إلى تمويه الواقعي وتضبيب الرؤية بين ثقل الواقعي



وحتميته المتكررة والبليدة، وحركية الخيالي والأسطوري وفاعليته الخلاقة.

إنها حكاية مدينتين متجاورتين، ما إن تبدأ الأحداث في التواتر في إحداهما، حتى ينقطع السرد ليتابع الأحداث في الأخرى، قبل أن يعود ثانية لملاحقة الخيوط المتشعبة في الأولى، ثم يجدل ضفيرة الحكايتين معاً في نهاية الرواية.

ولا تبدو مجاورة مدينة الضويحية لمدينة المنارة أمراً اعتباطياً تلعب فيه الصدفة الطبيعية دورها، بقدر ما هو ترتيب لأغراض فنية متعددة؛ إذ يلعب الراوي لعبة تشويقية للتخفيف من ثقل السرد على مدينة المنارة وحدها، من خلال نقل سرد الأحداث إلى مدينة الضويحية.. محرزاً بذلك التشويق من خلال تأجيل الفكرة، وتقنية القطع والوصل في تدفق الأحداث في ذروات سردية وعقد مأزومة، ما يخلق حالة من الانتظار، تبقي القارئ مرتبطاً بخيوط الحكي.. سعياً إلى فك العقد.

وعلى الرغم من ذلك.. فقد وقعت الرواية في بدايتها في فخ الرتابة.. حين بدأت بالوصف المباشر لرتابة مدينة الضويحية، وأجّلت إلى صفحات عديدة حدثاً كان من الممكن أن يخلق بداية حيوية، ونقطة جذب وشدٍّ وتوتُّرٍ منذ اللحظة الأولى في الرواية، وهي حادثة وفاة أبي نصير العبدي سيد الضويحية المستبد، الذي جثا طويلاً على صدرها، حتى بدا انفكاكه عنها وكأنه أمرٌ مستحيل، وأنَّ أهل المدينة مستسلمون لقدر بائس.. ومتعايشون معه، بل إنَّ انفكاكهم عنه بدا أشبه بالمزحة،



غلاف احدى روايات الشيخ


حسن الشيخ

وكأنه غدا كائناً أسطوريا لا يصل إليه الموت.

حتى موته.. لا يأتي كحادثة حاسمة قاطعة للأقوال والإشاعات، والتندرات التي تفرّخ من احتقان البسطاء، بل تبدو كحادثة قابلة للأخذ والرد، يحتمل أن تكون مجرد إشاعة من معارضيه الذين لا يملكون شيئاً أمام قوّته سوى بثّ الإشاعات. ولم تتأكد المدينة من موته حتى رأوه محمولاً على الأكتاف:

«- بو نصير مات ولا تمزح..

- صار لنا أسبوع ما سمعنا حسًّا ولا همساً. أكيد مات وشبع موتاً، بس طالبينه إدارة المتحف علشان يخلونه بجنب فرعون.

- حرك محمود يده إلى أنفه، ثمّ تلفت خلفه:

- قول آمين.. صخرة وانزاحت عن طريق المسلمين.».

إنها حادثة مهمة.. كان من الممكن استغلالها بشكل أكبر من خلال افتتاح الرواية بهذا المشهد، لكنّ الراوي آثر البدء بوصف ستاتيكية مدينة الضويحية، ونومها الطويل الذي يشبه الموت، بجمل اسمية متتابعة. هذه الطبيعة المتجذرة في واحة الضويحية.. لم تكن بعيدة عن طبيعة الناس في مدينة المنارة المجاورة المنفتحة على البحر، وإن قادت الاعتراضات على الطبقة المستبدة في المنارة إلى ما هو أكثر جرأة من حركة أهل الضويحية، وهو تصنيع خيار عملي بديل لتحكّم الطبقة المسيطرة في اقتصاد المدينة، وابتكار أعمال تحدّ من احتكارها للمال، وإن تمّ إجهاض هذه المحاولة قبل وصولها إلى الثمار المبتغاة منها.

إلا أنّ البدء بهذه الستاتيكية يبدو مبرراً بعض الشيء؛ لأن الرواية تحكي نضال مدينتين غارقتين في الاستبداد منذ أعماق تاريخية غائرة من دون اعتراضات حقيقية ذات أهمية؛ ما يجعل لوحة الصمت المتثائب التي ابتدأت

بها الرواية أمراً مبرراً للتمهيد لأزلية حكم الطغيان واستمراره حتى نهاية الرواية، على الرغم من انتفاضات ذات نفسٍ قصير تحدث بين حينٍ وآخر.

وعلى الرغم من اختلاف الظروف في المدينتين إلاّ أن النهاية واحدة، وهي استمرار الاستبداد، ووراثته، أو استبداله باستبداد آخر، فزعيم الضويحية حين يموت، لا يتغير في أمر الاستبداد الجاثم على صدور الناس شيء.. سوى وعود الابن بتحسين الأوضاع التي لا تلبث أن يثبت الواقع كذبها.

يتأثّر الاستبداد في الرواية بتغير الزمن، وانفتاح العصر على متغيراتٍ أوسع أفقاً من أجواء الريف وصراع الملاك بالفلاحين؛ يتم استبدال المستبد الزراعي مالك الأرض بمستبد آخر أكثر تطوراً، يعي أهمية التجارة واستغلال الطبيعة واستخراج نفائس البحر، إذ يقوم زعيم المنارة الجديد بغزو الضويحية والسيطرة عليها، ثم يغزو عددا من المدن المجاورة، مستغلاً عوامل القوة النابعة من قدرة أهل الصحراء على ممارسة الحرب، وعجز أهل المدن عنها.. ما يجعل المدن المجاورة صيداً سهلاً له، باستثناء مدينة واحدة من مدن الساحل أبدت بعض المقاومة، بسبب طبيعة أهلها ذات الجذور البدوية.

تتوحد المدن جميعها تحت رايةِ واسمِ مدينة المنارة، لتصبح مجرد أحياء فيها، وتأتي هذه التغيرات الكبرى، قبيل تغيرات أكبر، هي استبدال الخيل بالسيارات، وافتتاح المدارس، واستيراد الغذاء المُعلَّب، واكتشاف النفط، ورسوٍّ البواخر الأمريكية محملة بالمستشارين والخبراء، وابتداء عصر جديد تفد فيه ثقافات أخرى مع القادمين لطلب العمل.. لتؤثر في نسيج هذا المجتمع عوامل كثيرة، جاءت دفعة واحدة مع اكتشاف النفط.

ملامح الشخوص وشخصية المجتمع

على الرغم من عناية الرواية برسم تفاصيل المكان عناية فائقة، تنم عن قدرة هائلة على الرصد، وتنقل أدقّ التفاصيل لمجتمعات وأمكنة لا تنتمي إلى الحاضر، إلا أن الرواية، الواقعة في (١٧٥) صفحة من الحجم المتوسط، في المقابل.. لا تهتم غالباً بالرسم الدقيق لملامح الشخوص الجسدية والنفسية، أو نموّها وإنضاجها، بقدر ما تطارد التغيّرات النفسية للمجتمع بأكمله، وترسم ملامح شخصيته في كلّ فترة، وكأنها ترسم ملامح شخص واحد يمثل الجميع. وتبرع الرواية في تحريك جموع المجتمع بتناقضاته وطبقاته وشخصياته الكثيرة والمتنوعة، التي تفرز تضاداً بين الاستبداد وكافة الشرائح، المستتْبَع منها والنافر، ولكنه تضاد لا يكاد يصل إلى درجة الصراع سوى في لحظات نادرة لا يكتب لها النجاح.

---

* كاتب من السعودية.

انتكاسة..

■ عبدالكريم محمد النملة*

بالشموع وقناديل البهاء أسرجت منزلها الصغير، أضاءت كل مصابيح الغرف، أسدلت الستائر على النوافذ، رمقت المكان بعين دافئة محتضنة، جلبت عدة أفكار لنزع كل المظاهر الأولى، وجعلِ المنزلِ قصيدةً عذبةً ولحناً شجيًّا، عزمت أن تكون هذه الليلة ليلة تعارف جديدة واحتواء، سعيدة هي بكل جزئيات حياتها. حرصت على صنع أيامها على عينها، تماما كما حلمت.

رمت خلفها كل ما علق بأذنيها قبل الالتقاء به من إيحاءات وإيماءات أملتها أفواهٌ مرتابةٌ متشككة. بدت مولودة جديدة تتقافز كطفل مرح، أنحت الهاتف جانبا.. فلا يتسع المكان لصوت ثالث، نغمان امتزجا فأبدعا سيمفونية أخاذة. عطرت المكان بعطر الليلة الأولى، ليلة بكر كتلك الليلة..

(الليلة الأولى هي الليلة.. وكل ليلة)

فتحت خزانة ملابسها، بحثت عن فستان الليلة الأولى، وجدته صامتا مرتابا، انتزعته وأزاحت غطاءه البلاستيكي الشفاف، لبسته، بدت قريبة من ليلتها تلك، قلَّبَت عينيها في المرآة طويلا، مدَّت أصابعها الدقيقة البالغة النعومة لتتخلل ذلك الشعر الهائج، أزاحته عن وجهها، انتفض قلبها كعصفور عندما لاحت صورته في خيالها، عشقته مبكرا.

قرَّبت رأسها من المرآة، نزعت بضع شعيرات من أعلى حاجبيها وَبَدأت رحلةَ انتزاع الجمال من أعماق مساحيقها، نظرت إلى ساعة الحائط، الوقت مبكرٌ.

بحثت عما يمكن أن تفعله، فتحت خزانة ملابسها، بحثت عن صور الليلة الأولى، انتقت أكثر الصور تعبيرا عن حالتها هذه، وضعت الصور في كل جانب من منزلها، نظرت إليها بعجب وفرحة، تمنت لو تنبعث الحياة مجددا في صورها.

أعادت ترتيب المائدة للمرة العاشرة وفي لحظات مجيئه، قرب قلبها من الباب، أدارت كوةَ الباب لتشرق أمامه. دخل بخطوات حاول تثبيتها في الأرض، أمالت رأسها نحوه، قربت من أنفاسه، اشمأزت، التفتت إلى منزلها المضيء، هرعت إلى لبس عباءتها، اصطدم رأسها بحافة الباب الخارجي، تركت منزلها يلهو في البحث عن الليلة الأولى.

* قاص من السعودية.

أبحث عن ساق!

■ طاهر الزهراني*

١٩٧٨م

عندما ولدتُ، ظهرتَ على شاشات التلفاز شخصية كرتونية عظيمة، لكني لم أتعرّف عليها إلا في العاشرة من عمري، ولم أتصوّر حينها أن هذه الشخصية ستلازمني طوال حياتي!

(جون سيلفر) الطباخ الذي يقشر البطاطا، ويطهو الطعام، ويغني للصندوق، ويطرق الأرض بساقه الخشبية، انقلب فجأة إلى قرصان عنيد ثائر يبحث عن الكنز. (سيلفر) ترك في داخلي صوتا جهورا، وضحكة مجلجلة، وبقايا من حكمة الكبار.

٢٠٠١م

كنت على يقين أن الحياة شاقة عصيّة، من دون رفيق أستندُ إليه، وقد كان (صالح) نعم الرفيق ونعم المتكأ، لكنه لم يتصالح مع الحياة؛ فلم يرضَ بالقعود، فتركني وذهب إلى جبال أفغانستان ومات هناك.

وبموته شعرت أني فقدت ساقي اليمنى؛ فلم أعد أسلك طرق الأولياء، ولم تعد خطواتي تشق الظلمة طلبا للنور.

تركتُ المشي فتكدس الشحم تحت جلدي، لقد جعلت البدانة كفنا للوحدة، والسبات كهفي الذي لا أملّ منه.

وكنت أبحث عن عزاء في مشاهدة (جون سيلفر)، الرجل الذي فقد ساقه واستبدلها بساق من خشب.

٢٠١١م

ثم جاء (نشوان)، جاء ليخرجني من كهفي وسباتي، وطلب مني أن أركض، أن أفرح، أن أغني، أن أرقص..

(نشوان) يحب اللذة والبهجة، يحب النساء والسفر والصحف، وتؤلمه الخطايا فيكفّرها بالكؤوس!

يعج بيته بالصحف، ينام ويصحو عليها، يفرشها للطعام والشراب، يتكئ عليها عندما يدخن، ويصنع بها طائرات ورقية للأطفال!

فقد صحفه ذات صباح، فثمل في المساء، فأخذ يسب الجميع لأنهم سرقوا صحفه، أخذ يقرع أبوابهم ويمطرهم بوابل من الشتائم البذيئة، لكنهم لم يفتحوا له.

(نشوان) لم يقصد بابي ليقرعه، ولم يرسل لي شتيمة ليخبرني أنه بحاجة إليّ.

لعن المدينة، واتجه إلى قريته، ينشد المطر، لكن الطريق لفظه في وادٍ سحيق.

وبموت (نشوان) فقدت ساقي الأخرى.

---

* قاص من السعودية.

نصوص

■ عبدالله السفر*

توقُّف

(توقّفي عن حكِّ هذه القروح، عن بعثِ هذه الذكريات)

قرأها...

وأسقطَ القلم بين الصفحات، فيما رائحةٌ كريهةٌ تتفشّى في جوفِه.

إطفاء

لم يكن يريدُ اختبارَ الألم، عندما دسّ يدَهُ في الجمر.

تلكَ طريقتُهُ في إطفاء الصور.

يريقُ الألمَ عليها حتّى تخمدَ أنفاسُها

وتعودُ، ثانيةً، إلى الغياب.

رماد

فراشةٌ غريبةٌ تحومُ حولَ

جثّةِ فجرِه.

بلّلَ رمادَ أصابعِه، وخطَّ

يومَهُ التالف.

دود

في قلب الضجيج، نضجَ صمتُهُ.

بنشوةِ الكشف وجذلِ الدود الناغل،

قامَ إلى عربتِه يدفعُها إلى المنحدر.

محا.. ولات

طفلتُهُ تقرُع كتفيه بقدميها.

جناحاهُ مقصوصان

والرمادُ يربض تحتَهُ.

عبثا تشحذينَ حلمَهُ الشائخ.

ممر

في الممرِّ اندلعتْ الرائحة. لم يكن هناك أحدٌ غيرَهُ.

دفعَ بخجلِه وجلس، يمتصّ الوجهَ الغائبَ بعينينِ غائبتيْن.

لم ينتبه لجرس المصعد، ولا للوجه الذي عبرَه.

؟؟؟؟

يعرفُ أنّ قلبَهُ ميّت منذ أنْ غادرتْهُ.

لكن ماذا يفعل بكل هذا البياض؟

---

* قاص من السعودية.

قصص قصيرة جدا

■ فهد الخليوي*

تسامح

على المنصة جلست مقدمة الأمسية فوق الكرسي، كلؤلؤة انتشر ألقها في أرجاء القاعة.

جلس بجوارها وانهمك في ترتيب أوراقه استعدادا لبدء الأمسية، أشارت إليه بالضغط على رافعة كرسيه لكي يكون العلو بينهما متساوياً، تجاهل الإشارة بمحض مشاعره وأراد أن تبقى هي الأعلى.

توأمان

سأل الشاب أخته الجميلة:

لماذا ولدنا في فضاء صغير؟

أجابت الأخت:

لأن أمي لم تجد مكانا كبيرا بحجم أحلامنا!

قال:

دعينا نعود لكهف أمي ونبني من جديد مدينة فسيحة، نعلق القناديل في شوارعها ونغمر أسوارها بحقول الورد والياسمين.

أحفاد

حلقوا كالطيور الرشيقة فوق رأس «جدهم».. هبطوا وقبّلوا جبينه ثم طاروا!

شعر الجد بألم الوحدة، استجمع قواه وطار معهم!

---

* قاص من السعودية.

قصة - حكاية المطر

■ صلاح القرشي*

المطر الذي لا يزورنا إلا مرة أو مرتين في العام نبقى نتحدث عنه طويلا كلما جاء، نفرح به كثيرا رغم أنه دائما يترك حيّنا وهو أقرب للخراب، وما أن تبدأ المياه تنهمر من المزاريب لتصب في الأزقة الصغيرة أو في أحواش البيوت، حتى يجدّ الرجال والفتيان في العمل، وهم يتدثرون بشراشف قديمة، صاعدين الأسطح لإزاحة ما يعوق المياه عن التدفق، فيما ينشغل آخرون بإبعاد سياراتهم نحو الأرض المستوية. النساء لديهن أيضا أعمالهن الكثيرة؛ مثل إبعاد الأثاث عن مواضع يتدفق منها الماء، أو وضع بعض القدور لالتقاط ما يتدفق من أسقف الغرف، فيما تقف الكبيرات في السن بجوار النوافذ، يرددن تسابيحهن كلما ارتفع صوت الرعد.

المطر الذي لا يزورنا سوى مرة أو مرتين لا يدوم طويلا، فسرعان ما تصفو السماء، وتبدو الجبال لامعة وبراقة، فيما يواصل الرجال تفقد الشارع الذي حفره السيل، أما النوافذ التي تبقى مفتوحة بعد المطر، فهي فرصة لا تعوض ليرى العاشق فتاته التي تبدو صافية ومبتهجة ترنو إلى الحيّ من شباكها بفرح.

بعد فترة تعود الحياة إلى طبيعتها، تقفل النوافذ الملونة، وتنتهي حكاية المطر، أما العاشق فيبقى دائما في انتظار سحابة جديدة.

---

* قاص من السعودية.

قصص قصيرة جداً

■ محمد صوانة*

إبرة..

شاكته إبـرةٌ مهملة سقطت أرضـاً؛ فـأدمـتْ إصبـع قـدمـه.. فقـرر معاقبة جميع بنات جلدتها.. وصار يجمع الإبر المتساقطة..

هبتّ الريحُ فأطلقها في الفضاء..

اغتراب

يشدّه الشوق،

تغمره أجـواء الـحضـور، تسبقه كل أحاسيسه..

يُهيءُ مركباً.. يُزيّنه..

ثم ينام!

أمل..

صفيرُ الـريح يتغلغل صـداه في كل جسدها..

تُبعِدُ ستارة النافذة بيد مرتجفة..

أغصانُ الأشجار تتراقص..

تضغطُ على هواجسها؛

وتنتظر...!

من المهد إلى اللحد

ينسلّ من لفافة الحصير؛

تتحشرج أنفاسه كمواء قطة تشدها رائحة بقايا عشاء..

أمام عين ضامرة: سيارات وراجلة.. وبطون متدلية..

ظِلُّهُ يعدو بعيداً..

ثم ينكس؛

متأبطاً لفائف من سراب...

عرفان..

يهرعون إليها زرافات ووحداناً..

لم تجرّبْ يوماً أن تقبض يدَها

عندما أصابها الخَدَرُ في أطرافها،

وتكوّمت وحيدة، في ركنها القديم..

اقتربت هرة البيت؛

تبسط يدها وتموء..

مسح ضوئي

في بوابة العبور، نفّذت توعّدها؛

أخضعت جميع حقائبه لتمحيصٍ دقيق، عبر آلة المسح (السكانر)..

خارج البوابة،

ثار هـرجٌ: جميع قمصانه، قُدّت من دُبُرٍ..!

---

* قاص من الأردن مقيم في السعودية.

هواءٌ أكثر جاذبية

■ محيي الدين جرمة*

الليل يجيء في موعده تماماً
سأنتظرهُ على موعد
ليس مضروبا بيننا.
الصباح يستيقظ قبل الجميع.
اعرف ذلك
وهذا ما يُحَيرُ في الأمر.
الهواء لا يأبَهُ بالآخرين
وهذا ما يُفسّر حياة الموتى
إذ يهُبُ نقياً في الأعلى
ومُلوثاً بقطرة الإسفلت.
التُراب كثير في الهواء
كثير جداً/
يقلُ
كلمَا انخفضنَا.
الهَواء ليس إلا التراب
كما لم نتصوره من قبل.
الحقيقة الباحثة
عن سراب ارضي
النبات في الهواء زهرة
وفي الأرض ذبول
في حدقة حديقة يابسة.
الوردة في السحاب
قطرة سحاب.
القمر في السماء
خيال الضوء
لا الضوء نفسهُ.
مثلما لا ينطلي على عصافير:
- مستقبل أفضل - لوأدِ هواءٍ
بهاوية.
أو شرنقة مدينةٍ مُغلقة
في وريد.
مثلما تظل رؤية القمر من الأرضِ
ضيِّقة/ وبخيلة.
ما يجعل - الفاكهة العمياء - تأكلُنا
بأقدام البنادق.
غير أن هواءً يبقى أكثر جاذبية
من الجاذبية نفسها.

---

* شاعر من اليمن.

جند الله

■ سليمان عبد العزيز العتيق*

كل ما في الكون: جندٌ من جنود الله
إن الله قادر
هذه الشمس التي تعطيك دفئاً وضياءً:
تزرعُ النور بجفن الكون
وتساقيه جمالاً وبهاءً
وسناءً وعطاءً
تغسلُ الظلمةَ عن كل تفاصيل الحياة
تعلنُ الحسنَ بوجه الأرضِ..
وتسطعُ في كل الجهات
تُنبتُ البهجةَ في الأشياءِ والأمداء
وقلوبِ الشعراء
وأناشيدِ الرعاة
هي جندٌ من جنود الله.
إن الله قادر
هذه الأرضُ التي راحتْ، تجوبُ الكون
كالطير المهاجر
وتسافر..
نحوَ أبعاد المسافات.. وتحنو
كحنو الأم، تؤويك وتسقيك نميرَ الماء
وخيرات البيادر
كحنان الأم تزجي لك يا إنسانُ خصباً
وعطاء
وتهاديك اشتهاءات وخيراً وأزاهر
هي جندٌ من جنودِ الله
إن الله قادر
هذه الريحُ التي تسري.. رُخاءً وعُذوبةً
تنشرُ العطرَ بهبات الصَبا
وتثيرُ الشجنَ العذبَ، بوديانٍ عشيبةْ
تصلُ الآفاقَ بالأشواق
وتمتدُّ رسولاً، للمواجيد الحبيبة

كلما جاءتْ على استحياء تمشي
تحملُ الشوقَ، وباقات التحايا
وتباشيرَ الخصوبةْ
تزرعُ الحبَ لبلثمْ الشتات
بين كل الكائنات
تستثيرُ الموجَ في البحر
وتتداحُ أعاصيرَ، على البيد الرحيبةْ
هي جندٌ من جنود الله
إنَ الله قادر
كيف جئت؟
كيف سافرتَ بأحمالك فوقَ الريح؟!
مثلَ أسرابِ النوارس
مثلَ أفراحِ العرائس
أنت كالحلم الجميل العذب بيضاءُ نقيه
تحملين الخصبَ للوديانْ
والإنسانْ
ولروضات الجنانْ
فوق سيفِ البرق والرعد.. أتيت
والتقيناك، شيوخا وكهولاً.. نتساقى
فرحَ الأطفال.. في يوم المطرْ
حين جئتِ، بين شوق الأرض
واشتهاءات الشجرْ
غيمةً بيضاءُ..
قُبلةً حرى لأرض الله من ثغر السماءْ
أنت غيثٌ، وعطاء
أنتَ حبٌّ ونماء
وابتهاجٌ من سمانا.. ينهمر
أنت جندٌ من جنود الله
إنَ الله قادر

* شاعر من السعودية.



لحزن عينيك..

«مواطنون نحن في مدن البكاء»

نزار قباني

■ نجاة الزباير*

القهر يرسم ملامح انهياري

فمَن غيرك يجمع انكساري؟

١

في عينيك

يفتح الجرح بابه

ادخلي

قالت مواني عشقك

رأيتك تطل علينا

من هناك..

٢

كان العمر دافئاً

وكنت أعدو عرجاء

سقطتُ في بئر عشقك

مددتُ أمنياتك

وفي أبهاء هواك سكنت.

٣

سألتني وأنا أتسكع في عينيك

ما لهذا العشق الذابح

يأسر أهداب ارتعاشاتي

فكلما لفّنا العتاب

أراني أمتطي براق ذكراك

ولكل العشاق أنثر نجواي.

٤

هل قلت قبل الآن

بأن عينيك أغنية نزارية

تُعشب فيهما أرضي

وتطبع سقف ابتهالاتي؟

٥

عربدي

قال كفيف يستعجل خطاي

تراك تعرفه؟!

ذاك الذي

قابلنا في دروبه العمياء

وكتبْنا بحروف من ماء

فنسينا بين جفونه كل الأشياء.

انكسرنا في بيادره
وأفقنا في هديره
أغنية خرساء.

٦

ها هو النهار
يسحب شموع أحجياته
فأرى في عينيك وطنا
تتمايل في زوابعه الأزقة
يدير قرص العويل
يسمعني انكسار العروبة
أحاول فهم طلاسمه.

٧

الأفق ذبيح
هل تدحرجت في جنونه؟
تقول عيناك
بأن العمر هريء
والأمس كفن
يتفيأ حدس الجراح
فأي إفك يقود صباحاتي؟

٨

في عينيك طفولة دمشقية
تتنفس جمر الحلم
فتحترق.
فآهٍ من وطن يجرّ خطاياه
هل عليَّ أن أسأله
أم أكتفي بالنظر في عينيك
كي أفهمه
وهو ينسج من الموت ثورته؟

٩

قنديل عينيك شاحب
ارفَعْ ستار ضوئه
كي أراك
فهنا حطام..
وخريف يسترق السمع
أهرب من لطمته
لثقب في مفاصلي
فأجد الغد بلا عيون
يتلمس في الدماء طريقه.

١٠

هيا افتح شبابيك نبضي
ترى الكون يخلع ثيابه
يمشي عاريًا في أوردتي
ينادي عن حرية
كانت تراقص كلماتي.

١١

لكن عيناك أقبرتا إشاراتي
ولم يبق غير أقواس دجى
يخاصر حكاياتي.

---

* شاعرة وناقدة من المغرب.

هديل الضياء

■ أسامة محمد علي*

أيها الطفل الجميل

فيّ

أيها الولد العصيً

لا تنظر وراءك

وانظر أمامك

وتوكأ علي الذي في قلبك من نور

سّر خلف القطيع

وأمامه

وجاهد الغيمات النازفات

بالقروح

استلّ من روحي وجع المهابة بالقصيد

وغنّي مع الآقدمين

مواويل الحداء

فالصبح ابتداء

والليل انتهاء

وما بينهما قلب تلظي بالمواجيد

اشتعل كالسوسنه في قلب المسافات

عانق شظايا الليل المضفر بالشحوب

وبالأغنيات التي تتلمس

ظل الروح فوق أقبية الحداء

نحِّ الدمع جانباً

وافتح قلبك لهديل الضياء

فالزمن العصيّ

تذوب متاريسه

تهطل غيماته

بين حاء وباء

---

* شاعر من مصر.



القاص محمد النجيمي:

ما أكتبه موهبة تعضدها معرفة ووعي باللحظة المناسبة للخلق! ولا أكتب إلا عن نص حرّك شيئاً بداخلي!

■ حاوره: خلف سرحان القرشي*

القاص محمد النجيمي اسم له حضوره في المشهد الثقافي، من خلال مجموعاته القصصية الأربع: (أول المطر)، و(سقف)، و(أحلام مسكونة بالموت)، و(قبل أن يصعد إلى جهنم)؛ ومن خلال روايته (مدونة هيكاتيوس)، والتي فازت بالمركز الثاني في جائزة أدبي حائل الأدبي لعام ٢٠١٢م، ونالت قبل ذلك تنويها من جائزة الشارقة.

النجيمي له مقاربات نقدية لبعض الأعمال السردية، كما أنَّ له زاوية أسبوعية في صحيفة الشرق.

كان عضوا فاعلا في لجنة إبداع بأدبي الطائف وعضواً في تحرير دورية (مجاز) التي أصدرها أدبي الطائف وشارك في بعض لجان مهرجان سوق عكاظ.

كما أنه أحيا بعض الأمسيات القصصية وقدم عددا منها.

له تواجده الملحوظ في الفضاء السيبروني من خلال منتديات جسد الثقافة وغيرها، ومن خلال مدونته، وصفحته في الفيس بوك، وموقعه في تويتر.

(الجوبة) حاورت النجيمي في عدد من القضايا المتعلقة بالمشهد الثقافي عموما وبنتاجه الأدبي بشكل خاص.

• ابتداء.. لمن ولماذا ومتى يكتب محمد النجيمي، ومتى يتوقف؟

■ الكتابة بالنسبة لي حاجة وجودية، من خلالها أتنفس، وعبرها أحاول أن أخلق صورة أجمل للعالم. هي حالة موازية للواقع الذي أعيشه، أقرأه ثم أشتبك معه لأعيد إنتاجه بالصورة التي أفهمها وأستطيع أن أتعايش معها.

أنا أكتب لي، ثم لذلك الصديق الذي لا أعرفه، ولم ألتق به يوماً، وأتيقن أنه سيفهمني، وسيتصالح مع ما أعبّره، وسيجد في كلماتي تعبيرا عن كثير

مما يحس به. أنا أكتب عندما لا يعود الكلام مجدياً، وعندما يصرخ الهاجس الذي يسكنني مناشداً إيايَ أن يغادرني ويفارق قيد الصورة وحبس الفكرة. أنا أكتب لأنني لا أملك أن أتوقف.

* **عالم التجيمي السردي.. من أين يشكّله؟ وما أبرز سماته من وجهة نظر التجيمي ناقداً؟**

■ السرد كما أراه لا توجد وصفة جاهزة له، هو كون يسكنه الكثير من العوامل التي بوسعها أن تجعله قابلا للمقاربة أو منفرة منه. يحتاج السارد لمعرفة تنمو للجنس الأدبي الذي يكتبه من ناحية تاريخه وتطوره وأعلامه ونصوصه المتجاوزة وتقنياته وأساليبه، يحتاج أيضا لموهبة الحكي التي أظن أنها تولد مع بعضهم، ولا تكفي الصنعة وحدها لتشكيلها وصقلها.

بالنسبة لما أكتبه فهو حسب اعتقادي لا يخرج عن ذلك، موهبة تعضدها معرفة ووعي باللحظة المناسبة للخلق ومعانقة الهواجس التي تسكننا، ونثرها على صورة حكاية لا نعرفها قبل الكتابة، ولكنها تنمو وتكبر معنا ونحن نعانق الحكي ونمارسه. هو أيضا رغبة ملحة في التجاوز يعضدها تجريب واعٍ، مدجج تحسن الإصغاء لتلك التفاصيل الصغيرة جداً والحميمة جداً التي تستوطن أعماقنا.

* **نقاد كثيرون قاربوا بعض نتاجك، منهم (جمعان عبدالكريم - عالي القرشي - حمدان الحارثي - زكريا العباد - صالح الغازي - شوقي عريف - عبدالله السفر - علوان السهيمي) كيف ترى تقاطعهم مع نتاجك؟ وأيهم اقترب منه بعمق، وكان أكثر إنصافا لثيماته وتقنياته الفنية؟**

■ جميعهم قاربوا النص بحب ووعيٍ وإن - تبعاً لطبيعة الأمور- تفاوت هذا الوعي. هذه الأسماء التي ذكرتها لم تكتب عني، ولكنها تقاطعت مع النص، وتحدثت عنه، وحاورت شخوصه وأحداثه ورؤاه. يختلفون في زوايا نظرهم، ومناطق اهتماماتهم وخلفيتهم المعرفية، لكنهم جميعا تواصلوا مع نص مسّ شيئا ما فيهم، وإن اختلفت القيمة بين قراءة وأخرى من ناحية التلقّي.

* **بعد إصدارك لأربع مجموعات قصصية اتجهت للرواية، ورغم أنها الأولى لك.. إلا أنها حظيت باهتمام تمثل في تنويه جائزة الشارقة بها، وفي حصولها على المركز الثاني في جائزة أدبي حائل.. ماذا يمثل هذا لمحمد التجيمي المبدع مستقبلا، وهل سيهجر القصة القصيرة بعد أن وجد نفسه في (الرواية)؟**

■ الكتابة حالة تفرض نفسها على المبدع وتطوعه، ولا يسعه هو أن يحدد حضورها أو شكلها أو طبيعة الجنس الإبداعي الذي تسكنه. القصة القصيرة ألصق بروحي وأقدر - كما أشعر- من غيرها على التعبير عن اشتباكنا مع هذا العالم، وعن التفاصيل الصغيرة التي تعبث في جوهره وجوهر الكائنات التي تسكنه؛ ومع ذلك فلو حضرت الكتابة وتعتق الهاجس، وكانت الرواية هي الجسد الأليق بهما، فلن أتردد في خوض التجربة مرة ثانية.

بخصوص الجزء الأول من السؤال، فهاجسي كان تقديم الرواية للقراء من خلال المشاركة في الجائزة، فهو عمل اشتغلت عليه بوعيٍ، وهو يستحق الحضور من وجهة نظري، واستمراره في مختلف مراحل جائزة حائل حقق هذا الهدف، وسمح بتداول عنوانه، ولفت انتباه القارئ الذي أحتاج للفت نظره

> أفدتُ من القراءة بالإنجليزية ومنحتني زاداً ثميناً خلق ثراءً معرفياً وتنوعاً جمالياً!
>
> الرمزية حرية يصعب فهمها وتبريرها!
>
> غادرت الاسم المستعار عندما عرفت أنه لا يمثلني وأنه استسلام لوعي الجماعة!
>
> جماعة (حوار) تقدم فعل مثاقفة جيد، ومن يعترض فليأت ببديل!

في خضم بحر من الروايات الجديدة كل عام.

- **النجيمي قدم قراءات نقدية قارب فيها نتاج بعض زملائه في مضمار السرد، هل يعكس توجهه هذا الرغبة في تسليط الضوء على نتاجات المبدعين كردة فعل على قلة اهتمام الناقد الأدبي لدينا بهذا النتاج وعنايته بالتنظير الأكاديمي؟ أم ماذا؟**

■ أكتب عن النص عندما أشعر أن لديّ شيئاً يستحق أن أقوله عنه، لا أتعسف الكتابة ولا أتقصدها. لم يسبق لي أن قررت أن أكتب عن عمل ثم أقرأه، لم يسبق لي أن تعمدت الكتابة عن اسم بعينه. الكتابة تأتي بعد فراغي من عمل أكتشف مع طي صفحاته أنه قد حرّك شيئاً في داخلي، وأجدني أجيب هذا الخاطر من خلال تسجيل ملاحظات وهوامش تتحول لحوار على شكل مقال مع هذا الأثر الأدبي.

لا يحضر النقد ولا دوره، ولا تحضر فكرة تسجيل مواقف. الذي يحضر هو استجابة تلقائية من قارئ يقيم جسره الخاص، الذي يردم الهوّة بينه وبين العمل الذي قاربه. حصل هذا مع نصوص محلية وعربية وعالمية، كان آخرها على سبيل المثال: (دروب بلغراد) و(صائد اليرقات).

- **النجيمي يكتب المقال الثقافي في زاويته الأسبوعية في صحيفة الشرق، هل يعني ذلك إيمانه بأن النص الإبداعي وحده لم يعد كافيا للتعبير عن هموم المثقف ومعاناته وطموحاته؟**

■ المقال شكل من أشكال التعبير، ونافذة إضافية مهمة، تهَب الكاتب فرصةً للقول والمناقشة والتحليل. هو وسيلة لطرح الأسئلة، واقتراح الاحتمالات، وتصور الدلالات وصولا لتقريب المعنى لذهني أولا، ثم لقارئ محتمل ثانيا. هو وسيلة حية للحوار والمثاقفة والانفتاح أكثر على العالم. مثل هذه النافذة لا تهدر، ولكل الأسباب السابقة أجدني محتاجا لهذا الشكل من التعبير.

- **للنجيمي موقف من الأندية الأدبية ومن الانتخابات، أعلنه قولاً وعملاً من خلال اعتذاره عن المشاركة في فعالياتها، ولكنه قبِل (جائزة حائل)، وهي من ناد أدبي مثله مثل غيره، كيف تفسر ذلك؟**

■ موقفي ليس موقفا من الأندية كمؤسسات يمكن تطويرها والاستفادة منها، وقد كنت فاعلا فيها ذات يوم، ولكنه موقف من لائحة أرى أنها تغوّلت على الأدباء، وفرضت عليهم إرادة صانعيها. هو موقف لا علاقة له بالأشخاص أو الفعاليات التي تديرها الأندية، بل يتصل مباشرة برفض العمل وفق شروط هذه اللائحة المعيبة من وجهة نظري.

من هذا المنطلق، كانت مشاركتي في الجائزة، وعلى هذا الأساس بنيتُ موقفي الذي أتمنى أن يسهم مع مواقف آخرين في

رد الأمر لأهله، وتصويب الخلل الذي أراه وأنفر منه.

- **النجيمي مجيد للغة الإنجليزية.. إلى (أي مدى حققت تلك القراءة نفعاً لك كمبدع) مدى حققت القراءة بها نفعا لك كمبدع، ولماذا لم تقارب الترجمة الأدبية منها وإليها إضافة لنتاجك السردي والنقدي والمقالي، وكيف ترى واقع الترجمة الأدبية لدينا؟**

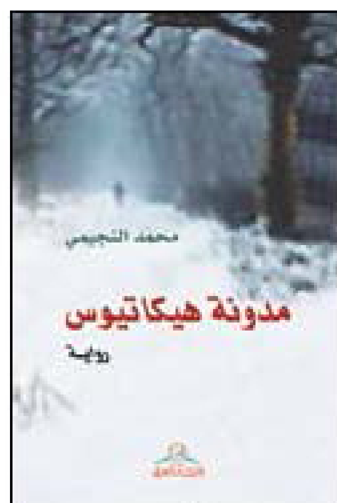
- الترجمة إبداع وممارسة تلتزم الكثير من الوقت والجهد والدربة وهو ما لا أملكه؛ القضية تتجاوز إتقان لغة ما وتصل إلى أبعد من ذلك. أستفيد من اللغة في القراءة، وهذا زاد ثمين يخلق ثراءً معرفيا وتنوعاً جميلا؛ كما أنها نافذة جميلة توسع الأفق، وتجعلك أكثر التصاقا بما يستجد على مستوى الفكر والإبداع؛ ما يسهم في صقل أدوات القارئ.. وهو ما يثمر بشكل إيجابي عند استخدامه وتوظيفه كتابيا.

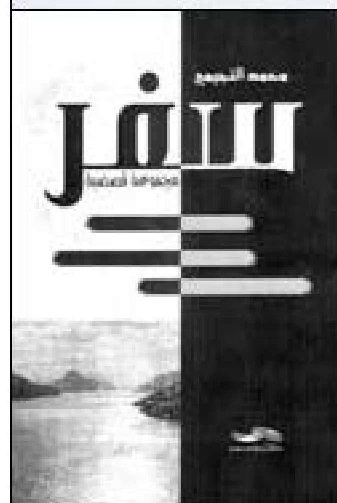
فيما يتعلق بالترجمة محلياً، فهناك جهود فردية رائعة ومحاولات خجولة على مستوى المؤسسات. هذا يمثل إضافة لمشهدنا الثقافي، ولكنها تظل إضافة محدودة وأثرها بالتالي محدود. الأمر يستوجب حضورا مؤسساتيا حقيقيا مع ما يتطلبه ذلك من موارد مالية وبشرية كافية.

- **شاركت مؤخرا بفعالية في تكريم للشاعر الشعبي الحميدي الثقفي.. كيف ترى الشعر الشعبي فاعلاً في الحراك الثقافي سلباً وإيجاباً؟**

- هو فاعل عندما يستفيد من التوجهات والطروحات الجديدة في الشعر في تجاوز الشكل التقليدي وزوايا النظر التقليدية والصور التقليدية، لأن هذا يعني تغيرا في الفكر على مستوى إنتاج النص ومستوى تلقيه. هذا يعني المغايرة لا المسايرة بالنسبة للمبدع، وبالنسبة لقارئ نصه الإبداعي، وظني أن الحميدي الثقفي يمثل مثالا جيدا على ما قلته هنا. هذا إجمالا يعني فعلا حداثيا حياً يتفاعل مع الجديد ويتبناه ويوظفه؛ ما يعني مغادرة الثبات والجمود ناحية تفاعل حقيقي مع ما استجدَّ على مستوى العصر من الناحيتين الجمالية والمعرفية.

- نقيض ذلك يأتي محملا بالسلب من وجهة نظري، فهو لا







يغادر الجمود، ويحفر نفسه في زاوية ضيقة. هو ببساطة يروّج لقيم وصور وأشكال تعبير لا تنتمي للعصر ولا تتفاعل معه؛ ما يكرّس النمطي، ويعيد اجترار مضامين ميتة.

- النجيمي متهم بالرمزية المبالغ فيها في أعماله.. إن صحت التهمة، فما الذي تهرب من الإفصاح عنه مباشرة وتواريه بالرمزية والغموض؟

■ أؤمن أن النص يخلق نفسه ويتأثر بمعارف وثقافة ووعيْ منتجه. هو انعكاس حيْ لتجربة حيّة؛ ومن ثمّ، فهو شكل التعبير الذي يتناسب مع روح مبدعه. لا يصح أن تكون الرمزية تهمة أو ميزة في اعتقادي، بل هي حرية يصعب فهمها، ويصعب في الوقت نفسه تبريرها.

- شاركت كثيراً في منتديات الجسد وغيرها، وكان لك مساجلات مع كثيرين ارتفع فيها الصوت وبودلت الكلمات بالمعنى الرمزي.. هل ترى ذلك ظاهرة صحية؟ ولماذا كتب النجيمي باسم مستعار (صمت عتيق) فترة من الزمن ثم كشف الاسم بعد ذلك؟ ما الذي تغير؟

■ كتبت باسم مستعار لأن الجميع كان يفعل ذلك، وكان هذا هو المتعارف عليه، ثم غادرته عندما عرفت أن هذا لا يمثلني، وأنه استسلام لوعيْ الجماعة. المهم هنا، هو أنني كتبت الصدق فقط في الحالتين، وعبرت عن ذاتي بشفافية لم يحكمها لا السر ولا العلن.

مرحلة جسد الثقافة - فيما يخص الجزء الأخر من السؤال - كانت مرحلة مهمة، وبخاصة أن كثيرا من أعضائه كانوا موجودين على الساحة باختلافاتهم وتنوعهم وتفاوت وعيهم، وهذا خلق جوا صحيا، وأسهم في صقل مهارات وأدوات الكثيرين سواء على مستوى الحوار أم النظر للنص. صحيح أن بعض الحوارات كانت ساخنة، وبعض الصراعات كانت سافرة، إلا إنها كانت مثريّة على المستوى الشخصي، وعلى مستوى قراءة الشخوص والتعمّق في فهم طبيعة النفس البشرية.

- يقول القاص والروائي المغربي حسن البقالي: (أحيانا أرى الكتابة مجرد وهم كبير يعيشه الكاتب كي يقفز فوق الفراغ أو الجنون.. وهم شبيه بممارسة العادة السريّة بوصفها توحّدا مع الذات ونفياً للآخر.. فكم هو مخجل ومثير للدوخة، العدد الذي يباع من نسخ إصدار إبداعي في بلد الثلاثين مليونا.. إننا نمارس «حرفة» لا حاجة للمجتمع بها)!

ما تعليقك على هذه المقولة من خلال تجربتك الإبداعية؛ كتابة وإصداراً وتسويقاً؟

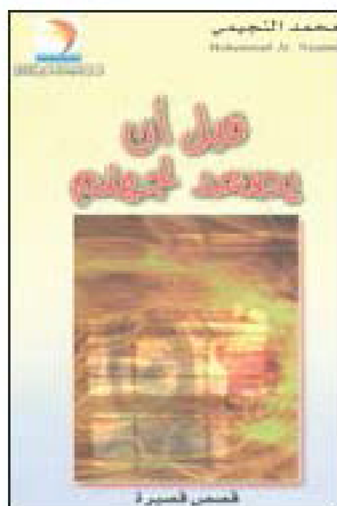
■ للأسف، أنا أتفق معه تماماً. صحيح أن الكاتب يكتب لحاجته للكتابة من ناحية وجودية، ويكتب حتى يقيم جسرا مع الآخر؛ إلا أن المردود محبط، والأثر ضعيف، من الناحيتين المادية والإنسانية.

الناشر يخذلك، والموزع لا يحسن عمله، والقارئ للنص يقع ضمن دائرة منتجي النصوص. وهي فئة محدودة تطحنها الهموم ذاتها. الكثيرون يجرحون قيمك وأحلامك عندما تتقاطع معهم مادياً ومعرفياً وإنسانياً، فلا يتم التعامل مع الكاتب من خلال قيمته الإبداعية، ولا يتم التعامل مع مبدعه تعاملاً إنسانياً.

هذا واقع لا يسعنا تجاهله، ولا يمكننا في الوقت نفسه التغطية عليه.

- جماعة (حوار) بأبي جدة من العلامات





الرئيسة في التعاطي مع الأعمال السردية المحلية وقضاياها، رضي عنها أقوام وسخط آخرون. النجيمي السارد كيف يراها؟

- أي فعل ثقافي هو فعل جيد من ناحية مبدئية. المثاقفة ضرورة، والحوار أداة تصقل الفهم، وعلمنا السؤال ومراودة الاحتمالات.

يحق لنا بعدها أن نختلف مع أي جهد بشري، بشرط أن لا نصادره. يجوز لنا أن ننتقد جدول الأعمال؛ لأنه لا ينادمنا أو يضم أسماءنا؛ أو لأنه - ببساطة - لا يتسع لرؤانا؛ لكننا ملزمون عندما ننتقد أمرا أن نقدم البدائل، وأن نحدد بدقة أسباب اعتراضنا. علينا - من وجهة نظري- أن نغادر الذاتي إلى الموضوعي؛ ولذا، فأنا أقدّر جهد هذه الجماعة وأناجيه، وأتمنى أن يمتد حوارها ليتجاوز المنطقة إلى الوطن والأصدقاء والجميع.

- **اقتربت أكثر من عوالم المثقفين والمبدعين الشخصية وعايشتهم عن كثب في مهرجان عكاظ وفي معرض الكتاب وغيرها؛ ماذا أضافت لك هذه التجربة؟**

- الإضافة الرئيسة كما أعتقد هي إضافة شخصية على مستوى صناعة معارف جدداً، إلا أنها ضعيفة على المستويين المعرفي والإبداعي. قد تكون المشكلة ذات علاقة بطبيعة هذه المهرجانات والقائمين عليها، أو قد تكون بسبب ضيق الوقت والمساحة المتاحة.

- **مشروع النجيمي القادم ما هو؟ وهل لك من كلمة تختم بها؟**

- لديّ مسودة جاهزة لمجموعة قصصية عنونتها مؤقتا بـ: «الراوي» ولن أستعجل في نشرها. أكثر نصوصها لم يطّلع عليه أحد، وفيه تجريب أراهن عليه، وآمل أن يضيف لتجربتي السردية.

أختم بشكرك وشكر مجلة (الجوبة) على هذه المساحة، وبالقول إنه ليس من اليسير تسهيل القراءة وتقديم تفسير مرضٍ للمقروء، الذي لا يمثل كيانا مستقلا بذاته، في رأي بعضهم؛ فهو امتداد لإرث متصل من المعرفة والتجارب الإنسانية، ويكتنفه وعي بشفرات الجنس الأدبي، وتماهٍ معها من قبل الكاتب؛ وهو ما يفترض أن يعيه القارئ حتى يزعم خلق معناه الخاص أو ما يتوهم أنه قصدُ الكاتب.

«يسقطُ شقياً» هو سفرٌ عبرَ الذاتِ العاشقة

الشاعر المغربي محمد اللغافي يؤكدُ أنّه سيظلُّ وَفِياً لِتَجْرِبَةِ اليَومِيّ

■ حاوره رشيد الخليري*

بعد حُضُورٍ لربع قرنٍ في المشهَدِ الشعري المغربي ما يَزالُ الشاعرُ المغربي محمد اللغافي مُصرّاً على اقتِحامِ مجاهلِ القصيدةِ، عبْرَ إصدارٍ جديدٍ وَسَمَهُ بـ «يسقط شقياً»، ظلَّ وَفياً لمَسارٍ شعري يَرتَكِزُ في الأسَاسِ على مُسَاءلةِ الذاتِ وتَفاصيلِ اليوميّ لِنُنصِتَ في هَذا الحوَارِ إلى نَبضِ الشَاعِرِ وذَاتِهِ المَسكُونَة بالكَثيرِ مِنَ القَلقِ والألم.

■ في البداية، حدثنا عن منجزك الشعري الأخير «يسقط شقياً»؟

■ «يسقط شقياً» عمل استثنائي، حاولت فيه السفر عبر الذات العاشقة وواقع كينونتي، كشخص مثقل بهموم العالم، يستنزفه التفكير في ما هو أعمق من اليوميّ، الذي يستعبدنا في المعيش المفروض.. وهو كذلك سقوط فاجر في عمق متعثر أو حلم عابر راودني ذات فجوة منفلتة، ثم حاولت الأ أكرر نفسي ولا أعرف هل نَجحتُ في ذلك أم لا؟

■ المتتبع لتجربتك الشعرية يلاحظ أنك تنزاح لتفاصيل اليومي ما السرُّ في ذلك؟

■ السر واضح، فعلاقتي باليومي يؤثر بشكل كبير على تجربتي، ولا ملاذ لي بعده؛ لأن محيطي الاجتماعي وبيئتي البسيطة وملازمتي للبسطاء، تلزمني أن أبقى وفياً لتجربة اليومي، إن صح التعبير.

■ إلى جانب الإبداع تشتغلون في

العمل الجمعوي، كيف تستطيعون التوفيق بين العملين؟

- العمل الجمعوي بالنسبة لي هو تكملة لمساري الإبداعي.. أولاً لأكون في خدمة الثقافة والفكر، وحتى أكون قبل الإبداع مناضلا جاداً لتكريس الفعل الثقافي الجاد، ضد بهرجة التمييع والفساد والتحرش الثقافي الذي أصبحت تشهدُه الساحة الثقافية من بعض المؤسسات المسترزقة؛ ثم إنني بالعمل الجمعوي أستطيع أن أوصل رسالة أخرى شريفة، تقتصر أولا على تعميم الإبداع تحت شعار «الثقافة للجميع»، وتشجيع الشباب على الكتابة والترويج للكتاب، لنصنع على الأقل جيلا قارئاً ومتابعا.

- جامعة المبدعين المغاربة استطاعت أن تراكم تجربة مائزة، سواء على مستوى النشر الجماعي، أو تنظيم لقاءات مفتوحة مع المبدعين المغاربة، هل تتلقون دعما من الجهات الوصية أم فقط تعتمدون على مجهودات ذاتية؟

- في الحقيقة، نحن لم نتلق أي دعم حتى الآن، ونحاول الاعتماد على مجهوداتنا الذاتية؛ وأتمنى مستقبلا أن نتواصل مع وزارة الثقافة والجهات المسئولة للدعم، سيأتي هذا بعد تأثيث بيت الجمعية التي أصبحت في حاجة ماسّة إلى إعادة النظر في مكتبها، وضخ دماء جديدة فيها.

- انتُخب مؤخرا مكتب جديد لاتحاد كتاب المغرب، هل الأسماء التي تكوّنه قادرة على إعادة عجلة الاتحاد إلى سكّته الصحيحة؟



- صدقني، أنا لست ضد المكتب الجديد لاتحاد كتاب المغرب، ولا المكتب القديم، لكني ضد الاحتكار الثقافي؛ فمن لا يشتغل بنكران الذات لا يمكنه أن يسير بمؤسسة تَحملُ على عاتقها بشغَل الثقافة في بلادنا.

- هل يمكن أن نرى محمد اللغافي يوماً عضواً في هذا الإتحاد؟

- لا، لم أعُدْ الآن في حاجة للعضوية في اتحاد كتاب المغرب، لكن هذا لا ينفي بأننا في جمعية جامعة المبدعين المغاربة يمكننا التنسيق معه كأي جمعية جادة.. خدمة للثقافة الهادفة والرصينة، ويمكن أيضاً مع وزارة الثقافة المغربية.

- هل من كلمة أخيرة؟

- أتمنى أن تستعيد الثقافة ماء وجهها الذي فقدته مع كُتّاب الفيسبوك.

معارض الكتب:

معرض الرياض

■ مرسي طاهر*









يُعدُّ معرض الكتاب (Book Fair) في أي بلد مؤشراً لقياس الحالة الثقافية والأدبية التي تعيشها البلاد، وانعكاساً لحركة التأليف والنشر والتوزيع فيه؛ كما يُعد واحداً من الظواهر الثقافية المهمة التي تُحدِث حراكاً ثقافياً، وتنمِّي معارف المثقفين ومداركهم.

وتمثِّل معارض الكتب مواسم ثقافية وتجارية، تشكل تظاهرة جماهيرية ثقافية واقتصادية، تستقطب كل الطبقات الاجتماعية، وجميع المستويات التعليمية المختلفة، بكافة الشرائح العمرية؛ فهي للطفل والشيخ والمرأة، والرجل، والمثقف، والعادي؛ فتخلق بين هذه الأطياف والمستويات جواً من التفاعل الفكري الموحَّد نحو مصدر معرفي، وهدف ثقافي.. ألا وهو الكتاب؛



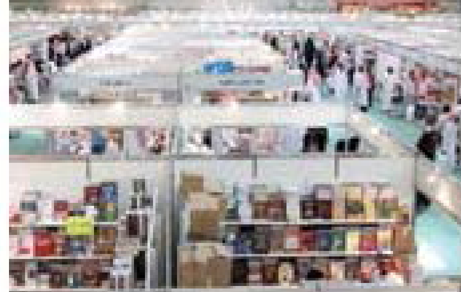


ثقافة وصناعة

الدولي أنموذجا









ولدت فكرة إقامة معارض الكتب من رؤيتين: أولاهما اقتصادية، تقوم على تضييق المساحة الجغرافية أمام طالب الكتاب والباحث عن الجديد في عالم المعرفة والثقافة؛ ومن ثمّ إتاحة الفرصة أمام الناشر لعرض إصداراته لأكبر شريحة ممكنة من الناس، وكذلك إيجاد أسواق جديدة أمام هذا الرافد الاقتصادي المهم.

والثانية ثقافية، إذ تخلق جواً من التفاعل الفكريّ بين رواد المعرض، وتشكل منبراً مفتوحاً على كل الثقافات؛ فتظهر الإبداعات الأدبية بكل مجالاتها الشعرية، والروائية، والنقدية، والفكرية، والسياسية، والعلمية، من دون عناء البحث عن عناوين أو أسماء محددة في أماكن عدة؛ فتقدم نتاجات النخب المخضرمة مع أحدث الإصدارات لمختلف الأجيال في جميع المجالات.

ولا تقتصر المعارض على عرض الكتب فقط، بل تتعدى هذا المفهوم لتشمل كل الوسائل التي تخدم الكتاب، كالتعريف به وبيان أهميته،





فهناك فعاليات مصاحبة تشمل أنشطة وندوات ثقافية، ومهرجانات فنية متعددة، تصاحبها تغطية إعلامية واسعة، وقد تشمل حفلات توقيع عقود لإصدارات جديدة..

ونظراً لأهمية هذه المعارض، فهي غالباً ما تتبع وتخضع للإشراف الكامل من قبل الحكومات، فضلاً عن رقابة رسمية تصل إلى حد التدخل بمصادرة كتب ذات توجّهات سلبية. فهناك معرض القاهرة الدولي للكتاب الذي تنظمه الهيئة العامة للكتاب التابعة لوزارة الثقافة المصرية، ومعرض الرياض الدولي للكتاب تنظمه وزارة الثقافة والإعلام، ومعرض الدار البيضاء الدولي للكتاب تنظمه وزارة الاتصال والثقافة المغربية، ومعرض البحرين الدولي للكتاب ينظمه المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب التابع لوزارة الإعلام البحرينية. كما يوجد عدد لا يخضع بصورة مباشرة للحكومة، كما هو الحال في معرض عمّان الدولي للكتاب الذي ينظمه ويشرف عليه اتحاد الناشرين الأردنيين، ومعرض بيروت للكتاب الذي ينظمه اتحاد الناشرين اللبنانيين، وعلى الصعيد الدولي نجد أحد أهم وأشهر المعارض الدولية العالمية، معرض فرانكفورت الدولي للكتاب، الذي ينظمه اتحاد الناشرين الألمان.

ويعد معرض الرياض الدولي للكتاب أحد أهم المعارض الدولية للكتاب في العالم العربي؛ بل في العالم كله، حيث سجلت أعداد الزائرين له خلال هذا العام ٢٠١٢م مليونان وأربعمائة ألف زائر حسب تقدير الجهة المنظمة، بينما تم تسجيل ما يزيد على ثمانية ملايين زائر لصفحة المعرض على شبكة الإنترنت، هذا بخلاف الندوات والفعاليات الثقافية المصاحبة للمعرض وحفلات التوقيع للكتب.

وعلى صعيد آخر، لامست حجم المبيعات داخل المعرض (٧١)مليوناً و(٦٤٥) ألف ريالا سعوديا، وذلك في ظل تنامي عمليات الشراء من جانب الزوار، وكذلك عمليات التعاقد التي يجريها عديد من الجهات الحكومية والأكاديمية من داخل السعودية وخارجها، كما شهد المعرض في دورته المنتهية أكبر تجمع للناشرين والعارضين والجهات والتوكيلات، إذ شارك أكثر من (٩٧٠) جهة من (٣٢) دولة قدمت ما يزيد على (٢٥٠)ألف عنوان ورقي، وأكثر من مليون ومائتي ألف عنوان إلكتروني.

ويتضح مما سبق، أن معرض الرياض الدولي للكتاب أصبح علامة فارقة في المشهد الثقافي العام بحضوره الكثيف، وعدد دور النشر المشاركة فيه، وحجم المعروض وتنوّعه، إضافة إلى حجم المبيعات. وقد لاقى ذلك اهتماما غير عادي من الجهة المنظمة، فأصبحت كل دورة تحمل تطويراً وآلية جديدة تواكب وتصاحب التطور الحادث في الثقافة والصناعة المرتبطة بهذا الحدث؛ فرغم الزحام تجد ممرات فسيحة، ودور نشر مرقمة ومرتبة، وفي المدخل مكتب للعلاقات العامة. نجد فيه خريطة للموقع وجدول الفعاليات، إضافة إلى وجود أجهزة حاسب آلي توفر عليك ليس فقط البحث عن كتاب.. بل تستطيع أن تحدد لك دور النشر والممر بالأرقام والأحرف وسعر الكتاب.

وخلال هذا العام، تم الاحتفاء باليوم العالمي للمرأة، فقررت إدارة المعرض تكريم عدد من الرائدات السعوديات في عدد من المجالات، وأصدرت كتيباً بذلك.

كما أعلنت أثناء المعرض نتيجة جائزة وزارة الثقافة والإعلام لأفضل كتاب عن عام ١٤٣٤هـ، والتي فاز بها كل من: تركي بن ناصر السديري









عن كتابه «الإسلام والرياضة»، والدكتور راشد العبدالكريم عن كتابه «البحث النوعي في التربية»، والدكتور صالح زياد الغامدي عن كتابه «الرواية العربية والتنوير.. قراءة في نماذج مختارة»، وعبدالله بن حكم بلخشوين عن كتابه «لا شأن لي بي»، والدكتور عبداللطيف دبيان العوفي عن كتابه «حملات التوعية الإعلامية.. الأسس النظرية والإجراءات التطبيقية»، وعبده خال عن رواية «لوعة الغاوية»، ومحمد جبر الحربي عن كتابه «جنان حنايا»، والدكتور نزار بن عبيد مدني عن كتابه «قضايا ومواقف في الفكر والسياسة»، والدكتورة هناء حجازي عن كتابها «مختلف: طفل الاسبرج مختلف: ولكن ليس أقل»، ويوسف بن إبراهيم المحيميد عن كتابه «رحلة الفتى النجدي».

ويعد هذا العرض لأهمية معارض الكتب بصفة عامة، ومعرض الرياض الدولي بصفة خاصة، وذلك من منظور الثقافة والصناعة، ينبغي أن يستثمر هذا التلاحم الحقيقي مع الناس، في استقطابهم بكل الطرق والوسائل الممكنة، إلى القراءة والاطلاع، وخلق علاقة فعلية مع الكتاب، وخاصة في ظل ما تواجهه معارضنا العربية من مشكلات كالأمية، وضعف صناعة النشر، وغياب صناعة القارئ، ورقابة بعض المطبوعات.





المسكن بين الأدب والهندسة

■ صالح بن ظاهر العشيش*

المسكن كدلالة لغوية اشتقت من السكون.. وهو الهدوء والراحة، أما الدلالة الحسية فهو المأوى الذي يضم الفرد والأسرة وهو نواة الاستقرار الجسدي والنفسي؛ وذلك شرط أساس من شروط العطاء الإنساني؛ بأبعاده الحسية والعاطفية والفكرية.

فالمسكن هو الأول عند الأدباء والشعراء، بل عند عامة الناس.. لكني هنا أخص الأدباء والشعراء؛ لأنهم يوثقون أحاسيسهم، وينشرون بوحهم ويشيعون مشاعرهم فهذا المسكن عند هؤلاء، مكان النشأة الأولى، ومرتع الصبا، وذكريات الأيام الخوالي مع الإخوة والأخوات والأتراب والأقارب والأصحاب.

كم منزلٍ في الأرض يألفه الفتى
وحنينهُ أبداً لأولِ منزلِ

وهو رمز العزة والمنعة.

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه
يُهدّم ومن لا يظلم الناس يُظلمُ

ومكان الضيافة وبذل الكرم.

أماوي إن المال غادٍ ورائحٍ
ويبقى من المال الأحاديثُ والذكرُ

وتحقيق الذات عندما يشتد الساعد، ويستقل المرء عن ذويه بمسكنه الخاص به، كما يتحول بحوره إلى المسكن الأول في مرحلة الشباب، فيحن إليه وإلى الجيران إن طال به العمر، وامتد به الأجل، ورحل عنه إلى مسكن آخر، وإلى جيران جدد، حيث يستدعي الذكرى للحبيب والمنزل البكاء.

قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ
بسقطِ اللوى بين الدخول فحوملِ

كما أن البعد يثير لواعج النفس، ويظهر ما كانت النفس تواريه وتكنه من حنينٍ إلى الدار.. ومن يسكنها أو سكنها.

بكلٍ تداوينا ولم يشفَ ما بنا
على أن قرب الدار خيرٌ من البعدِ

على أن قرب الدار ليس بنافعٍ
إذا كان من تهواه ليس بذي ودِ



أما من الناحية الهندسية، فالمسكن هو البناء المعروف ذو ثلاثة أبعاد، مقسم إلى فراغات معينة، لكل فراغ وظيفة أو وظائف يؤديها، تبدأ من الإيواء، وتنتهي بتحقيق الذات وما بينهما من وظائف؛ مثل: الخصوصية، والإنتاجية، سواءً كانت فكرية أم حسية، وتربية الأبناء، واستقبال الضيوف والزوار، والنشاطات الفسيولوجية، ولتحقيق هذه الوظائف بفاعلية واقتصاد، وليسهم في التحفيز على النشاط المثمر، سواءً كان حسياً أم فكرياً، لابد أن يكون هذا المسكن وفق أصول ومعطيات هندسية صحيحة، تراعي أحوال المكان، وظروف الزمان، وثقافة المجتمع.

فإذا أخذنا المكان، فلكل مكان متطلباته من بيئة وطقس وعادات وتقاليد، يتأثر بها بناء المسكن؛ فليس المسكن المقام في المدينة كالمقام في قرية، وليس المسكن المقام في مزرعة، ويعد مسكناً ريفياً كالذي يقام في حي مزدحم أو ضاحية مترفة؛ وليس الشمال مثل الجنوب، ولا تتطابق القارات والمواقع. كما أن لكل زمان خصوصية، فالتغيُّر في المجتمع من الأسرة الممتدة في ما مضى من الزمان إلى الأسرة النواة في أوان هذا الزمان. وأنماط الحياة يؤثران على تكوين الأسرة وامتدادها، كما أن الزمان له تأثيره على تغيُّر مواد البناء، ومع تغيُّر الزمن.. تتغير وتتطور التقنية، وكل لها تأثير مباشر على كيفية بناء المسكن وعلى نوعية عناصره.

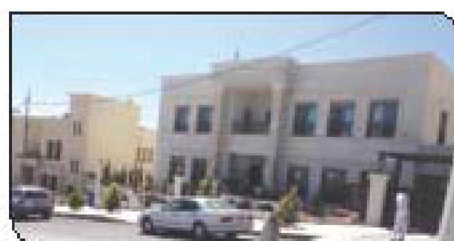
وأما مراعاة ثقافة المجتمع، فلكل مجتمع خصوصيته وأسلوب معاشه، وكل لها تأثير كبير على تصميم المسكن؛ فالمجتمعات الإسلامية المحافظة فيها فصل بين الرجال والنساء الأجانب في المعيشة، كما أن أسلوب الحياة واستقبال الضيوف وغير ذلك، مختلف تماما بين مجتمع وآخر. وهذا يقودنا إلى تصميم المسكن وإعداد وثائقه التي يجب أن تأخذ بكل ما تقدم، حيث أنها الخطوة الهندسية العملية الأولى نحو إيجاد المسكن، والتي سأوضحها بلغة سهلة مفهومة للجميع، وبعيدة عن الرطانة الهندسية ولغة المهندسين؛ لأننا نكتب في مجلة أدبية.

تتكون وثائق التصميم للمسكن من ثلاثة أجزاء رئيسة هي:

١. مخططات التصميم المعماري والهندسي.
٢. مواصفات المواد.
٣. جداول الكميات وأسعارها.

فالتصميم المعماري، هو تحويل المتطلبات





الوظيفية لصاحب المسكن.. مثل: المجلس، وغرف النوم، والمطبخ، وصالات الاستقبال.. الخ، إلى أشكال وفراغات معمارية ذات علاقة تكاملية فيما بينها، بحيث كلٌّ منها يؤدي دوره ضمن الوظيفة الكلية للمسكن، وهذه الفراغات تبيّنها وتحددها المخططات (الرسومات)، وفق قواعد هندسية قياسية تنظم إعدادها.

أما التصميم الهندسي: فيشمل الأعمال المدنية والإنشائية والنظم الكهربائية والميكانيكية الداخلة في تكوين المسكن، وهذه الأعمال وتلك النظم تتكامل مع التصميم المعماري لتجعل من المسكن بيئة ملائمة للنشاط الإنساني، ومحفزة لإمكاناته الذهنية، ومطلقة لقدراته العملية.

فالأعمال المدنية هي ما تشتمل عليه أعمال الحفر والردم والتسوية وغيرها، وأما الأعمال الإنشائية فهي البناء إن كان بطريقة الهيكل الإنشائي: (قواعد، وجسور، وأعمدة، وبلاطات سقف)، أو بطريقة الجدران الحاملة.. وهي التي تحمل أوزان الأسقف وما عليها من بشر وأثاث، وهي الطريقة المتبعة في العصور البعيدة، وكانت تستخدم الحجارة في المناطق كثيرة المطر، ومن الطين.. كما في مساكن وسط الجزيرة العربية.

أما النظم الكهربائية فيقصد بها العناصر التي تعمل بالكهرباء، مثل: الإنارة ومعدات المطبخ، وأجهزة الترفيه، والمعلومات وغيرها، مما يحدده مستوى التقنية الداخلية في تكوين المسكن؛ وقد استخدمت قديماً الإنارة الطبيعية بطريقة لا نحتاج معها إنارة صناعية في النهار. والنظم الميكانيكية في المسكن هي التكييف (تبريد وتدفئة)، والتغذية بالماء، وصرف الماء، وما يحتاجه من مضخات وغيرها من أجهزة ومعدات؛ فالتكييف في السابق اعتمد على إدخال التيارات الهوائية إلى المنزل من خلال تصميم المسكن وتوجيهه وفق مصدر الرياح، واستخدام الملاقف الهوائية، أما الآن فهو يعتمد على التكييف الصناعي البحت.

وتُعد المواصفات للمباني، ومنها المسكن، بثلاثة طرق، هي:

التوصيف: ويعني توصيف المواد، وطريقة تنفيذ الأعمال بالمسكن بدقة واضحة وسليمة، وتحدد مستوى الجودة المطلوبة، مثل: توصيف نوع الطلاء المطلوب لطلاء المنزل توصيفاً دقيقاً، كأن يذكر التركيب الكيميائي ونسبُه، وهل هو مائي أو زيتي.. الخ.

الأداء: وهو تحديد مستوى الأداء المطلوب من المواد الداخلة في بناء المسكن، من دون تحديد المواد تحديداً دقيقاً، مثل: أن يذكر عن الطلاء إن كان قابلاً للغسيل ومقاوماً للتشققات.. الخ.

الإحالة: وهي تحديد التوصيف والأداء من خلال الإحالة إلى عنصر معروف، أو معدة محددة ومجربة لتقليص مجال المواصفات وعدم الدخول في التفصيلات الدقيقة والطويلة، مثل: أن يذكر أنّ الطلاء من نوع كذا، ومن شركة كذا، أو ما يعادله، من دون ذكر أي تفصيلات.

أما جداول الكميات، فهي جداول أو قوائم بعناصر المسكن وكمياتها وأسعارها الحقيقية أو التقريبية، وهذه ضرورة لمعرفة تكاليف المسكن؛ ومن ثمَّ تحديد ميزانية بنائه، كما تفيد في عدم إغفال أي عنصر قد لا يكون واضحاً ومحدداً في المخططات.

---

* مهندس استشاري متخصص في هندسة التقنية وإدارة المشاريع



المدينة وروح الشاعر

قراءة أولية في المنجز الشعري للشاعر السعودي يوسف العارف

■ ميسون التوباني*

صور فنية ناضجة، تتشكل من الألم والأمل، تلك المعادلة التي طالما عزفها الشعراء لقرائهم، كهدايا مغلفة بحروف قوية أحياناً، وسهلة أحياناً أخرى؛ تلك السهولة الممزوجة بالطبيعة واللجوء إلى الروحانيات والتعلّق بالآخرة؛ رؤية متفردة وتعايش مع الواقع مع جنوح إلى خيال عذب ومتعلق بالطبيعة.

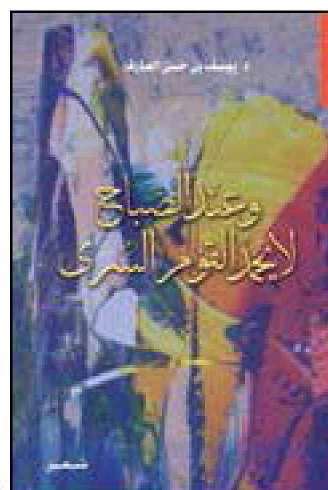
في ثنايا ذلك تعزف المدينة عزفها الثقيل في معظم قصائده، لتكون القصيدة وشاحاً من عذرية الروح التي تميل إلى الأرض وتعشق التراب والصحراء، والمدينة ذلك الرداء الثقيل الذي يحتمله الشاعر صخباً ورؤى وحياة، هي قاسية وموجعة رغم سهولتها؛ فهو يحن ربما بالفطرة أو بروح الشاعر إلى الطبيعة البدوية، وقد صرخت قصائده في باطنها تحتج على المدينة وتنكر بهرجتها الزائفة.

الوطن بخصوصيته الدينية وصحاريه المترامية يزهو بين الحروف ويطلُّ من بين ثنايا القصيدة، بما يوحي أنه جزء منها ينبض بكل الحب.. ينتسب الشاعر لتلك الشطآن؛ فهو الساحلي الخصب بالمحبة، تموج البحار على حروفه، فتزخرف المدى الناطق باسم الوطن وباسمه.

ساحليٌّ أنا

بيني وبين البحر عشق المسافات التي

قاربت بيننا







بيننا نبت الحب

ومن بيننا هرع الموج نحو السواحل

يلقي عليها التحايا /السؤال:

أي عشق خرافيّ زواج الساحل بالبحر؟

والشط بالماء؟

ثم تعلَّق بالمكان الذي يأويه حتى لو كان مؤقتاً في ديوانه (بينانغ)، وهذا دأب الشعراء، إحساس عالٍ بالطبيعة، واستبطان الوطن الذي يعيش في أعماق الشاعر:

«برليس»[1]

يا خضرة تحفُّنا

من كل جانب على الطريق

وماؤها الذي يحفنا

من الأعالي والذرى

لفسحة الوادي السحيق

والفجر فيها ضاحك

يستقبل البعيد والصديق

لعلّ الشاعر ذكر معظم المدن والأماكن التي زارها بأسمائها (لنكاو) وفندق (أوانا) و(برليس)... راسماً بريشة الفنان أساطيرها وحكاياتها، حيث أبدع في وصف المكان بخضرته وتماثيله ومائه وإيحاءاته:

إليكِ يا «لنكاو»[2]

تقاطرَ البشر

وحول «نسرك» إذ

يمدُّ جانحيهِ

يستعذبُ السهر!!

داتاران لانغ/ميدان النسر القرمزي

تامان لاجيندا/ متحف الأساطير

تبلوك توجوه((الآبار السبعة...

أما الحسّ الديني في قصائد الشاعر فهو أصيل نابض متناهٍ في العفوية والسطوع، يلج بكلماته ويعبُر كطير مفرد، أو كنسر يقتنص منه اللحظة ويمضي في سويداء روحه وروح القارئ بشكل لافت..

(...) من كوالا

يدغدغن المشاعر

إذ مسها الجدب وحلّ الوجيب

ويشهدن بالألق الصافي

محطات الخريف على مفرقي

وما كنت غِرّا أستجيب((

فعندي من الحب

ما يُشهد الله

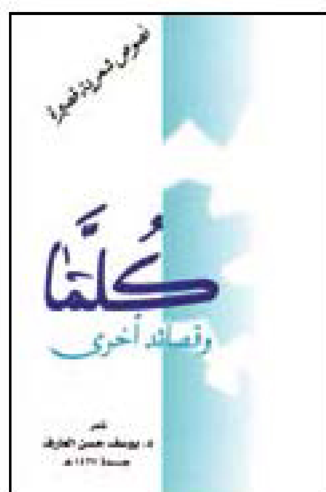
أني إليه أنيب

سلام على آخر العمر...





في قمّة ألمه ووحدته يخشع لله مستأنساً به متوسلاً إليه بالدعاء، ليبدو الحس الروحاني اليقظ عالم الشاعر، الذي يلج من خلاله إلى طريق النور؛ فيستوحي رجاءه من ألمه لثقته بالله، محاولا بذلك إبعاد كل ما يخرجه عن هذه الطريق:



ها إنني أرتدي الطهر والصلوات

أيمم كفيّ بالدعوات

وأمسح عن خاطري كل رجس الذنوب

أعلن بيني وبيني أن أتوب..أن أتوب

ها إنني أسبح في فلوات اليقين

أخرج مني وعني

وأدخل في ملكوت الصالحين

آه من الخبث الدنيء إذا دنا
وأخرجني من دروب المتقين!!

والناظر في قصائد الشاعر يجد سمة بارزة فيها، وهي تكرار أسماء الأعلام، إذ تشير هذه الأعلام إلى هيئات الشخوص بعفويتها؛ فيدرك المتلقّي أن أولئك الأشخاص حقيقيون من تنقلهم في القصيدة، وحركتهم الدائبة وتفاعلهم، سيجد القارئ هؤلاء على السلم وفي المصعد وفي الحافلة، هم بأسمائهم الحقيقية محمد وتركي ومشعل وغازي ومفتاح من البنغال، فينسجمون مع نصوص تشعر بأنها قريبة وعفوية، مغموسة أحيانا بأنفاس (الغلابا) الذين انغمسوا في مجتمع مخملي، يراه الشاعر بعينه التي تميل إلى البساطة، وقد بدت هذه الظاهرة في ديوانه (كلما)، الذي كان زاخرا بهم منغمساً في آلامهم؛ فهو لا يرتجل مشاعره ارتجالا، بل تيَّقظت كلماته من أعماقه لتستوحي فتات عيشهم، ولتتعايش مع معاناتهم....

أجيء في الصباح
كسائر العمال في حياتنا
كسائر «المكافحين»
و«الغلابا»
وحاملي الجراح

الأنثى في قصائد الشاعر هي الأرض، تنسج خيالاته، وتسطو على كلماته وذاكرته، بكل الحب والألم، هي عسير وجدة، وهي رمل البحار يبني من المراكب سُلَّماً للحياة في سبيل الترقّب لحياة أجمل، وفضاء أوسع، يسافر إليها ويحملها بين جنبات روحه.. هي العراق بأوجاعها وآلامها، والفرات الذي تجري الدماء في مائه.. يوقظ حزنه ويولِّد صخب القصيدة وانتماءاتها العربية الأصيلة، فيذرف دموعها ألما وانتظارا ليوم يشرق عليها في سلام.. ويقف على شرفته في القاهرة يتأمل الشوارع وينثر الحروف فوق جباه العراة والجياع، ويستلهم من النيل فرات المعاني فيبحر قاسما مشتركا بين كل أرض زارها..

هي ذي القاهرة
من ضياء الشمس قامت تستحم
وبعينيها اكتسى باليمّ يمّ
وتباهت..
فإذا القاصي..
أب، خال، وعم
هي ذي القاهرة!!

استحوذني ذلك التأريخ للمشاعر، وتلك الشفافية الهادئة الموسومة بحب الله والناس والشجر والحجر، والتي تذرف حنينا إلى الوطن في الفراق، وتعبٌ من جمال الأمكنة لتترك روحها الشاعرة في الصحراء المترامية؛ فتراها دائما الأجمل بكعبتها وناسها ورمالها الواسعة..

---

* شاعرة من الأردن.

(١) و (٢) جزر سياحية زارها الشاعر في ماليزيا.

الجوبة.. فخامة مداد وامتداد

▪ بقلم القاصة والشاعرة ملاك الخالدي

من «الجوف» أشرقتْ عذق عطاء، فتجاوزت المكان والحاضر والرهان! لكنني لن أتجاوز ثناءً ها هنا وإن كانت تستحق، إلا أنني سأقف على شواهد مرت بي فمررتُ بها، وازددتُ يقيناً وشغفاً واعتزازاً بها.

لقد كانت مجلة الجوبة السِفر الثقافي الأول الذي انبثق من جوف الشمال عبر مؤسسة الأمير عبدالرحمن السديري الخيرية، فأروى المتعطشين لمعين الحرف، بعد طول انتظار؛ وإن سبقتها بعض المطبوعات الثقافية التي لم تعلق بذهني أو سبقت زمني، إلا أن «الجوبة» وبحكم فخامة مدادها واستمراريتها وامتدادها تُعد الأولى في جوف الشمال بلا منازع، بل إنها تفوق جودةً الكثير من المطبوعات الثقافية السابقة لها زمناً وخبرةً ومكاناً!

ففي السنة والنيف التي قضيتها هنا في رياض الخير لاستكمال الدراسة العُليا في درجة الماجستير.. شعرتها وأحببتها أكثر، ليس انجذاباً لضوءٍ يشرق من مسقط رأسي الذي أحبه وأباهي بحبه الذي يجعلني أرى الوطن كل الوطن جنائن انتماء وحب وبهجة، وليس لكونها الموئل الأول لبوحي، إنما لأنني أدركت روعة هذا الضوء أكثر.

حين دلفتُ هنا مكتبة الجامعة سرّني أن رأيتُ «مجلة الجوبة» كمرجعٍ ضمن قوائم مراجع عددٍ من الدراسات العلمية، واكتمل اندهاشي المُبهج حين كلّفنا أستاذ إحدى المواد بقراءة إحدى مقالاتها لمناقشته كمتطلب دراسي.

وكان أن التقيتُ بإحدى الزميلات المبتعثات لدراسة الماجستير من إحدى دول المغرب العربي، ولأنها تشاطرني بعض الاهتمامات جمعنا حديثُ طويل وما أن قلتُ: الجوف، حتى قالت: حيثُ تصدر مجلة الجوبة؟!

فعرفتُ منها أنها قرأت أعداداً لا بأس بها من المجلة في مكتبة الجامعة التي تخرجت منها في بلدها، وأخبرتني أن المجلة مُتابعة هناك من المثقفين والمهتمين.

لذا، قلتُ في البدء أنها تجاوزت المكان والحاضر والرهان، إنه إخلاص البذل والرغبة الحقيقية في إبقاء الضوء ممتداً ووارفاً؛ فشكراً لأصحاب البذل والضوء.